ذكرت ذلك له فقال: " إني بعثت لأهل البقيع لأصلّى عليهم ".
وعنها رضي الله عنها
قالت: افتقدت النبي صلى الله عليه وسلم من الليل فتبعته فإذا
هو بالبقيع فقال: " السلام
عليكم دار قومٍ مؤمنين أنتم لنا فرطٌ، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا
تحرمنا أجرهم ولا تفتنا
بعدهم " قالت: ثم التفت إليّ فقال: " ويحها لو تستطيع ما
فعلت ". وعنها رضي الله عنها
قالت: وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مضجعه من
جوف الليل، فقلت: إلى أين
بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال: " أمرت أن أستغفر لأهل
البقيع " قالت: فخرج وخرج
معه مولاه أبو رافع، وكان أبو رافع يحدّث قال: اسغفر رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم
طويلاً ثم انصرف، وجعل يقول: " يا أبا رافع إني خيرت بين
خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة،
وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي ". وعن أبي مويهبة
مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جوف الليل: " يا أبا مويهبة
إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي " فخرج
وخرجت معه حتى جاء البقيع
فاستغفر لأهله طويلاً، ثم قال: " ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما
أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن
كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً، يتبع آخرها أولها، الآخرة
شر من الأولى " ثم أقبل
عليّ فقال: " يا أبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا
والخلد فيها، ثم الجنة،
فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة " فقلت: بأبي أنت
وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا
والخلد فيها ثم الجنة، فقال: " لا يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء
ربي والجنة " ثم استغفر
لأهل البقيع وانصرف. والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير
مناف؛ لأن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ربما استغفر لأهل البقيع ليالي، ويؤيد هذا
ويعضده ما رواه عطاء بن يسار
عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلما كانت ليلتها
منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: " السلام عليكم دار
قوم مؤمنين، أتانا وإياكم ما
توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع
الغرقد ". وعن عطاء بن

يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي فقيل له: اذهب فصلّ على أهل البقيع، ففعل
ذلك ثم رجع فرقد، فقيل له اذهب فصلّ على الشهداء، فذهب إلى أحدٍ فصلّى على قتلى
أحد، فرجع معصوب الرأس، فكان بدوّ الوجع الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم.
وعن عقبة بن عامر الجهنيّ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد
بعد ثمان سنين كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: " إني بين أيديكم فرط وأنا
عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست
أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها ".
وفاة الرسول
وجعه
واستئذانه نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها
كان ابتداء وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأربعاء، قيل: لإحدى عشر
بقيت من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقيل: لليلة بقيت من صفر.
روى عن ابن شهاب، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود - دخل حديث أحدهما في حديث
الآخر - عن عائشة رضي الله عنها قالت: بدا برسول الله صلى الله عليه وسلم شكوه
الذي توفي فيه وهو في بيت ميمونة، فخرج في يومه ذلك حتى دخل عليّ، قال ابن مسعود
عنها: رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في
رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: " بل أنا يا عائشة وارأساه " قالت ثم قال: " وما ضرّك
لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك " قالت قلت: والله لكأنى بك
لو قد فعلت لرجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك.
قالت: فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وتتامّ به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة،
فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذنّ له، قالت فخرج يمشي بين رجلين من أهله،
أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر، عاصبٌ رأسه تخط قدماه حتى دخل بيتي، قال

عبيد الله: فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال: هل تدري من الرجل الآخر ؟
قال قلت: لا، قال: علي بن أبي طالب قالت عائشة: ثم غمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم، واشتد به وجعه، فقال: " هريقوا عليّ من سبع قرب من آبار شتّى " وفي رواية: " لم
تحلل أو كيتهنّ لعلي أعهد إلى الناس " قالت فأجلسناه في مخضب لحفصة بنت عمر، ثم
طفقنا نصبّ عليه من تلك القرب حتى جعل يشير إلينا بيده أن قد فعلتنّ، ثم خرج إلى
الناس وصلى بهم وخطبهم صلى الله عليه وسلم.
خطبته
وما أمر به من سد الأبواب التي تشرع إلى مسجده إلا باب أبو بكر الصديق ووصيته
بالأنصار
روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال: " إن الله خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله "
فبكي أبو بكر فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ أن يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخبرنا عن عبدٍ خيّر فاختار ؟ قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
المخيّر، وكان أبو بكر أعلمنا به، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا أبا بكر لا
تبك، أيها الناس، إن أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من الناس
خليلاً كان أبو بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودّته، لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب
أبي بكر ". وعن قتيبة بن سعيد عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد؛ أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: " إن أعظم الناس عليّ منّاً في صحبته وذات يده أبو بكر،
فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر " قال قتيبة: قال الليث بن
سعد، قال معاوية ابن الصالح، فقال ناس: أغلق أبوابنا وترك باب خليله، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر، وإني أرى على باب أبي
بكر نوراً وأرى على أبوابكم ظلمة " رواه محمد بن سعد في طبقاته الكبرى. وروى

بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه
الذي مات فيه عاصباً رأسه في خرقة، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عايه وقال: " إنه
ليس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس
خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة في هذا
المسجد غير خوخة أبي بكر " وعن أبي الحويرث قال: لمّا أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالأبواب تسد إلا باب أبي بكر، قال عمر: يا رسول الله، دعني أفتح كوّة أنظر إليك
حين تخرج إلى الصلاة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا ".
وعن أبي البدّاح بن عاصم بن عدي، قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله، ما بالك
فتحت أبواب رجال إلى المسجد، ومالك سددت أبواب رجال ؟ فقال: " يا عباس، ما
فتحت عن أمري ولاسددت عن أمري " قالت عائشة رضي الله عنها في حديثها: وأوصى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنصار، فقال: " يا معشر المهاجرين، إنكم أصبحتم
تزيدون والأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، هم عيبتي التي أويت إليها،
أكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم ". ومن رواية: " احفظوني فيهم؛ اقبلوا من محسنهم
وتجاوزوا عن مسيئهم ".
ما قاله لأبي بكر
الصديق رضي الله عنه، وفيه
روي عن أبي أمامة،عن كعب بن مالك قال: إنّ أحدث عهدي بنبيكم صلى الله عليه
وسلم قبل وفاته بخمس، فسمعته يقول ويحرك كفه " إنه لم يكن نبيّ قبلي إلا وقد كان له من
أمته خليل، ألا وإن خليلي أبو بكر، إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ".
وعن أبي مليكة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: " ادعوا إليّ
أبا بكر " فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء، ولكن إن شئت دعونا لك ابن
الخطاب، قال: " ادعوا إليّ أبا بكر " قالت إن أبا بكر يرقّ، ولكن إن شئت دعونا لك ابن

الخطاب. فقال: " إنكن صواحب يوسف، ادعوا إليّ أبا بكر وابنه، فليكتب أن يطمع في
أمر أبي بكر طامع أو يتمنّى متمنٍّ " ثم قال: " يأبى الله ذلك والمؤمنون، يأبى الله ذلك
والمؤمنون " قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون، فأبى الله ذلك والمؤمنون. وروى محمد
بن سعد بسنده إلى عروة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد،
كلهم يحدّث عن عائشة رضي الله عنها - دخل حديثهم بعضه في حديث بعض - قالت:
بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فدخل عليّ وأنا أقول: وا رأساه،
فقال: " لو كان ذلك وأنا حيٌّ فأستغفر لك وأدعوا لك وأكفنك وأدفنك " فقلت: واثكلاه،
فوالله إنك لتحب موتي، ولو كان ذلك لظللت يومك معرّساً ببعض أزواجك. فقال النبي
صلى الله عليه وسلم: " بل أنا وارأساه لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبيك وإلى
أخيك فأقضي أمري، وأعهد عهدي، فلا يطمع في الأمر، طامع ولا يقول القائلون: أو يتمنى
المتمنون ". وقال بعضهم في حديثه: ويأبى الله إلا أبا بكر ".
وعن محمد بن جبير قال:
جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يذاكره في الشيء، فقال: إن جئت فلم أجدك ؟
قال: " فأت أبا بكر ". وعن عاصم بن عمرو بن قتادة، قال: ابتاع النبي صلى الله عليه
وسلم بعيراً من رجل إلى أجل فقال: يا رسول الله، إن جئت فلم أجدك ؟ يعني بعد
الموت، قال: " فأت أبا بكر " قال: فإن جئت فلم أجد أبا بكر، بعد الموت ؟ قال: " فأت
عمر "، قال فإن جئت ولم أجد عمر ؟ قال: " إن استطعت أن تموت إذا مات عمر فمت
".
ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه،
وخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كلّم به الناس، وكم صلى أبو بكر بالناس
صلاة، وما روى من أن الرسول صلى الله عليه وسلم ائتم بأبي بكر رضي الله عنه
عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه

بالصلاة فقال: " مروا أبا بكر يصلي بالناس " فقلت يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف،
وأنه متى ما يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: " مروا أبا بكر يصلي بالناس
" فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وأنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو
أمرت عمر، فقال: " إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر يصلي بالناس " فلما دخل
أبو بكر في الصلاة وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة فقام يهادي بين
رجلين، ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسّه ذهب أبو
بكر يتأخر، فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً، وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي قاعداً؛ يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والناس
يقتدون بصلاة أبي بكر. رواه البخاري في صحيحه. وروى محمد ابن سعد بسنده عن
عبيد بن عمير الليثي نحوه. وقال: فلما فرغا من الصلاة قال أبو بكر: أي رسول الله، أراك
أصبحت بحمد الله صالحاً، وهذا يوم ابنة خارجة - امرأة لأبي بكر من الأنصار - فأذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصلاّه أو
إلى جنب المنبر، فحذّر الناس الفتن، ثم نادى بأعلى صوته، حتى إن صوته ليخرج من باب
المسجد، فقال: " إني والله لا يمسك الناس عليّ بشيء؛ لا أحل إلا ما أحل الله في كتابه،
ولا أحرم إلا ما حرّم الله في كتابه " ثم قال: " يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول
الله اعملا لما عند الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً " ثم قام من مجلسه ذلك، فما
انتصف النهار حتى قبضه الله تعالى. وعن سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس ابن عبد
المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً
سلوني ما شئتم ". وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: دخلت على

عائشة فقلت لها حدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: لما ثقل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أصلّى الناس " ؟ فقلت: لا هم ينتظرونك يا رسول الله،
قال: " ضعوا لي ماء في المخضب " قالت: ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم
أفاق، فقال: " أصلى الناس " ؟ فقلت: لا هم ينتظرونك، فقال: " ضعوا لي ماء في
المخضب " قالت: " ففعلنا فذهب فاغتسل فقال: " أصلى الناس " ؟ قلت: لا، هم
ينتظرونك، والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة
العشاء الاخرة، قالت: فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي
بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس،
فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً -: يا عمر، صلّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك،
فصلى أبو بكر تلك الأيام. ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه خفة في نفسه
فخرج بين رجلين أحدهما العباس، فصلى الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، قالت: فلما رآه أبو
بكر ذهب ليتاخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم ألا يتاخر، وقال لهما: " أجلساني
إلى جنبه " فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصلي، وهو قائم بصلاة النبي صلى
الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد، قال
عبيد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك بما حدثتني به
عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: هات، فعرضت حديثها عليه
فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: سمت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت: لا، قال:
هو علي بن أبي طالب.

وروى محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، وعبد العزيز
بن محمد عن عمارة بن غزية عن محمد بن إبراهيم قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو مريض لأبي بكر: " صلّ بالناس " فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة

فخرج وأبو بكر يصلي بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه، فصلّى أبو بكر
وصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته، فلما انصرف قال: " لم يقبض نبي قط
حتى يؤمه رجل من أمته ". وروى نحوه عن أبي معشر، عن محمد ابن قيس. وعن أم
سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في وجعه إذا خف عنه ما
يجد خرج فصلى بالناس، وإذا وجد ثقله قال: " مروا الناس فليصلوا " فصلى بهم ابن أبي
قحافة يوماً الصبح فصلى ركعة، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى
جنبه فأتم بأبي بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
فاته. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى
في مرضه بصلاة أبي بكر ركعة من الصبح ثم قض الركعة الباقية. قال الواقدي: ورأيت
هذا الثبت عند أصحابنا؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر.
وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: عدت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه، فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم " مر الناس فليصلوا " قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناساً لا
أكلمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبغ من وراءه، وكان أبو بكر غائباً فقلت له: صل
بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان عمر رجلاً مجهراً، فلما كبّر سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته، فقال: " لا، لا، لا،
ليصل بهم ابن أبي قحافة " قال: يقول ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، قال:
فانصرف عمر فقال لعبد الله بن زمعة: يابن أخي أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
تأمرني ؟ قال فقلت: لا، ولكني لما رأيتك لم أبغ من وراءك، فقال عمر: ما كنت أظن حين
أمرتي إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس،

فقال عبد الله: لما لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة.
وعن عبد الله بن عباس
قال: حضرت الصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " مروا أبا بكر يصلي بالناس " فلما
قام أبو بكر مقام النبي صلى الله عليه وسلم اشتد بكاؤه وافتتن، واشتد بكاء من خلفه،
لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلما حضرت الصلاة جاء المؤذن إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال: قولوا للنبي صلى الله عليه وسلم يأمر رجلاً يصلي بالناس، فإن أبا بكر
قد افتتن من البكاء والناس خلفه، فقالت حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: مروا
عمر يصلي بالناس حتى يرفع الله رسوله، قال: فذهب إلى عمر فصلى بالناس، فلما سمع
النبي صلى الله عليه وسلم تكبيره قال: " من هذا الذي أسمع تكبيره" فقالت له أزواجه:
عمر بن الخطاب، وذكروا له ما قاله المؤذن، وما قالت حفصة، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: " إنكن لصواحب يوسف، قولوا لأبي بكر فليصل بالناس " قال: فلو لم
يستخلفه ما أطاع له الناس.
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في
وجعه إذا وجد خفة خرج، وإذا ثقل وجاءه المؤذن قال: " مروا أبا بكر يصلي بالناس "
فخرج من عنده يوماً يأمر بالناس يصلون وابن أبي قحافة غائب، فصلى عمر بن الخطاب
بالناس فلما كبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا، لا، أين ابن أبي قحافة " ؟
قال: فانتقضت الصفوف وانصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة وكان
بالسبح فتقدم فصلى بالناس. وعن أنس بن مالك: أنا أبا بكر - رضي الله عنهما - كان
يصلي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفى فيه، حتى إذا كان يوم
الاثنين وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر
إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضاحكا ونحن في الصلاة من الفرح. قال: ونكص أبو بكر على عقبيه، فأشار فأشار إليهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم " أن أتموا صلاتكم " قال: ثم دخل وأرخى الستر، فتوفي
في يومه صلى الله عليه وسلم. وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال سألت أبا
بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: كم صلى أبو بكر بالناس ؟ قال: صلى بهم سبع عشرة
صلاة، قلت: من حدثك ذلك؟ قال قال: حدثني أيوب بن عبد الرحمن ابن صعصعة، عن
عباد بن تميم، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: صلى بهم أبو
بكر ذلك.
ما اتفق في مرضه
خلاف ما ذكرناه، من اللدود الذي لد به، والكتاب الذي أراد أن يكتبه، والوصية التي أمر
بها، والدنانير التي قسمها، والسواك الذي استن به صلى الله عليه وسلم.
فأما اللدود الذي لد به صلى الله عليه وسلم وما قال فيه - روى عن أم سلمة رضي الله
عنها قالت: تخوفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الجنب وثقل فلددناه، فوجد
خشونة اللد فأفاق، فقال: " ما صنعتم بي " ؟ قالوا: لددناك، قال: " بماذا " ؟ قلنا:
بالعود الهندي، وشيء من ورس وقطرات زيت، فقال: " من أمركم بهذا " ؟ قالوا: أسماء
بنت عميس، قال: " هذا طبٌ أصابته بأرض الحبشة، لا يبقى أحد في البيت إلا التد إلا
ما كان من عم رسول الله صلى الله عليه وسلم " يعني العباس، ثم قال: " ما الذي كنتم
تخافون علي " ؟ قالوا: ذات الجنب، قال: " ما كان الله ليسلطها علي ". وفي رواية عن أم
بشر بن البراء، قال: " ما كان الله ليسلطها على رسوله، إنها همزة من الشيطان، ولكنها
من الأكلة التي أكلتها أنا وابنك، هذا أوان قطعت أبهري ". ومن حديث عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال: فجعل بعضهم يلد بعضا. وعن هشام قال: كانت أم سلمة وأسماء
بنت عميس هما لدتاه، قال: فالتدت يومئذ ميمونة وهي صائمة، لقسم النبي صلى الله عليه
وسلم، قال: وكان منه عقوبة لهم.
الكتاب الذي أراد أن يكتبه
ثم تركه لما وقع عنده من التنازع

فقد اختلفت الروايات في هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره، فمن رواية سعيد
بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه قال: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم يوم
الخميس فجعل - يعني ابن عباس - يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد
بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه فقال: " ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلوا
بعده أبداً " قال فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله هجر، قال فقيل له: ألا نأتيك بما
طلبت ؟ قال: "أو بعد ماذا" ؟ فلم يدع به. ومن طريق آخر عن سليمان بن أبي مسلم
عن سعيد بن جبير قال: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما شأنه أهجر ؟
استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه. فقال: " دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه ". قال: وأوصى بثلاث، قال: "
أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم " وسكت عن
الثالثة، فلا أدري قالها فنسيتها، أو سكت عنها عمداً ؟. ومن رواية طلحة بن مصرف
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " ايتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا ". قال فقالوا: إنما
يهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهما. وروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس
قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن
الخطاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده "
فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا
كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغلط والاختلاف وغمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قوموا عني ". قال عبيد الله: فكان ابن عباس

يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم
ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. وعن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال في مرضه: " ايتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ".
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لفلانة وفلانة - من مدائن الروم - إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن يموت حتى يفتتحها، ولو مات لانتظرناه، كما انتظرت بنو إسرائيل
موسى؛ فقالت زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تسمعون للنبي صلى الله عليه
وسلم يعهد إليكم ؟ فلغطوا فقال: " قوموا " فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وسلم
مكانه، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كان في مرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي توفي فيه، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمته كتابا لا يضلون ولا يضلون، فكان في
البيت لغط كلام، وتكلم عمر بن الخطاب، قال: فرفضه النبي صلى الله عليه وسلم.
وعن محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيننا وبين النساء
حجاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اغسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة
ودواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا " فقال النسوة: ايتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحاجته. قال عمر فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عصرتن أعينكن، وإذا
صح أخذتن بعنقه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هن خير منكم ".
هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة في هذا الحديث، وقد تذرعت به طائفة من
الروافض، وتكلموا فيه وطعنوا على من لغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
امتنع من الكتابة.
وقد تكلم القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله على هذا الحديث، وذكر أقوال
العلماء وما أبدوه من الاعتذار عن عمر رضي الله عنه فيما قال، فقال رحمه الله تعالى،

قال أئمتنا في هذا الحديث: النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض، وما يكون
من عوارضها من شدة وجع وغشى ونحوه، مما يطرأ على جسمه، معصوم أن يكون منه من
القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته، ويؤدي إلى فساد في شريعته، من هذيان أو اختلال في
كلام، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث " هجر " إذ معناه هذي يقال:
هجر هجر إذا أفحش، وأهجر تعدية هجر، وإنما الأصح والأولى " أهجر " ؟ على طريق
الإنكار على من قال لا نكتب، قال: وهكذا روايتنا فيه صحيح البخاري من رواية جميع
الرواة في حديث الزهري ومحمد بن سلام عن ابن عيينة، قال: وكذا ضبطه الأصيل بخطه
في كتابه وغيره من هذه الطرق، وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره، قال:
وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام، والتقدير: أهجر ؟ أو أن
يحمل قول القائل: " هجر " أو أهجر دهشةً من قائل من ذلك وحيرةً، لعظيم ما شاهد من
حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه، وهو المقام الذي اختلف فيه عليه،
والأمر الذي هم بالكتاب فيه، حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة
الوجع، لأنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر، كما حملهم الإشفاق على حراسته، والله تعالى
يقول: " والله يعصمك من الناس " ونحو هذا.
وأما على رواية " أهجراً "، وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح، في حديث ابن
جبير، عن ابن عباس من رواية قتيبة، فقد يكون هذا راجعاً إلى المختلفين عنده صلى الله
عليه وسلم، ومخاطبةً لهم من بعضهم، أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكراً من القول ! والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق.
وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن
يأتوه بالكتاب، فقال بعضهم: أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من
إباحتها بقرائن، فلعل قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا أنه لم

يكن منه عزمة، بل أمرٌ رده إلى اختيارهم، وبعضهم لم يفهم ذلك، فقال: استفهموه، فلما
اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة، ولما روأه من صواب رأي عمر رضي الله عنه. ثم
هؤلاء قالوا: ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في
تلك الحال، وإما إملاء الكتاب، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال: إن النبي اشتد به
الوجع. وقيل: خشى عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة،
ورأى أنه الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد، وحكم النظر، وطلب الصواب،
فيكون المصيب والمخطئ مأجورا، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة، وأن الله
تعالى قال: " اليوم أكملت لكم دينكم " وقوله صلى الله عليه وسلم: " أوصيكم بكتاب
الله وعزتي ". وقول عمر: حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه، لا على أمر النبي صلى
الله عليه وسلم. وقد قيل: إن عمر خشى تطرق المنافقين، ومن في قلبه مرض لما كتب في
ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة والوصية وغير ذلك.
وقيل: إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار، هل يتفقون
على ذلك أم يختلفون، فلما اختلفوا تركه. وقالت طائفة أخرى: إن معنى الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به، بل
اقتضاه منه بعض هذه القضية بقول العباس لعلي: انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإذا كان الأمر فينا علمناه، وكراهة على هذا وقوله: " والله لا أفعل " الحديث.
واستدل بقوله: " دعوني فإن الذي أنا فيه خير " أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر
وترككم، وكتاب الله. وأن تدعون مما طلبتم. وذكر أن الذي طلب كتابه في أمر الخلافة
بعده وتعيين ذلك. هذا ما أورده في معنى هذا الحديث.
والله تعالى أعلم.

ما وصى به الرسول
في مرضه الذي مات فيه

فقد روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عامة وصية رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين حضره الموت " الصلاة، وما ملكت أيمانكم " حتى جعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يغرغر بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه.
وعن أم سلمة نحوه.
وعن كعب بن مالك قال: أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم أفاق،
فقال: " الله الله فيما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم، وأشبعوا بطونهم، وألينوا لهم القول
".
وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
آخر عهده أوصى ألا يترك بأرض العرب دينان. وعن مالك بن أنس بن إسماعيل بن أبي
حكيم، عن عمر بن عبد العزيز قال: آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب
". وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أوصى بالرهاوبين الذين هم من أهل الرهاء، قال: وأعطاهم من خيبر وجعل يقول: "
لئن بقيت لا أدع بجزيرة العرب دينين ". وعن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم
أنه قال: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالداريين وبالرهاويين وبالدوسيين خيرا.
وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث
وهو يقول: " ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن ".
وعن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال: نعى لنا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر، بأبي هو وأمي
ونفسي له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة وتشدد لنا فقال: " مرحبا
بكم، حياكم الله بالسلام رحمكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، رفعكم الله،
نفعكم الله، آداكم الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم، وأستخلفه
عليكم، وأحذركم الله إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده فإنه قال لي
ولكم: " تلك الدرا الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين

". وقال: " أليس في جهنم مثوى للمتكبرين " قلنا: " يا رسول الله متى أجلك ؟ قال: "
دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، وإلى جنة المأوى، وإلى سدرة المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى
والكأس الأوفى والحظ والعيش المهنى " قلنا: يا رسول الله من يغسلك ؟ قال: " رجال
من اهلي الأدنى فالأدنى " قلنا: يا رسول الله ففيم نكفنك ؟ قال: " في ثيابي هذه إن شئتم
أو في ثياب مصر أو في حلة يمانية " قال قلنا: يا رسول الله، من يصلي عليك ؟ وبكينا
وبكى، فقال: " مهلا رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيرا، إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني
فضعوني على سريري هذا على شفة قبري في بيتي هذا، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول
من يصلى علي حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده
من الملائكة بأجمعهم، ثد ادخلوا علي فوجاً فوجاً، فصلوا علي وسلموا تسليما، ولا
تؤذوني بتزكية ولا برنة، وليبدأ بالصلاة على رجال من أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد،
وأقرئوا السلام على من غاب من أصحابي، وأقرئوا السلام على من يتبعني على ديني من
قومي إلى يوم القيامة ". قلنا: يا رسول الله، فمن يدخلك قبرك ؟ قال: " أهلي كمع ملائكة
كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم ".

الدنانير التي قسمها

رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه

فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم دنانير فقسمها إلا ستة، فدفع الستة إلى بعض نسائه، فلم يأخذه النوم حتى قال: " ما
فعلت الستة " ؟ قالوا: دفعتها إلى فلانة، قال: " ايتوني بها "، فقسم منها خمسة في خمسة
أبيات من الأنصار، ثم قال: " استنفقوا هذا الباقي " وقال: " الآن استرحت " فرقد. وعن
المطلب بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة، وهي مسندته إلى
صدرها: " يا عائشة ما فعلت تلك الذهب " ؟ قالت: هي عندي، قال: " فأنفقيها " ثم
غشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها، فلما أفاق قال: " هل

أنفقت تلك الذهب يا عائشة " ؟ قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في
كفه، فعدها فإذا هي ستة دنانير، فقال: " ما ظن محمد بربه أن لو لقى الله وهذه عنده " !
فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.
وأما السواك الذي استن به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته
فقد روى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر
علي النبي صلى الله عليه وسلم في شكواه، وأنا مسندته إلى صدري، وفي يد عبد الرحمن
سواك فأمرها أن تقضمه، فقضمته ثم أعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن
حديث آخر عنها قالت: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو في يده نظراً
عرفت أنه يريده، فقلت: يا رسول الله، تريد أن أعطيك هذا السواك ؟. فقال: " نعم "
فأخذته فمضغته حتى لينته ثم أعطيته إياه، فاستن به كأشد ما رأيته استن بسواك قبله، ثم
وضعه، فكانت عائشة تقول: كان من نعمة الله علي وحسن بلائه عندي، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات في بيتي، وفي يومي وبين سحري ونحري، وجمع بين ريقي وريقه
عند الموت. فقال لها القاسم بن محمد: قد عرفنا كل الذي تقولين، فكيف جميع بين ريقك
وريقه ؟ قالت: دخل عبد الرحمن بن أم رومان أخى على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعوده، وفي يده سواك رطل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولعاً بالسواك،
فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشخص بصره إليه، فقلت: يا عبد الرحمن، اقضم
السواك فناولنيه، فمضغته ثم أدخلته في في رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسوك به،
فجمع بين ريقي وريقه.
تخييره بين الدنيا والآخرة
عند الموت
روى عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت سمعت أنه لا يموت نبي
حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فأصابت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحة شديدة في
مرضه، فسمعته يقول: " مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

وحسن أولئك رفيقاً " فظننت أنه خير. وعن عبد المطلب بن عبد الله، قال قالت
عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ما من نبي إلا تقبض نفسه ثم ترد إليه
فيخير بين أن ترد إليه إلى أن يلحق " قالت: " فكنت قد حفظت ذلك منه، فإني لمسندته
إلى صدري فنظرت إليه حتى مالت عنقه، فقلت قد قضى وعرفت الذي قال، فنظرت إليه
حتى ارتفع ونظر، قالت: قلت إذاً والله لا تختارنا، فقال: " مع الرفيق الأعلى في الجنة " "
مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
". وعن سعيد بن أبي المسيب وغيره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه
على فخذي غشى عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف سقف البيت، ثم
قال: " اللهم الرفيق الأعلى " قالت: فقلت الآن لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان
يحدثنا هو صحيح فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وعن أبي بردة بن أبي موسى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسندته عائشة
إلى صدرها فأفاق وهي تجدعو له بالشفاء فقال: " لا، بل أسال الله الرفيق الأعلى الأسعد
مع جبريل وميكائيل وإسرافيل ".

ما قاله عند نزول الموت به

روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت دعا
بقدح من ماءٍ فجعل يمسح به وجهه، ويقول: " اللهم أعني على سكرات الموت " وجعل
يقول: " ادن مني يا جبريل، ادن مني يا جبريل، ادن منى يا جبريل ". وعن عبد الله بن
عباس وعائشة رضي الله عنهم قالا: لما نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم طفق يلقي
خميصته على وجهه، فإذا اغتنم بها ألقاها عن وجهه ويقول: " لعنة الله على اليهود
والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ".

وفاته

روى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: لما بقى من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث نزل عليه جبريل فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلا لك،

وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجدك ؟ قال: أجدني يا
جبريل مغموما، وأجدني يا جبريل مكروبا " فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال
له مثل ذلك، وأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أجابه به بالأمس، فلما كان
اليوم الثالث نزل إليه جبريل، وهبط معه ملك الموت، ونزل معه ملك يقال له إسماعيل،
يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على
سبعين ألف ملك، ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبريل، فقال: يا
أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراما لك، وتفضيلا لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به
منك، يقول لك: كيف تجدك ؟ قال: " أجدني يا جبريل مغموما، وأجدني يا جبريل مكروبا
" ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل " يا أحمد، هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم
يستأذن على آدمي كان قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: " ائذن له " فدخل ملك
الموت فوقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " يا رسول الله، يا أحمد، إن
الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به، إن أمرتني أن أقبض نفسك
قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: " وتفعل يا ملك الموت " ؟ قال: بذلك أمرت أن
أطيعك في كل ما أمرتني، فقال جبريل: يا أحمد، إن الله قد اشتاق إليك، قال: " فآمض يا
ملك الموت لما أمرت به " قال جبريل: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطئي الأرض
إنما كنت حاجتي من الدنيا، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاءت التعزية
يسمعون الصوت والحس، ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله
وبركاته " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة " إن في الله عزاءً من كل
مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا إنما
المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وكانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الأحاديث الصحيحة في حجر

عائشة وبين سحرها ونحرها. وقد قيل: إنه توفي في حجر علي، والصحيح الأول. وذلك في
يوم الاثنين حين اشتد الضحى، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر بيع الأول، وقيل: لليلتين
خلتا منه. ولما مات صلى الله عليه وسلم سجى بثوب حبرة، كما روى عن عائشة وأبي
هريرة رضي الله عنهما، ودخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال: بأبي وأمي ما أطيب محياك ومماتك. وفي لفظ: طبت حيا وميتا. وعن
عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أبو بكر
فدخل عليه فرفعت الحجاب، فكشف الثوب عن وجهه، فاسترجع فقال: مات والله رسول
الله، ثم تحول من قبل رأسه فقال: وانبياه، ثم حدر فمه فقبل وجهه ثم رفع رأسه، فقال:
واخيلاه، ثم حدر فمه فقبل جبهته ثم رفع رأسه، فقال: واصفياه، ثم حدر فمه فقبل
جبهته، ثم سجاه بالثوب ثم خرج.
وعن عبد الرحمن بن عوف: أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه
بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو مسجى ببرد جبرة فكسف عن وجهه، ثم أكب عليه يقبله
وبكى، ثم قال:" بأبي أنت، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبدا، أما الموتة التي كتبت عليك
فقد متها.
ما تكلم به الناس
حين شكوا في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبة أبي بكر رضي الله عنه
روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد خطيبا فقال: لا أسمعن أحدا
يقول إن محمدا قد مات ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ابن عمران، فلبث عن قومه
أربعين ليلة، وإني والله لأرجو أن تقطع أيدي رجالٍ وأرجلهم يزعمون أنه مات. وعن
عكرمة قال: لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنما عرج بروحه كما عرج

بروح موسى، قال: وقام عمر خطيبا فوعد المنافقين، وقال: إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يمت، ولكن إنما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، لا يموت رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم، قال: فما زال عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه،
فقال العباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأسن كما يأسن البشر، وإن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد مات فادفنوا صاحبكم، أيميت أحدكم إماتة ويميته إماتتين ؟
هو أكرم على الله من ذلك، فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب
فيخرجه إن شاء الله، ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحا، أحل الحلال، وحرم الحرام،
ونكح وطلق، وحارب وسالم، وما كان راعى غنم يتبع بها صاحبها رءوس الجبال، يخبط
عليها العضاة بمخبطه ويمدر حوضها بيده، بأنصب ولا أرأب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان فيكم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال
عمر: أغشيا ؟ ما أشد غشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ثم قاما فلما انتهيا إلى
الباب، قال المغيرة: يا عمر، مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: كذبت
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنك رجل تحوسك فتنةٌ، ولن يموت رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى يفنى المنافقين، ثم جاء أبو بكر وعمر يخطب الناس فقال له
أبو بكر: اسكت؛ فسكت، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ: " إنك ميتٌ
وإنهم ميتون " ثم قرأ: " وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين "
ثم قال: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.
فقال عمر: هذا في كتاب الله ؟ قال: نعم، قال: أيها الناس، هذا أبو بكر وذو شيبة المسمين
فبايعوه فبايعه الناس.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر المسجد وعمر بن الخطاب يكلم الناس،
فمضى حتى دخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، وهو بيت عائشة،
وكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم برد حبرة، كان مسجى به فنظر إلى وجهه ثم
أكب عليه فقبله، فقال: بأبي أنت؛ والله لا يجمع الله عليك موتتين، لقد مت الموتة التي لا
تموت بعدها، ثم خرج أبو بكر إلى الناس، وعمر يكلمهم فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر
أن يجلس، فكلمه أبو بكر مرتين أو ثلاثا، فلما أبى عمران يجلس قام أبو بكر فتشهد، فأقبل
الناس إليه وتركوا عمرا، فلما قضى أبو بكر تشهده قال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد
محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌ لا يموت، قال الله تبارك
وتعالى: " وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على
أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر شيئا وسيجزى الله الشاكرين ".
قال: فلكما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقاها الناس من
أبي بكر تلاها أو كثير منهم، حتى قال قائل من الناس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه
الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر. فزعم سعيد ابن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: والله
ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت وأنا قائم حتى خررت إلى الأرض، وأيقنت أن
النبي صلى الله عليه وسلم قد مات.
وعن الحسن قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتمر أصحابه فقالوا: تربصوا
بنبيكم صلى الله عليه وسلم لعله عرج به، قال: فتربصوا به حتى ربا بطنه، فقال أبو بكر:
من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وعن
القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما شك في موت النبي صلى الله عليه
وسلم قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، وضعت أسماء بنت عميس يدها بين
كتفيه، وقالت: قد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد رفع الخاتم من بين كتفيه.

وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخرس عن الكلام لما راعه من
موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما تكلم إلا بعد الغد، وأقعد آخرون، منهم علي
بن أبي طالب، ولم يكن فيهم أثبت من أبي بكر والعباس رضي الله عنهما، قالوا: وعزى
الناس بعضهم بعضا برسول الله صلى الله عليه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
ذكر ذلك للناس قبل موته كما روى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " سيعزى الناس بعضهم بعضا من بعدي التعزية بي " فكان الناس يقولون ما هذا
؟ فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الناس بعضهم بعضا يعزى بعضهم
بعضا برسول الله صلى الله عليه وسلم.
غسله وتكفينه
وحنوطه
روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكروا غسله سمعوا من باب
الحجرة: لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر، ثم سمعوا صوتاً بعده: اغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا
الخضر، وعزاهم فقال: إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركاً من كل
فائت، فبالله فثقوا وإياه فآرجوا، فإن المصاب من حرم الثواب.
وعن عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف الذين يغسلونه،
فسمعوا قائلاً لا يدرون من هو، يقول: اغسلوا نبيكم وعليه قميصه، فغسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قميصه. وعن عباد بن عبد الله عن عائشة قالت: لو استقبلت
من أمري ما استدبرت، ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نساؤه، إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما قبض اختلف أصحابه في غسله، فقال بعضهم: اغسلوه وعليه
ثيابه، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نعسةٌ، فوقع لحي كل إنسان منهم على صدره، فقال قائل
منهم لا يدري من هو: اغسلوه وعليه ثيابه، قالوا: وكان الذي تولى غسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، وكان علي

يغسله ويقول: بأبي أنت وأمي طبت ميتاً وحياً. وقيل: كان علي يغسل النبي صلى الله
عليه وسلم والفضل وأسامة يحجبانه، وقيل: غسل والعباس قاعد والفضل محتضنه، وعلي
يغسله، وأسامه يختلف، وقيل: ولى غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب
رضي الله عنه، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا
يغسله أحد غيري، فإنه " لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه ". قال علي: فكان
الفضل وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر، وهما معصوبا العين. قال علي: فما تناولت
عضواً إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله. وقيل: كان معهم شقران
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن سعيد بن المسيب قال: غسل النبي صلى
الله عليه وسلم، وكفنه أربعةٌ علي والعباس والفضل وشقران، وقيل: لم يحضره العباس، بل
كان بالباب، وقال: لم يمنعني أن أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحي أن أراه حاسراً.
وقيل: حضره عقيل بن أبي طالب، وأوس بن خولي، وذلك أن أوس بن خولي قال: يا علي،
أنشدك الله في حظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له علي: ادخل، فدخل
فجلس، وقيل: إنما دخل لأن الأنصار قالت: نناشدكم الله في نصيبنا من رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فأدخلوا رجلاً منهم يقال له أوس بن خولي يحمل جرةً بإحدى يديه، والذي
أثبته الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله في مختصر السيرة قال:
تولى غسله علي والعباس والفضل وقثم ابنا العباس وأسامة بن وزيد وشقران موليا رسول
الله صلى الله عليه وسلم، قال: وحضره أوس بن خولي الأنصاري. وعن علي رضي الله
عنه قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم أغلقنا الباب دون الناس
جميعا، فنادت الأنصار نحن أخواله، ومكاننا من الإسلام مكاننا، ونادت قريش نحن
عصبته، فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين، كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم، فنشدتكم

الله فإنكم إن دخلتم أخرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دعي. وعن أبي
جعفر محمد بن علي قال: غسل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسدر،
وغسل في قميص، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء، وكان يشرب منها،
وولى غسل سفلته علي، والعباس يصب الماء، والفضل محتضنه يقول: أرحني أرحني،
قطعت وتيني ! إني أجد شيئاً ينزل علي مرتين. وعن عبد الله بن الحارث: أن عليا
غسله، يدخل يده تحت القميص، والفضل يمسك الثوب عليه، والأنصاري ينقل الماء وعلى
يد علي خرقةٌ تدخل يده وعليه القميص. وعن عبد الله بن جعفر الزهري عن عبد
الواحد بن أبي عون، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لعلي في مرضه الذي توفي
فيه: " اغسلني ياعلي إذا مت " فقال: يا رسول الله، ما غسلت ميتاً قط، فقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم: " إنك ستهيأ، أو تيسر " قال علي: فغسلته فما آخذ عضواً إلا
تبعني والفضل أخذ بحضنه يقول: أعجل يا علي انقطع ظهري. وعن سعيد بن المسيب
قال: التمس علي من النبي صلى الله عليه وسلم عند غسله ما يلتمس من الميت فلم يجد
شيئا، فقال: بأبي أنت وأمي؛ طبت حياً وميتا. هذا ما لخصانه في غسله صلى الله عليه
وسلم مما أورده محمد بن سعد في طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد. والله
أعلم.
أما تكفينه صلى الله عليه وسلم
فقد اختلف فيه؛ فقيل: كفن في ثلاثة أثواب بيض كرسف، وقيل: في ثلاثة أثواب أحدها
حبرة، وقيل: في ريطتين وبرد نجراني. وقيل: في ثلاثة أثواب برود يمانية غلاظٌ إزارٌ ورداءٌ
ولفافة. وقيل: في حلة حمراء وقبطية. وقيل: في حلة يمانية وقميص. وقيل: في حلة حبرة
وقميص. وقيل: في سبعة أثواب. والذي ورد في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كفن في
ثلاثة أثواب بيض سحولية من ثياب سحول - بلدة باليمن - ليس فيها قميص ولا عمامة،
بل لفائف من غير خياطة. وحنط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في حنوطه

المسك، وأبقي منه علي بن أبي طالب رضي الله عنه شيئا ادخره لحنوطه إذا مات.
الصلاة عليه
روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلى على رسول الله صلى
الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب، وبنو هاشم، ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون
والأنصار، ثم الناس رفقاً رفقاً، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفا، ثم النساء،
وقيل: النساء والصبيان. وذكر البيهقي عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن
الحارث التيمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي، فيها: لما كفن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووضع على سريره، دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته، ومعهما نفرٌ من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت، فسلموا كما سلم أبو
بكر وعمر وصفوا صفوفاً لا يؤمهم عليه أحد، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول
حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنا نشهد أن قد بلّغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته،
وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله به دينه، وتمت كلماته، فأومن به وحده لا شريك له،
فاجعلنا يا إلهنا ممن يتبع القول الذي أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه بنا فإنه
كان بالمؤمنين رءوفاً رحيما، لا نبتغي بالإيمان بدلا، ولا نشتري به ثمناً أبدا. فيقول الناس
آمين آمين، ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صلوا عليه: الرجال والنساء ثم الصبيان.
وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي رضي
الله عنهم قال: لما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السرير قال عليٌ: لا يؤم
أحدٌ؛ هو إمامكم حياً وميتا، فكان يدخل الناس رسلاً رسلاً، فيصلون عليه صفاً صفا،
ليس لهم إمام ويكبّرون، وعلي قائم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سلامٌ
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم إنا نشهد أنه قد بلغ ما انزل إليه ونصح لأمته،
وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل إليه،

وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه. فيقول الناس: آمين، آمين. وقد قيل في سبب صلاة الناس
عليه أفذاذاً: إن ما فعلوا ذلك ليكون كل منهم في الصلاة أصلاً لا تابعاً لأحد. وقيل:
ليطول وقت الصلاة فيلحق من ياتي من حول المدينة.
قبره ولحده
وما فرش تحته ومن فرشه، ومن دخل قبره، ووقت دفنه، ومدة حياته صلى الله عليه
وسلم
روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته اختلفوا في مكان دفنه؛
فقال بعضهم: ندفنه في مصلاه. وقال بعضهم: عند المنبر. وقال بعضهم: ادفنوه مع
أصحابه بالبقيع. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: " ما دفن نبي قط إلا في المكان الذي توفي فيه ". وقيل: قال " ما مات نبيٌ إلا
دفن حيث يقبض " فرفع فراش النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه وحفر له تحته،
وذلك في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. ثم اختلفوا أيلحد له أم لا ؟ وكان في
المدينة حفّاران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة، والآخر لا يلحد وهو أبو عبيدة. فاتفقوا
على أن من جاء منهما أولاً عمل عمله، فجاء الذي يلحد فلحد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم، كان بالمدينة رجلان: أبو عبيدة ابن الجراح يضرح حفر أهل
مكة، وأبو طاحة الأنصاري هو الذي يحفر لأهل المدينة، وكان يلحد. فدعى العباس
رجلين فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة، وقال للآخر: اذهب إلى أبي طلحة، وقال:
اللهم خر لرسولك، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد له. وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " اللحد لنا والشق لغيرنا ". وقيل قال: " والشق
لأهل الكتاب ". قيل: وكان صلى الله عليه وسلم يرى اللحد فيعجبه فألحد له، وأطبق له
تسع لبنات وفرش تحته في قبره قطيفة حمراء كان يغطى بها صلى الله عليه وسلم نزل بها

شقران. وأما من نزل قبره صلى الله عليه وسلم فالعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي
طالب والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولاه، وقيل: أدخلوا معهم عبد الرحمن بن
عوف، قيل: وعقيل وأسامة بن زيد، وصالح، وأوس بن خولي. والذي صححه الشيخ أبو
محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله: العباس وعلي والفضل وقثم وشقران. وزعم المغيرة
بن شعبة أنه نزل قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه آخر الناس عهداً برسول الله صلى
الله عليه وسلم في قبره. روى عن الشعبي قال: كان المغيرة يحدثنا ها هنا، يعني بالكوفة
قال: أنا آخر الناس عهداً بالنبي صلى الله عليه وسلم لما دفن وخرج علي من القبر ألقيت
خاتمى فقلت: يا أبا الحسن خاتمي، قال: إنزل فخذ خاتمك، فنزلت فأخذت خاتمي،
ووضعت يدي على اللبن ثم خرجت. وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: لما وضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في لحده، ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في القبر، ثم قال:
خاتمي، خاتمي ! فقالوا: ادخل فخذه، فدخل ثم قال: أهيلوا علي التراب، فأهالوا عليه
التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه فخرج، فلما سوّي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال: اخرجوا عني حتى أغلق الباب، فإني أحدثكم عهداً برسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا: لعمري لئن كنت أردتها لقد أصبتها. وأنكر علي بن عبد الله بن عباس
هذا، وقال: كان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس، كان
أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد. والله أعلم.
وأما وقت دفنه صلى الله عليه وسلم ومدة مرضه
فقيل: دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء، وقيل ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم
الثلاثاء حين زاغت الشمس. والله أعلم. وسنّم قبره ورشّ عليه الماء. وكانت مدة مرضه
اثني عشر يوما. وقيل: أربعة عشر يوما. وكان مرضه بالصّداع صلى الله عليه وسلم.
سنه
صلى الله عليه وسلم ومدة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته صلى الله عليه
وسلم

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وقد بلغ من السن ثلاثا وستين سنة،
وقيل: خمسا وستين، وقيل: ستين. وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن القاسم،
قال حدّثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة في
السنة التي قبض فيها: " إن جبريل كان يعرض عليّ القرآن في كل سنة مرة، فقد عرض عليّ
العام مرتين، وأنه لم يكن نبيّ إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله، عاش عيسى بن
مريم مائة وخمسا وعشرين سنة، وهذه اثنتان وستون سنة " ومات في نصف السنة.
والذي نقلناه أوّلاً هو الذي صححه العلماء. والله أعلم.
وكان مقامه بالمدينة من لدن الهجرة إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم عشر سنين.
ميراثه
وما روى فيه
روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: " إنا لا نورث، ما تركناه صدقة ". وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن
عمر بن واقد قال: حدثنا معمر ومالك وأسامة بن زيد عن الزهري عن عروة عن عائشة؛
قال محمد بن عمر: وحدثني معمر وأسامة بن زيد وعبد الرحمن ابن عبد العزيز عن الزهري
عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب
والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعباس بن عبد المطلب قالوا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: " لا نورث ما تركناه فهو صدقة " يريد بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم نفسه. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا
تقتسم ورثتي دينارا ولا درهما، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فإنه صدقة ". وعن
عائشة: غن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهما أرسلت إلى
أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أفاء الله على رسوله،
وفاطمة حينئذ تطلب صدقة النبي صلى الله عليه وسلم التي بالمدينة وفدك، وما بقى من

خمس خيبر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا
نورث ما تركناه صدقةٌ " إنما يأكل من آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من
صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبى
أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر، فهجرته ولم تكلمه
حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر. وعن أبي جعفر
قال: جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها، وجاء العباس بن عبد المطلب يطلب
ميراثه، وجاء معهما علي بن أبي طالب، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم " لا نورث، ما تركنا صدقةٌ " وما كان النبي يعول فعلى، فقال علي: " وورث سليمان
داود " وقال زكريا: " يرثني ويرث من آل يعقوب " قال أبو بكر: هو هذا، والله تعلم مثل ما
أعلم. فقال علي: هذا كتاب الله ينطق، فسكتوا وانصرفوا. وعن زيد بن أسلم عن أبيه،
قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما كان اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم بويع لأبي بكر في ذلك اليوم، فلما كان من الغد جاءت فاطمة إلى أبي بكر - رضي
الله عنهما - معها علي رضي الله عنه فقالت: ميراثي من رسول الله أبي، صلى الله عليه
وسلم، فقال أبو بكر: أمن الرثة أو من العقد ؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثها
كما ترثك بناتك إذا مت، فقال أبو بكر: أبوك والله خير مني، وأنت والله خير من بناتي،
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا نورث، ما تركنا صدقةٌ " يعني هذه الأموال
القائمة، فتعلمين أن أباك أعطاكها ؟ فوالله لئن قلت نعم لأقبلن قولك ولأصدقنك. قالت:
جاءتني أم أيمن فأخبرتني أنه أعطاني فدك. قال: فسمعته يقول هي لك ؟ فإذا قلت قد
سمعته فهي لك، فأنا أصدقك وأقبل قولك. قالت: قد أخبرتك ما عندي، عن عمرو بن
الحارث ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخي ميمونة قال: والله ما ترك رسول الله

صلى الله عليه وسلم عند موته درهما ولا دينارا، ولا عبدا ولا أمة، ولا شيئا إلا بغلته
البيضاء وسلاحه، وأرضها تركها صدقة. وعن زر بن حبيش: أن إنسانا سأل عائشة
رضي الله عنها عن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: عن ميراث رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسألني ؟ لا أبا لك ! توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع
دينارا ولا درهما، ولا عبدا ولا أمة ولا شاة ولا بعيرا. وعن ابن عباس نحوه، قال: وترك
درعه رهناً عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير. وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم ترك
يوم مات ثوبي حبرة وإزرار عمانيا، وثوبين صحاريين، وقميصا صحاريا، وجبة يمينة،
وخميصة وكساء أبيض، وقلانس صغارا لاطئة ثلاثا أو أربعا، وإزارا طوله خمسة أشبار،
وملحفة مورسة. صلى الله عليه وسلم. هذا الذي أورده الشيخ محب الدين الطبري في
مختصر السيرة.
ذكر ما نال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله من الحزن
على فقده، ونبذه مما رثوه به صلى الله عليه وسلم
روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:: لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل
يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة: واكرب أبتاه، فقال لها صلى الله عليه وسلم: " ليس على
أبيك كرب بعد اليوم ". فلما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة: يا أبتاه أجاب رباً
دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ينعاه، يا أبتاه من ربه ما أدناه ! قال:
فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم التراب ؟. وعن عكرمة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت أم
أيمن، فقيل لها أتبكين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: أما والله أبكي
عليه ألا أكون أعلم أنه ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا، ولكن أبكي على خبر السماء
انقطع.
وعن عبد الرحمن ابن سعد بن يربوع قال: جاء علي بن أبي طالب يوما متقنعا متحازنا،

فقال أبو بكر: أراك متحازنا، فقال علي: إنه عناني ما لم يعنك، قال يقول أبو بكر: اسمعوا
كما يقول ! أنشدكم الله أترون أحدا كان أحزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم منى
؟. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم يوسوس. وعن
القاسم بن محمد: أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب بصره
فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فأما إذ قبض الله نبيه فما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة. وأما
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فإنها لازمت قبره صلى الله عليه وسلم.
ورثى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةٌ من أصحابة وعماته رضي الله عنهم فقال
أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

يا عين فابكي ولا تسأمي وحق البكاء على السيد
على خير خندف عن البلا ء أمسى يغيب في الملحد
فصلى المليك ولي العباد ورب البلاد على أحمد
فكيف الحياة لفقد الحبيب وزين المعاشر في المشهد
فليت الممات لنا كلنا وكنا جميعاً مع المهتدي

وقال أيضاً رضوان الله عليه:

لما رأيت نبينا متجدلاً ضاقت علي بعرضهن الدور
وارتعت روعة مستهامٍ والهٍ والعظم مني واهنٌ مكسور
أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى وبقيت منفردا وأنت حسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي غيبت في جدثٍ علي صخور
فلتحدثن بدائعٌ من بعده تعيا بهن جوانحٌ وصدور

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ارقت فبات ليلي لا يزول وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مصيبتنا مما عراها تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه نفوس الناس أو كربت تسيل
نبيٌ كان يجلو الشك عنها بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذرٌ وإن لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبرٍ وفيه سيد الناس الرسول

وقال عبد الله بن أنيسٍ:

تطاول ليلي واعترتني القوارع وخطبٌ جليل للبلية جامع
غداة نعى الناعي إلينا محمداً وتلك التي تستك منها المسامع
فلو رد ميتاً قتل نفسي قتلتها ولكنه لا يدفع الموت دافع
فآليت لا آسى على هلك هالكٍ من الناس ما أوفى ثبيرٌ وفارع
ولكنني باكٍ عليه ومتبعٌ مصيبته أني إلى الله راجع
وقد قبض الله النبيين قبله وعادٌ أصيبت بالرزى والتبابع
فياليت شعري من يقوم بأمرنا وهل في قريش من إمام ينازع
ثلاثة رهط من قريشٍ هم هم أزمة هذا الأمر والله صانع
عليٌ أو الصديق أو عمرٌ لها وليس لها بعد الثلاثة رابع
فإن قال منا قائلٌ غير هذه أبينا وقلنا الله راءٍ وسامع
فيالقريش قلدوا الأمر بعضهم فإن صحيح القول للناس نافع
ولا تبطئوا عنها فواقاً فإنها إذا قطعت لم تمن فيها المطامع

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

آليت حلفة برٍ غير ذي دخل مني ألية حقٍ غير إفناد
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل النبي نبي الرحمة الهادي
ولا مشى فوق ظهر الأرض من أحد أوفى بذمة جارٍ أو بميعاد
من الذي كان نوراً يستضاء به مبارك الأمر ذا حزم وإرشاد
مصدقاً للنبيين الألى سلفوا وأبذل الناس للمعروف للجادي
خير البرية إني كنت في نهرٍ جارٍ فأصبحت مثل المفرد الصادي
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما يضربن خلف قفا سترٍ بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المسوح وقد أيقن بالبؤس بعد النعمة البادي

وقال أيضاً:

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً يا خير من وطئ الحصى لا تبعد
يا ويح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سواء الملحد
جنبي يقيك الترب لهفي ليتني غيبت قبلك في بقيع الغرقد
يا بكر آمنة المبارك ذكره ولدته محصنةٌ بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم يا لهف نفسي ليتني لم أولد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتد
وظللت بعد وفاته متبلداً يا ليتني صبحت سم الأسود

أو حل أمر الله فينا عاجلاً في روحة من يومنا أو في غد
فتقوم ساعتنا فنلقى سيداً محضاً مضاربه كريم المحتد
يا رب فاجمعنا معاً ونبينا في جنة تفقي عيون الحسد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله أسمع ما حييت بهالكٍ إلا بكيت على النبي محمد
ضاقت بالانصار البلاد فأصبحوا سوداً وجوههم كلون الإثمد
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم يجحد
والله أهداه لنا وهدى به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد
ووقفت فاطمة الزهراء رضي الله عنها على قبره صلى الله عليه وسلم فقالت:
ما ضر من قد شم تربة أحمد ألا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائبٌ لو أنها صبت على الأيام صرنا لياليا
وقالت رضي الله عنها:
اغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبي كئيبةٌ أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فلتبكه شرق البلاد وغربها ولتبكه مضرٌ وكل يماني
وليبكه الطود المعظم جوه والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك صنوه صلى عليك منزل الفرقان
نفسي فداؤك ما لرأسك مائلاً ما وسدوك وسادة الوسنان
وقالت صفية بنت عبد المطلب:
أفاطم بكي ولا تسأمي بصبحك ما طلع الكوكب
هو المرء يبكى وحق البكا على الماجد السيد الطيب
فأوحشت الأرض من فقده وأي البرية لا ينكب
فمالي بعدك حتى المما ت إلا الجوى الداخل المنصب
فبكي الرسول وحقت له شهود المدينة والغيب
لتبكيك شمطاء مضرورةٌ إذا حجب الناس لا تحجب
ليبكيك شيخٌ أبو ولدة يطوف بعقوته أشهب
ويبكيك ركبٌ إذا أرملوا فلم يلف ما طلب الطلب
وتبكي الأباطح من فقده وتبكيه مكة والأخشب
فعيني مالك لا تدمعين وحق لدمعك يستسكب
وقالت صفية أيضاً:
عين جودني بدمعة تسكاب للنبي المطهر الأواب
عين من تندبين بعد نبيٍ خصه الله ربنا بالكتاب
فاتحُ خاتمٌ رءوفٌ رحيمٌ صادث القيل طيب الأثواب
مشفق ناصح شفيق علينا رحمة من إلهنا الوهاب
رحمة الله والسلام عليه وجزاه المليك حسن الثواب
وقالت أروى بنت عبد المطلب:
ألا يا عين ويحك أسعديني بدمعك ما بقيت وطاوعيني
ألا يا عين ويحك واستهلي على نور البلاد وأسعديني
فإن عذلتك عاذلةٌ فقولي علام وفيم ويحك تعذليني
على نور البلاد معاً جميعاً رسول الله أحمد فاتركيني

فإلا تقصري بالعذل عني فلومي ما بدا لك أو دعيني
لأمرٍ هدني وأذل ركني وشيب بعد جدتها قروني
وقالت عاتكة بنت عبد المطلب:
يا عين جودي ما بقيت بعبرة سحًّا على خير البرية أحمد
يا عين فاحتفلي وسحّي واسمحي فابكي على نور البلاد محمد
أنّى لك الويلات مثل محمدٍ في كل نائبةٍ تنوب ومشهد
فابكي المبارك والموفق ذا التقى حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المغلل غله بعد المغيب في الضريح الملحد
أم من لكل مدفع ذي حاجة ومسلسلٍ يشكو الحديد مقيد
أم من لوحي الله ينزل بيننا في كل ممسى ليلةٍ أو في غد
فعليك رحمة ربنا وسلامه يا ذا الفواضل والندى والسؤد
وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف أخت مسطح:
أشاب ذوائبي وأذاب ركني بكاؤك فاطم الميت الفقيدا
فأعطيت العطاء فلم تكدر وأخدمت الولائد والعبيدا
وكنت ملاذنا في كل لزبٍ إذا هبت شآميةٌ برودا
وإنك خير من ركب المطايا وأكرمهم إذا نسبوا جدودا
رسول الله فارقنا وكنا نرجي أن يكون لنا خلودا
أفاطم فاصبري فلقد أصابت رزيتك التهائم والنجودا
وأهل البر والأبحار طراً فلم تخطئ مصيبته وحيدا
وكان الخير يصبح في ذراه سعيد الجد قد ولد السعودا
ورثاه صلى الله عليه وسلم غير هؤلاء مما لو استقصينا ذلك لطال، واتسع فيه المجال،
ومراثيه صلى الله عليه وسلم ومدائحه كثيرةٌ تزداد في كل عصر، وتتضاعف في كل دهر،
صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيرا دائما أبدا.
الباب الثاني من القسم الخامس
الخلفاء الراشدين
أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلىّ ابن أبى طالب، وأيّام
الحسن بن علي رضوان الله عليهم أجمعين
أبو بكر
الصديق وشيء من أخباره وفضائله
هو أبو بكر، واسمه عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد
بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب، ومجتمع نسبة مع نسب رسول الله عليه وسلّم
عند مرّة بن كعب.
وأمه سلمى- وكنينها أمّ الخير- بنت صخر بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرّة، وهى بنت

عمّ أبيه.
وكان رضى الله عنه ينعت بعتيق، وقد اختلف في سبب نعته بذلك؛ فقال اللّيث بن
سعد، وجماعة معه: إنمّا قيل له عتيق لجماله وعتاقة وجهه.
وقال مصعب الزّبيريّ وطائفة من أهل النّسب: إنمّا سمّى عتيقا لأنّه لم يكن فى نسبه شىء
يعاب.
وقال آخرون: كان له أخوان: أحدهما يسمّى عتيقا، والآخر عتيقاً؛ مات عتيق قبله،
فسمّى باسمه.
وروى عن موسى بن طلحة، قال: سألت أبى طلحة بن عبيد الله، قلت له: يا أبت، بأي
شئ سمّى أبو بكر عتيقا؟ قال: كانت أمه لا يعيش لها ولد، فلمّا ولدته استقبلت به
البيت، وقالت: اللهمّ إن هذا عتيقك من الموت فهبه لي.
وقال آخرون: إنّما سمّي عتيقاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال: " من سرّه أن
ينظر إلى عتيق من النّار فلينظر إلى هذا" فسمّى عتيقاً بذلك.
وروى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، قالت: إني لفى بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم، وأصحابه بالفناء:؛ وبينهم الستر، إذ أقبل أبو بكر رضى الله عنه، فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى هذا"
قالت: وإن اسمه الذي سمّاه أهله لعبد الله بن عثمان، وسمّى رضى اله عنه بالصدّيق؛
لمبادرته إلى تصديق رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فى خبر الإسراء.
وقال محجن الثقفي في أبى بكر رضى الله عنه:
وسمّيت صدّيقاً، وكلّ مهاجر سواك تسمّى باسمه غير منكر
سبقت إلى الإسلام، والله شاهد وكنت جليسا بالعريش المشهر
وبالغار إذ سمّيت بالغار صاحباً وكنت رفيقا للنّبيّ المطهّر
يعنى بقوله: " بالعريش" في يوم بدر؛ لأنه رضى الله عنه كان مع رسول الله صلى الله صلىّ
عليه وسلّم في العريش؛ لم يكن معه فيه غيره. وبقوله:
" وبالغار إذ سمّيت بالغار صاحبا" قوله تعالى: " ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول
لصاحبه لا تحزن إن الله معنا"
ولنبدأ من أخباره رضى اله عنه بذكر شيء من فضائله، والله المستعان، وعليه التّكلان.
فضائله

ومآثره في الجاهلية والإسلام
كان رضى الله عنه في الجاهلية وجيهاً، رئيسا من رؤساء قريش، وإليه كانت الإشناق في
الجاهلية- والأشناق الدّيات- فكان إذ حمل شيئا قالت فيه قريش: صدّقوه، وامضوا
حمالته وحمالة من قام معه أبو بكر، وإن احتملها غيره خذلوه ولم يصدّقوه.
وكان رضى الله عنه ممّن حرّم الخمر على نفسه، وتنزّه عنها في الجاهلية، وكانت أشراف
قريش تختلف إليه وتزوره، وتستشيره وتقتدي برأيه، وتتربص في الأمور المعضلة إذا غاب إلى
أن يقدم، ويدلّ على ذلك ما قدّمناه في أوائل السّيرة النبوّية من خبره مع الشيخ الكبير
الأزديّ في سفره إلى اليمن، وما بشّره الأزدى به من مبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلّم، وأنّه يعاونه على أمره، وأنّ أبا بكر رضى الله عنه لمّا رجع إلى مكّة، جاءه شيبة
بن ربيعة وأبو جهل ابن هشام وأبو البخترىّ، وعقبة بن أبي معيط، ورجالات قريش
مسلمين عليه. وقولهم له: حدث أمر عظيم؛ هذا محمد بن عبد الله يزعم أنه نبىّ أرسله
الله إلى الناس، ولولا أنت ما انتظرنا به؛ فإذ جئت فأنت النّهية، وقد تقدم ذكر هذه القصة
في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم.
ومثل ذلك لا ينتظر به إلا من لا يمكن أن يقطع الأمر دونه. وفى هذا أقوى دلالة على
فضله وشرفه، ومكانته لديهم. وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بما فيها من خير
وشر.
وأما فضائله رضى الله عنه ومناقبه في الإسلام فكثيرة جداً، قد أبانه رسول الله صلى
الله عليه وسلم بفضائل ومناقب، وخصّه بمزايا لم يخص بها غيره، وذكره في مواطن لم يذكر
فيها سواه.
وقد تقدم من ذلك جملة في أثناء السيرة النبوية فنشير الآن إليها، ونذكر ما سواها ممّا تقف
عليه إن شاء الله تعالى.
فمن فضائله التي تقدم ذكرها سابقته في الإسلام، وأنّه رضوان الله عليه أول من أسلم من
الذكور، وأول من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
روى أبو عمر بن عبد البرّ بسنده إلى الشعبي، قال: سألت ابن عباس- أو سئل ابن

عباس رضى الله عنهما: أي الناس كان أوّل إسلاما؟ فقال: أما سمعت قول حسان بن
ثابت.
إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية، أتقاها وأعدلها بعد النبىّ، وأوفاها بما حملا
الثاني التالي المحمود مشهده وأوّل الناس حقّا صدّق الرسلا
ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لحسان بن ثابت: هل قلت في أبى بكر
شيئا؟ قال: نعم؛ وأنشده هذه الأبيات، وفيها بيت رابع، وهو:
وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدوّ به إذ صعّدوا الجبلا
فسرّر رسول الله عليه وسلم، وقال: " أحسنت يا حسان".
وروى أنّ فيها بيتا خامسا، وهو:
وكان حبّ رسول الله إذ علموا خير البرية لم يعدل به رجلا
ومما يؤيد أنه رضوان الله عليه أول من أسلم ما رواه الجربرىّ، عن أبى نضرة، قال: قال: أبو بكر لعلىّ رضى الله عنهما: أنا أسملت قبلك...، في
حديث ذكره، فلم ينكر عليه.
ومن ذلك أنه رضي الله فدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه. روى عن أسماء بنت
أبى بكر الصديق رضى الله عنهما: أنها قالت، وقد قيل لها: ما أشدّ ما رأيت المشركين
بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: كان المشركون قعودا فى المسجد
الحرام، فتذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يقول فى آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ
دخل رسول الله عليه وسلم، فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوه عن شىء صدقهم، فقالوا:
ألست تقول فى آلهتنا كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى
بكر، فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد، فوجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه، فقال: ويلكم! " أتقتلون رجلاً أن يقول ربّى
الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم" ! فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقبلوا
يضربونه. قالت: فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئا من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.
ومنها، أنه رضى الله عنه أنفق على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يملكه، طيّبةً
بذلك نفسه.

روى عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً، أنفقها كلّها رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم، وفى سبيل الله. وقال رسول الله عليه وسلم: " ما نفعني مال
مثل ما نفعني مال أبى بكر".
ومن رواية أخرى عنه قال: أسلم أبو بكر يوم أسلم وله أربعون ألف دينار، وأعتق سبعة
كلّهم يعذّب في الله، أعتق بلالاً، وعامر ابن فهيرة، وزنّيرة، والنّهدية وابنتها، وجارية بنى
نوفل، وأم عبيس. قد تقدّم خبرهم في السيرة النبوية.
ومنها، أنه رضى الله عنه أسلم على يديه بدعائه نصف العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم:
الزّبير بن العّوام، وعثمان بن عفّان، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد
بن أبي وقّاص، رضوان الله عليهم أجمعين.
وأسلم أبواه، وصحبا رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وأسلم بنوه كلهم، وصحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبوه أبو قحافة، وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر، وابن
ابنة محمد ابن عبد الرحمن، وليست هذه المنقبة لأحد من الصحابة غيره.
ومن ذلك أنه رضى الله عنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار، ورفيقه في
هجرته، وناهيك بهما، وسمّاه عز وجل في كتابه: " صاحبه". فقال تعالى: " إذ يقول
لصاحبه لا تحزن إن الله معنا".
روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وخرج أبو بكر معه؛ لم يأمن على نفسه غيره حتى دخلا الغار.
وعن حبيب بن أبي ثابت في قوله تعالى: " فأنزل الله سكينته عليه". قال: على أبي بكر؛
فأمّا النبي صلّى الله عليه وسلّم فقد كانت عليه السّكينة.
وعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: "
أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار".
وعن سفيان بن عيينه، قال: عاتب الله عز وجلّ المسلمين كلّهم في رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا أبا بكر، فإنه خرج من العاتبة، قال الله تعالى: " إلا تنصروه فقد نصره الله
إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار".

ومن فضائله ومزاياه رضى الله عنه، أنّ رسول صلّى الله عليه وسلّم قدمه للصلاة
بالمسلمين في حياته، وأمر بسدّ الأبواب الشارعة إلى المسجد، إلا باب أبي بكر، وقد تقدّم
ذلك.
ومنها ما روى عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، أنه قال: " رأيت في المنام أني وزنت
بأمّتي فرجحت، ثم وزن أبو بكر فرجح، ثمّ وزن عمر فرجح".
وهذا دليل على أنه رضوان
الله عليه أرجح من الأمة أكثر من مرتين، فإنه رجح الأمة، وعمر رضى الله عنه فيهم،
ورجح عمر الأمة ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لا محالة وروى عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنهما أنه قال ما سابقت أبا بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه ولو وددت
أني شعرة في صدر أبي بكر وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنّ النبي صلّى الله
عليه وسلّم أمر بالصدقة، قال عمر بن الخطاب وكان عندي مال كثير. فقلت: والله
لأفضلنّ أبا بكر هذه المرّة، فأخذت نصف مالي وتركت نصفه، فأتيت به النبي صلّى الله
عليه وسلّم، فقال: " هذا مال كثير، فما تركت لأهلك" ؟ قال: تركت لهم نصفه؛ وجاء أبو
بكر بمال كثير، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " ما تركت لأهلك" ؟ قال: تركت
لهم الله ورسوله. وفي رواية: قلت: لا أسابقك إلى شىء أبدا.
وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في قوله عزّ وجلّ: " فأما من أعطى وأتقى
وصدّق بالحسنى" ؛ نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنت عند النبي صلّى الله عليه وسلم،
وعنده أبو بكر الصديق، وعليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل، فقال:
يا محمد، مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلّها في صدره بخلال! فقال: " يا جبريل، أنفق
ماله علىّ قبل الفتح"، قال: فإنّ الله عزّ وجل يقرأ عليك السّلام، ويقول: قل له: أراض أنت
علىّ في فقرك هذا، أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أسخط على ربّى! أنا عن ربي راض، أنا
عن ربي راض.
وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما، عن النبي صلّى الله عليه وسلم، قال: هبط علىّ

جبريل وعليه طنفسة، وهو متخلّل بها، فقلت: يا جبريل، لم إلىّ في مثل هذا الزّىّ؟ قال إن
الله أمر الملائكة أن تتخلّل في السماء كتخلل أبي بكر في الأرض.
وعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال: رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " من أصبح
منكم صائما اليوم؟ " قال أبو بكر رضى الله عنه: أنا، قال: " من أطعم اليوم مسكينا؟ "
قال أبو بكر: أنا، قال: " من عاد اليوم مريضا؟ " قال أبو بكر: أنا، فقال: " من شهد اليوم
منكم جنازة؟ " فقال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " ما اجتمعت
هذه الخصال في رجل قطّ إلاّ دخل الجنة".
وعن ابن أبي أوفى، قال: خرج علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فأقبل على أبي
بكر وقال: " إني لأعرف اسم رجل واسم أبيه، واسم أمه؛ إذا دخل الجنّة لم يبق غرفة من
غرفها، ولا شرفة من شرفها إلا قال: مرحبا مرحبا! "، فقال سلمان: إن هذا لغير خائب":
فقال: " ذاك أبو بكر بن أبي قحافة".
وعن سلمان بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أبو بكر وعمر خير
الأرض إلا أن يكون نبيا".
قال: وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " الخير ثلثمائة وستون خصلة، إذا أراد الله
بعبد خيرا جعل فيه واحدة منهنّ يدخل بها الجنة"، قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله، هل
في شىء منهنّ؟ قال: " نعم، جميعا من كلّ".
وعن أبي هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل
فأخذ بيدي، فأراني باب الجنّة الذي تدخل منه أمّتي، فقال أبو بكر: وددت أني كنت معك
حتى أنظر إليه! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " إنك يا أبا بكر أول من يدخل
الجنّة من أمّتي".
وعن أبي أمامة قال: استطال أبو بكر ذات يوم على عمر، فقام عمر مغضباً، فقام أبو بكر
فأخذ بطرف ثوبه، فجعل يقول: ارض عنى، اعف عنّى، عفا الله عنك! حتى دخل عمر
الدّار وأغلق الباب دون أبي بكر ولم يكلّمه؛ فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلم فغضب

لأبي بكر، فلمّا صلّى الظهر جاء عمر، فجلس بين يديه، فصرف النبي صلّى الله عليه
وسلم وجهه عنه، فتحوّل يمينّا فصرف وجهه عنه، فلمّا رأى ذلك ارتعد وبكىّ، ثم قال: يا
رسول الله، قد أرى إعراضك عنى، وقد علمت أنك لم تفعل هذا إلا لأمر قد بلغك عنى،
موجدة علي في نفسك وما خير حياتي وأنت علي ساخط وفي نفسك علىّ شىء! فقال:
" أنت القائل لأبي بكر كذا وكذا، ثم يعتذر إليك فلا تقبل منه! " ثم قام النبي صلى الله
عليه وسلم، فقال: " إنّ الله عز وجل بعثنى إليكم جميعا، فقلتم: كذبت، وقال صاحبي:
صدقت؛ فهل أنتم تاركون لي صاحبي! فهل أنتم تاركون لي صاحبي! فهل أنتم تاركون لي
صاحبي! " ثلاثا. فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، رضيت بالله ربّا. وبالإسلام
دينا، وبمحمد نبيا. فقام أبو بكر فقال: والله لأنا بدأته، ولأنا كنت أظلم، فأقبل عمر على
أبي بكر فقال: ارض عنى رضى الله عنك، فقال أبو بكر: يغفر الله لك! فذهب عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبه.
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " لقد
هممت أن أبعث رجالاً من أصحابي إلى ملوك الأرض يدعونهم إلى الإسلام كما بعث
عيسى بن مريم الحواريين".
قالوا: يا رسول الله، أفلا تبعث أبا بكر وعمر فهما أبلغ! فقال: " لا غنى لى عنهما؛ إنما
منزلتهما من الدّين منزلة السمع والبصر من الجسد".
وعن أنى أروى الدّوسى، قال: كنت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلم جالسا، فطلع
أبو بكر وعمر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " الحمد لله الذي أيّدنى بكما".
وعن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم لأبى
بكر: " يا أبا بكر، إن الله أعطاني ثواب من آمن بي منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة،
وإن الله أعطاك يأبا بكر ثواب من آمن بي منذ بعثتي إلى يوم تقوم الساعة"
وعن أبي سعيد الخدرىّ رضى الله عنه، قال: قال رسول سول صلى الله عليه وسلّم: "

لي وزيران من أهل السماء: جبريل وميكائيل ولي وزيران من أهل الأرض: أبو بكر وعمر".
وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما: أنّ النبي صلى الله عليه وسلّم قال لأبى بكر وعمر: "
ألا أخبر كما بمثلكما من الملائكة، ومثلكما في الأنبياء؟ أمّا مثلك أنت يا أبا بكر في
الملائكة فمثل ميكائيل ينزل بالرحمة، ومثلك أيضاً في الأنبياء كمثل إبراهيم إذ كذّبه قومه،
وصنعوا به ما صنعوا، فقال: " فمن تبعني فإنّه منّى ومن عصاني فإنك غفور رحيم".
ومثلك يا عمر في الملائكة كمثل جبريل، ينزل بالبأس والشدّة والنقمة على أعداء الله؛
ومثلك في الأنبياء كمثل نوح إذ قال: " ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا" وعن
عمّار بن ياسر، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " أتاني جبريل آنفًا، فقلت له: يا
جبريل آنفًا، فقلت له: يا جبريل، حدثني بفضائل عمر ابن الخطاب في السماء. فقال: يا
محمد، لو حدّثتك بفضائل عمر بن الخطاب في السّماء مثل ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا
خمسين عاما ما نفدت فضائل عمر، وإنّ عمر حسنة من حسنات أبي بكر".
وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: هبط جبريل على النبي صلّى الله عليه وسلّم فوقف
ثلاثا يناجيه؛ فمرّ أبو بكر الصديق فقال جبريل: يا محمّد، هذا ابن أبى قحافة؛ قال: يا
جبريل، وتعرفونه في السماء؟ قال: إي والذي بعثك بالحقّ؛ لهو أشهر في السماء منه في
الأرض، وإن اسمه في السماء للحليم".
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه سلم: " لو وزن إيمان
أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح".
وعن عبد الرحمن بن أبي بكر؛ أنّه كان يوم بدر مع المشركين، فلمّا أسلم قال لأبيه: لقد
اهتد فت لي يوم بدر، فصرفت، عنك ولم أقتلك؛ فقال أبو بكر: لكنّك لو اهتد فت لي لم
أنصرف عنك.
وعن ابن غنم، أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم قال لأبي بكر، وعمر: " لو اجتمعتما في
مشورة ما خالفتكما".
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: "

أتاني جبريل فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر".
وعن أنس قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج إلى المسجد ومعه المهاجرون
والأنصار، ما أحد منهم يرفع رأسه من حبوته إلا أبو بكر وعمر، فإنّه كان يبتسم إليهما
ويبتسمان إليه.
وعن الزّبير بن العوّام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في غزوة تبوك: " اللّهمّ
بارك لأمتي في أصحابي، فلا تسلبهم البركة، وبارك لأصحابي في بكر، فلا تسلبه البركة،
واجمعهم عليه، ولاتشتّت أمره؛ فإنه لم ينزل يؤثر أمرك على أمره. اللهم أعن عمر ابن
الخطاب، وصبّر عثمان بن عفّان، ووفّق علي بن أبي طالب، وثبّت الزبير، واغفر لطلحة،
وسلّم سعدا، ووفّر عبد الرحمن، وألحق بي السّابقين الأولين من المهاجرين والأنصار
والتابعين بإحسان.
وقيل: لمّا قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حجّة الوداع صعد المنبر، فحمد الله
وأثنى عليه، ثم قال: " يأيّها الناس، إنّ أبا بكر لم يسؤني قطّ، فاعرفوا ذلك له. يأيها الناس،
إنّي راض عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وطلحة ابن عبيد
الله والزّبير بن العوام وسعد بن مالك وعبد الرحمن ابن عوف والمهاجرين الأولين، فاعرفوا
ذلك لهم. يأيّها الناس، إنّ الله قد غفر لأهل بدر والحديبية. يأيّها الناس، احفظوني في
أحبابي وأصهاري وفي أصحابي، لا يطلبنّكم الله بمظلمة أحد منهم، فإنها ليست فيما
يوهب. يأيّها النّاس، ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين، إذا مات الرجل، فلا تقولوا فيه إلا
خيرا"، ثم نزل صلّى الله عليه وسلّم.
وعن عمرو بن العاص، أنّه أتى النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال: أيّ الناس أحب إليك يا
رسول الله؟ قال: عائشة، قال: من الرجال، قال: أبوها. قال: ثم من؟ قال: عمر.
وعن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كنّا مع النبي صلّى الله عليه وسلّم، فقال: " إني مشتاق
إلى إخواني"، فقلنا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله! قال: " كلاّ، أنتم أصحابي وإخواني"
فجاء أبو بكر الصديق، فقال عمر: إنه قال: " إني لمشتاق إلى إخواني، فقلنا: ألسنا

إخوانك؟ فقال: لا، إخواني قوم يؤمنون بي ولم يروني. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "
ألا تحبّ قوماً بلغهم أنّك تحبني فأحبوك لحبّك إياى، فأحبهم الله" !
وعنه قال: رأيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم متّكئاً على على، وإذا أبو بكر وعمر
قد أقبلا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " أحبّهما فحبّهما يدخل الجنّة".
وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: " حبّ
أبي بكر وشكره واجب على أمتي".
وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " حبّ أبى بكر وعمر إيمان، وبغضهما
كفر".
وعن ابن عمر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لمّا ولد أبو
بكر الصّديق أقبل الله تعالى على جنّة عدن، فقال: وعزتي وجلالى لا أدخلك إلّا من يحبّ
هذا المولود" - يعنى أبا بكر.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ في السماء
الدينا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله تعالى لمن أحبّ أبا بكر وعمر"
وعن ابن عمر رضى الله عنهما، قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المسجد بين
أبي بكر وعمر، وهو معتمد عليهما، فقال: " هكذا ندخل الجنة جميعا".
وعن عائشة رضى الله عنها، قالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أول من يعطى
كتابة من هذه الأمة أبو بكر؛ الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر".
وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " تأتى الملائكة بأبي
بكر الصديق مع النبيّين والصّدّيقين تزفّه إلى الجنة زفّاً"
وعن ثابت، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " أول من يعطى كتابة من هذه
الأمّة عمر بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس" فقيل له: فأين أبوبكر يا رسول الله؟
قال: " هيهات! زفّته الملائكة إلى الجنة".
وعن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " كأني
بك يا أبا بكر على باب الجنّة تشفع لأمتي".

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " إذا كان
يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش:
ألا هاتوا أصحاب محمد"، قال: فيؤتى بأبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان بن
عفّان، فيقال لأبى بكر: قف على باب الجنّة، فأدخل الجنة من شئت برحمة الله، ودع من
شئت بعلم الله، ويقال لعمر بن الخطاب: قف على الميزان فثقّل من شئت برحمة الله،
وخفّف من شئت بعلم الله، ويعطى عثمان بن عفّان عصا آس، التي غرسها الله عزّ وجل
في الجنة، ويقال له: ذد النّاس عن الحوض".
وقد ورد في الصحيحين من فضائل أبي بكر رضى الله عنه ما فيه مقنع، وفضائله رضوان
الله عليه كثيرة، وقد ذكرنا جملة كافية، فلنذكر صفته.
صفته
كان رجلا نحيفا طويلا أبيض، خفيف العارضين أجنأ، لا يستمسك إزاره، يسترخي عن
حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع.
هكذا وصفته عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها. وكان يخضب بالحنّاء والكتم.
ذكر ما ورد من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
استخلف أبا بكر على أمته من بعده وحجة من قال ذلك قال الفقيه الحافظ أبو عمر
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمرىء رحمه الله:
استخلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه على أمته من بعده؛ بما أظهر من الدلائل
البيّنة على محبته في ذلك، وبالتعريض الذي يقوم مقام التّصريح بذلك لأنّه لم يؤمر فيه بشيء.
وكان صلى الله عليه وسلم لا يصنع شيئا في دين الله إلا بوحي، والخلافة ركن من أركان
الدين.
قال: ومن الدليل الواضح على ما قلنا، ما حدّثنا سعيد ابن نصر وعبد الوارث بن
سيفان، قالا حدّثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدّثنا أحمد بن زهير، قال: حدّثنا منصور بن
سلمة. وأخبرنا أحمد بن عبد الله، قال: حدّثنا اليمون بن حمزة الحسيني بمصر، قال:
حدّثنا الطّحاوىّ؛ قال: حدثنا المزني، قال: حدّثنا الشافعىّ؛ قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد

أبي وقّاص عن أبيه عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: أتت امرأة إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلّم، فسألها عن شىء، فأمرها أن ترجع إليه. فقالت: يا رسول الله
أرأيت إن جئت ولم أجدك تعني الموت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلّم: " إن لم
تجديني فأت أبا بكر".
قال الشافعي رحمه الله: في هذا الحديث دليل على أنّ الخليفة بعد رسول الله صلّى الله
عليه وسّلم أبو بكر.
وقد تقدم في السيرة النبويّة عن عاصم، عن قتادة، قال: اتباع النبي صلى الله عليه وسلّم
بعيراً من رجل إلى أجل، فقال: يا رسول الله إن جئت فلم أجدك؟ - يعني الموت-، قال:
فائت أبا بكر، قال: فإن جئت فلم أجد أبا بكر يعني بعد الموت قال فأئت عمر قال إن
جئت فلم أجد عمر؟ قال:
إن استطعت أن تموت إذا مات عمر، فمت.
وساق أبو عمر بن عبد البرّ في أدلّته على استخلاف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم له
أحاديث الصلاة، وكونه استخلفه أن يصلّى بالناس في مرضه.
وقد قدمنا ذكر ذلك كلّه في خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وممّا يؤيد ذلك
ويعضّده ما قدّمناه من حديث عائشة رضى الله عنها، وقول رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم لها: " لقد هممت- أو أردت- أن أرسل إلى أبيك، أو أخيك فأقضى أمري، وأعهد
عهدى؛ فلا يطمع في الأمر طامع، ولا يقول القائلون، أو يتمنّى المتمنون" ثم قال: " كلا يأبى
الله ويدفع المؤمنون"، أو " يدفع الله ويأبى المؤمنون".
وقال بعضهم في حديثه: " ويأبى الله إلا أبا بكر".
وفي الحديث الآخر عن أبى مليكة، قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم في مرضه الذي
مات فيه: " ادعوا إلى أبا بكر"، فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء؛ ولكن إن
شئت دعونا لك ابن الخطاب، فقال: " إنكنّ صواحب يوسف، ادعوا أبا بكر وابنه؛
فليكتب؛ أن يطمع في أمر أبى بكر طامع، أو يتمنى متمنّ". ثم قال: " يأبى الله ذلك
والمؤمنون، يأبى الله ذلك والمؤمنون!".
وفي هذا الحديث والذي قبله تصريح على أنه الخليفة بعده، ودليل على أن الكتاب الّذي

أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يكتبه، وتركه لما كثر عنده التنازع؛ إنما كان المراد
به أن ينصّ على أبى بكر في الخلافة. والله تعالى أعلم.
وروى أبو عمر إلى عبد الله بن مسعود، أنه قال: اجعلوا إمامكم خيركم؛ فإن رسول الله
عليه وسلّم جعل إمامنا خيرنا بعده.
وروى الحسن البصرىّ، عن قيس بن عباد، قال: قال لي علىّ ابن أبي طالب رضى الله
عنه: إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مرض ليالي وأياما، ينادى بالصلاة فيقول: " مروا
أبا بكر يصلّى بالناس" ؛ فلما قبض رسول الله عليه وسلّم، نظرت، فإذا الصّلاة علم
الإسلام، وقوام الدّين، فرضينا لدنيانا ما رضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لديننا،
فبايعنا أبا بكر.
وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول: أنا خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ ولذلك
كان يدعى: يا خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.
وروى عن ابن أبى مليكة، قال: قال رجل لأبى بكر يا خليفة الله، قال: لست خليفة الله؛
ولكن أنا خليفة رسول الله عليه وسلم، وأنا راض بذلك.
وروى أبو عمر بسنده، عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، أنه قال: خير هذه الأمة
بعد نبيّها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وكان علي رضي الله عنه يقول سبق رسول الله
صلى الله عليه وسلّم، وصلّى أبو بكر، وثلّث عمر، ثم خبطتنا فتنة يغفر الله فيها عمّن
يشاء. وقال: رحم الله أبا بكر! كان أول من جمع بين اللوحين.
وقال أبو عمر بن عبد البر: وروينا من وجوه، عن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب، أنه
قال: ولينا أبو بكر فخير خليفة، أرحمه بنا؛ وأحناه علينا.
وقال مسروق: حبّ أبى بكر وعمرو معرفة فضلهما من السنّة.
وروى عن علىّ رضى
الله أنه قال: لا يفضّلنى أحد على أبى بكر وعمر إلا جلدته جلد المفترى. والله سبحانه
وتعالى أعلم بالصواب.
بيعة أبى بكر
الصديق رضى الله عنه
وخبر السقفية، وما وقع بين المهاجرين والأنصار من التراجع في الإمارة بويع أبو بكر الصّديق
رضى الله عنه بالخلافة في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة؛

وهو اليوم الذي مات فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، في سقيفة بنى ساعدة، وذلك
قبل أن يشرع في جهاز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.
وكان من خبر سقيفة بنى ساعدة، أنّه لمّا توفّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،
اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة، وقالوا: نولّى هذا الأمر بعد رسول الله صلّى الله
عليه وسلم سعد ابن عبادة، وأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض، فلمّا اجتمعوا قال سعد
لأبيه- أو لبعض بنى عمّه: أني لا أقدر أشكو، أي أن أسمع القوم كلهم كلامى؛ ولكن تلقّ
منى قولي فأسمعهموه، فكان سعد يتكلّم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع به صوته، فيسمع
أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا معشر الأنصار، إن لكم سابقة في الدين،
وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب؛ إن محمدا صلّى الله عليه وسلّم لبث بضع
عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به إلا رجال قليل؛
والله ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسوله، ولا أن يعزّوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم
فيما عمّوا به؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلة؛ ساق إليكم الكرامة، وخصّكم بالنعمة،
ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه.
فكنتم طوعا وكرهاً، وأعطى البعيد المقادة صاغرا داخرا؛ وحتى أثخن الله لرسول بكم
الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب. وتوفّاه الله إليه وهو عنكم راض، وبكم قرير العين.
استبدّوا بهذا الأمر دون النّاس؛ فإنه لكم دون الناس.
فأجابوه بأجمعهم، أن قد وفّقت في الرأى، وأصبت شفى القول، ولن نعدو ما رأيت؛ نولّيك
هذا الأمر؛ فإنك فينا رفيع، ولصالح المؤمنين رضّا.
ثم إنهم ترادوا الكلام، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش؟ فقالة: نحن المهاجرون وصحابة
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه؛ فعلام تنازعوننا الأمر من
بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنا نقول إذّا فمنّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا
أبدا. فقال سعد بن عبادة حين سمعها: هذا أول أول الوهن!
وأتى عمر رضى الله عنه الخبر، فأقبل إلى منزل النبي صلّى الله عليه وسلّم، فأرسل إلى

أبى بكر، وأبو بكر في الدار وعلي بن أبي طالب دائب في جهاز النبي صلى الله عليه
وسلم فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى؛ فأرسل إليه: أني مشتغل، فأرسل إليه: إنه قد
حدث أمر لابدّ لك من حضوره، فخرج إليه، فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في
سقيفة بنى ساعدة، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعد بن عبادة؛ وأحسنهم مقالة من يقول:
منّا أمير ومن قريش أمير!
فخرجا مسرعين نحوهم، فلقيا أبا عبيدة بن الجراح، فمّاشوا إليهم ثلاثتهم، فلقيهم عاصم
بن عدىّ وعوّيم بن ساعدة، فقالا لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار.
قالا: فارجعوا. فاقضوا أمركم بينكم؛ فإنّه لم يكن إلا ما يحبون، فقالوا: لا نفعل.
قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه في حديثه: فقلت: والله لنّتينّهم! قال: فأتيناهم وهم
مجتمعون في سقيفة بنى ساعدة وإذا بين أظهرهم رجل مزمّل، فقلت: من هذا؟ قالوا:
سعد ابن عبادة. قلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع، فقام رجل منهم، فحمد الله وقال: أمّا بعد،
فنحن الأنصار، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهطنا، وقد دفّت إلينا من قومكم
دافّة.
قال: فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويغصبونا الأمر. وقد كنت زوّرت في نفسي
مقالة أقدّمها بين يدي أبى بكر، وكنت أدارى منه بعض الحدّ، وهو كان أوقر منى وأحلم،
فلمّا أردت أن أتكلّم قال لي: على رسلك! وكرهت أن أغضبه، فقام، فحمد الله، وأثنى
عليه، فما ترك شيئا زوّرت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت، إلا قد جاء به، أو بأحسن
منه.
وقال: أمّا بعد، يا معشر الأنصار، فإنّكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا أنتم له أهل، وإن
العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ هم أوسط العرب دارا ونسبا، وأني قد
رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيّهما شئتم. وأخذ بيدي وبيد أبى عبيدة بن
الجراح.
يقول عمر وهو على المنبر: وإني والله ما كرهت من كلامه شيئا غير هذه الكلمة، أن

كنت أقدّم فتضرب عنقي أحبّ إلى من أن أومر على قوم فيهم أبو بكر.
قال: فلما قضى أبو بكر كلامه قام منهم رجل، فقال: أنا جذيلها المحكّك، وعذيقها
المرجّب؛ منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش.
قال عمر: وارتفعت الأصوات، وكثر اللغط، فلما أشفقت الاختلاف قلت لأبى بكر:
ابسط يدك نبايعك، فبسط يده فبايعته، وبايعه المهاجرون، وبايعه الأنصار، ثم نزوا على
سعد؛ حتى قال قائلهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل الله سعدا! وإنا والله ما وجدنا
أمر هو أقوى من مبايعة أبى بكر، إنّا خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة فارقنا القوم ولم
تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم على ما نرض، أو نخالفهم فيكون فشل.
ومن رواية عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمر الأنصاري، وذكر ما تكلّم به أبو بكر
الصديق رضى الله عنه، وما قاله الأنصار، فقال بعد أن ساق ما تقدم أو نحوه، ثم قال:
فبدأ أبو بكر، فحمد اله، وأثنى عليه، ثم قال: إن الله بعث محمدا صلّى الله عليه وسلّم
رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على أمّته؛ ليعبدوا الله ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهةً
شتى، يزعمون أنّها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة، وإنّما هي حجر منحوت، وخشب
منجور. ثم قرأ: " ويعبدون من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاونا
عند الله"، وقالوا: " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" فعظم على العرب أن يتركوا دين
آبائهم، فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به، والمواساة له والصبر معه،
على شدّة أذى قومهم لهم، وتكذيبهم إيّاهم، وكلّ النّاس لهم، وإجماع قومهم عليهم، فهم
أوّل من عبد الله في الأرض، وآمن بالله والرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحقّ الناس بهذا
الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم. وأنتم يا معشر الأنصار، أنتم من لا ينكر فضلهم
في الدين، ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله، وجعل
إليكم هجرته، وفيكم جلّة أزواجه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم،

فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تفاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور.
قال: فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم. فإنّ
الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم؛
وأنتّم أهل العز والثروة، وأولو العدد والتجربة، وذوو البأس والنّجدة؛ وإنما ينظر الناس إلى
ما تصنعون، فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وتنتقض عليكم أموركم، فإن أبى هؤلاء إلا
ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.
فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن! إنه والله لا يرضى العرب أن يؤمّروكم ونبيّها
صلى الله عليه وسلّم من غيركم؛ ولكن العرب لا تمتنع أن تولّى أمورها من كانت النبوّة
فيهم، وولىّ أمورهم منهم؛ ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان
المبين. من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته؛ ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل،
أومتجانف لإثم أو متوّرط في هلكه!
فقام الحباب بن المنذر، فقال: يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة
هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه، فأجلوهم
عن هذه البلاد، وتولّوا عليكم هذه الأمور؛ فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم؛ فإنه
بأسيافكم دان لهذا الدّين من لم يكن يدين، أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرّجب؛ أما والله
لئن شئتم لنعيدنّها جذعةً! فقال له عمر: إذن يقتلك الله! قال: بل إياك يقتل.
فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنّكم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل
وغيرّ.
فقال بشير بن سعد، أبو النعمان بن بشير:
يا معشر الأنصار، إنّا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدّين،
ما أردنا به إلا رضا ربّنا، وطاعة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، والكدح لأنفسنا؛ ما ينبغى
لنا أن نستطيل بذلك على الناس، ولا نبتغى به من الدينا عرضا، فإن الله ولىّ المنة علينا
بذلك؛ ألا إن محمدا صلّى الله عليه وسلّم من قريش، وقومه أحقّ به وأولى. وايم الله لا

يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا! فاتقوا الله ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.
فقال أبو بكر رضى الله عنه: هذا عمر وأبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا؛ فقالا: والله لا
نتولّى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين، وثاني اثين إذهما فى الغار، وخليفة رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم على الصلاة، والصّلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغى له أن
يتقدّمك أو يتولّى هذا الأمر عليك! ابسط نيابعك فلمّا ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن
سعد فبايعه، فناداه المنذر بن الحباب: يا بشير بن سعد، عققت عقاق! ما أحوجك إلى
ما صنعت! أنفست على ابن عمّك الإمارة! قال: لا والله، ولكن كرهت أن أنازع قوماً
حقا جعله الله لهم.
قال: ولّما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج
من تأمير سعد بن عبادة، قال عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضلية، ولا جعلوا
لكم معهم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر. فقاموا إليه فبايعوه، وانكسر على سعد
بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجتمعوا له من أمرهم.
قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه: فروى عن أبي بكر بن محمد الخزاعىّ: إن
أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بها السكك ليبايعوا أبا بكر، فكان عمر يقول: ما هو
إلا أن رأيت أسلم، فأيقنت بالنصر.
قال عبد الله بن عبد الرحمن: فأقبل النّاس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطئون
سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداّ لا تطئوه، فقال عمر: اقتلوه،
اقتلوه، قتله الله ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطاك حتى تنذر عضوك؛ فأخذ
قيس بن سعد بلحية عمر، ثم قال: والله لو حصصت منها شعرة ما رجعت وفي فيك
واضحة.
فقال أبو بكر: مهلاّ يا عمر، الرفق ها هنا أبلغ فأعرض عنه عمر؛ وقال سعد: أما والله لو
أن بي من قوتي ما أقوى على النهوض لسمعتم منى في أقطارها وسككها زئيرا يجحرك
وأصحابك.

أما والله إذا لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. احملونى عن هذا المكان، فحملوه
فأدخلوه داره، وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع؛ فقد بايع الناس وبايع قومك؛ فقال: أما
والله حتّى أرميكم بما في كناني من نبل، وأخضب منكم سنان رمحي، وأضربكم بسيفي
ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتى ومن أطاعني من قومى، فلا أفعل وايم الله: لو أن الجنّ
اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربى وأعلم ما حسابي.
فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع؛ فقال له بشير بن سعد: إنه قد لجّ
وأبى وإنه ليس يبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من
عشيرته. فاتركوه، فليس تركه يضاركم، إنما هو رجل واحد.
فتركوه، وقبلوا مشورة بشير
بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه؛ فكان سعد بن عبادة لا يصلّى بصلاتهم، ولا يجمع
معهم، ويحجّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم، فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر الصديق رضى
الله عنه.
وعن الضّحاك بن خليفة، أنّ سعد بن عبادة بايع.
وعن جابر، قال: قال سعد بن عبادة
يؤمئذ لأبى بكر: إنّكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة، وإنّك وقومي أجبرتموني
على البيعة؛ فقال أبو بكر: إنّا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت فى سعة،
ولكنّا أجبرناك على الجماعة فلا إقالة فيها؛ لئن نزعت يداّ من طاعة، أو فرّقت جماعة
لأضربنّ الذي فيه عيناك.
و حكى أبو عمر بن عبد البرّ رحمه الله؛ أنّ عمر رضى الله عنه قال: نشدتكم الله! هل
تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أمر أبا بكر أن يصلّى بالناس! فقالوا: اللهم
نعم، قال: فأيّكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله صلّى الله عليه وسلم
فقالوا: كلنا لا تطيب نفسه، ونستغفر الله. وبايعوه.
قال: ثم بويع البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم، وتخلّف عن بيعته سعد بن عبادة،
وطائفة من الخزرج، وفرقة من قريش، ثم بايعوه بعد غير سعد.
وقيل: إنه لم يتخلّف عن بيعته يومئذ أحد من قريش.

وقيل: تخلّف عنه قريش: علىّ، والزّبير، وطلحة، وخالد ابن سعد بن العاص. ثم بايعوه
بعد.
وقد قيل: إن علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه لم يبايعه إلا بعد موت فاطمة رضى الله
عنها، ثم لم يزل سامعا مطيعا له، يثنى عليه ويفضّله.
وقيل: إنه تخلّف علىّ وبنو هاشم والزّبير وطلحة عن البيعة، وقال الزّبير: لا أغمد سيفى
حتى يبايع علىّ، فقال عمر: خذوا سيفه، فاضربوا به الحجر؛ ثم أتاهم عمر فأخذهم
للبيعة.
وقيل: إنّ عليّا لما سمع ببيعه أبى بكر خرج في قميص، ما عليه إزار ولا رداء، عجلاً
حتى بايعه، ثم استدعى إزاره ورداءه.
وحكى محمد بن إسحاق رحمه الله؛ عن عبد الله بن أبي بكر، أن خالد بن سعيد بن
العاص قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فتربّص ببيعته لأبي بكر
شهرين، وكان يقول: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلّم ولم يعزلنى، ثم بايع أبا بكر.
فلمّا بعث أبو بكر الجنود إلى الشام، كان أول من بعث على ربع منها خالد بن سعيد، فلم
يزل به عمر حتى عزله، وأمّر يزيد ابن أبى سفيان، وكان عمر رضى الله عنه قد اضطغن
عليه تأخره عن بيعة أبى بكر.
وعن عكرمة، قال: لمّا بويع لأبى بكر تخلّف عن بيعته علىّ، وجلس في بيته، فلقيه عمر،
فقال: تخلّفت عن بيعة أبي بكر، فقال: أني أكتب بيمين حين قبض رسول الله عليه وسلّم
ألا أرتدي برداء إلا إلى الصلاة المكتوبة؛ حتى أجمع القرآن؛ فأنى خشيت أن ينفلت، ثم
خرج فبايع.
وعن مالك بن مغول، عن ابن أبجر، قال: لما بويع لأبى بكر الصديق جاء أبو سفيان بن
حرب إلى علىّ، فقال: غلبكم على هذا الأمر أرذل بيت في قريش أما والله لأملأنّها خيلا
ورجلا فقال له علىّ: مازلت عدوّ الإسلام وأهله، فما ضرّ ذلك الإسلام وأهله شيئا.
إنّا رأينا أبا بكر لها أهلا.ورواه عبد الرزاق، عن ابن المبارك.
وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عليّا والزبير كان حين

بويع لأبى بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها في أمرهم، فبلغ ذلك عمر، فدخل عليها
فقال: يا بنت رسول الله، ما كان من الخلق أحد أحبّ إلينا من أبيك، وما أحد أحبّ
إلينا بعده منك، وقد بلغني أن هؤلاء النّفر يدخلون عليك، ولئن بلغنى لأفعلنّ ولأفعلن ثم
خرج وجاءوها فقالت لهم: إن عمر قد جاءني وحلف إن عدتم ليفعلنّ، وايم الله ليفينّ بها،
فانظروا في أمركم، ولا تنظروا إلى؛ فانصرفوا ولم يرجعوا حتى بايعوا لأبى بكر. رضى الله
عنهم أجمعين.
وهذا الحديث يردّ قول من زعم أن علىّ بن أبى طالب لم يبايع إلا بعد وفاة فاطمة رضى
الله عنها.
ولما بويع لأبى بكر رضى الله عنه، قال ابن أبى عزّة القرشى الجمحىّ:

شكراً لمن هو بالثّناء خليق ذهب اللّجاج وبويع الصّدّيق
من بعد ما ذهبت بسعد بغله ورجا رجاءً دونه العيّوق
جاءت به الأنصار عاصب رأسه فأتى به الصديق والفاروق
وأبو عبيدة والّذين إليهم نفس المؤمل للبقاء تتوق
كنّا نقول لها علىّ والرضا عمر وأولاهم بتلك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها إنّ المنوّة باسمه الموثوق

وروى عن سعيد بن المسيّب، قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ارتجت
مكة فسمع أبو قحافة فقالوا ما هذا فقالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: أمر
جلل، فمن ولى بعده؟ قالوا: ابنك، قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟
قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى الله، ولا معطى لما منع الله. والله تعالى أعلم، والحمد لله
وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ذكر ما تكلم به أبو بكر الصديق
بعد بيعته وما قاله عمر بن الخطاب
بعد البيعة الأولى وقبل البيعة الثانية العامة

روى أنسى بن مالك، قال: لما بويع أبو بكر رضى الله عنه في السّقيفة، وكان الغد، جلس
أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبى بكر، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله،
وقال: أيها الناس، إنّى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلاّ عن رأيى، وما وجدتها
في كتاب الله، ولا كانت عهدا عهده إلينا رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ولكن قد كنت

أرى أنّ رسول الله صلّى الله صلّى الله عليه وسلّم سيدبّر أمرنا حتى يكون آخرنا، وإنّ
الله قد أبقى فيكم كتابه الّذى هدى به رسوله، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه
له، وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وثانى
اثنين إذهما في الغار؛ فقوموا فبايعوا. فبايع الناس أبا بكر بيعة العامّة بعد بيعة السقيفة.
ثم تكلّم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال: أمّا بعد؛ أيها النّاس،
فإنّي قد ولّيت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني،
الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضّعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء
الله، والقوي منكم الضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد
في سبيل الله، فإنّه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذلّ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمّهم
الله بالبلاء.
أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم؛ قوموا
إلى صلاتكم، يرحمكم الله.
يعني بالصّلاة هنا،الصّلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلم- فإن خطبته هذه كانت
قبل دفنه صلّى الله عليه وسلّم.
وقول عمر بن الخطاب في كلامه: " إنى قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة" إشارة إلى ما كان
قد تكلّم به عند وفاة رسول الله عليه وسلّم من إنكاره أنّه مات، على ما قدّمناه ذكره فى
خبر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم؛ وإنّما أوضحنا هذا الكلام في هذا الموضع لئلا
يتبادر إلى ذهن من يسمعه ممنّ لم يطالع ما قبله، ولا علم الواقعة فيتوهّم أن كلامه بذلك
رجوع عّما تكلّم به بالأمس في شأن بيعه أبي بكر رضي الله تعالى عنه.
وعن عاصم بن عدىّ، أنه قال: وقام أبو بكر رضى الله عنه من بعد الغد- يعني من يوم
بيعته- فحمد الله، وأثنى عليه، ثمّ قال: يأيّها الناس؛ إنما أنا مثلكم، وإنّي لا أدري لعلكم
ستكلّفوني ما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يطيق، إن الله اصطفى محمدا على

العالمين، وعصمه من الآفات، فإنّما أنا متّبع ولست بمبتدع فإن استقمت فاتّبعوني، وإن
زغت فقوموني، وإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبض، وليس أحد من هذه الأمة
يطلبه بمظلمة؛ ضربة سوط فما دونها؛ ألا وإنما لي شيطان يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني،
لا أوثّر في أشعاركم وأبشاركم، وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيّب علمه، فإن
استطعتم ألّا يمضى هذا الرجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلاّ
بالله. فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال فإن قوماً
نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم. الجدّ الجدّ، والوحي
الوحى، والنّجاة النّجاة، وإن وراءكم طالبا حثيثاً، أجلا مرّة سريع. واحذروا الموت،
واعتبروا بالآباء والأنباء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبط به الأموات.
وقام أيضا رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قام: إن الله لا يقبل من الأعمال إلاّ
ما أريد به وجهه فأريدوا الله بأعمالكم، واعلموا أنّ ما أخلصتم لله من أعمالكم، فطاعة
أتيتموها، وحظّ ظفرتم به، وضرائب أدّيتموها، وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية،
لحين فقركم وحاجتكم، واعتبروا يا عباد الله بمن مات منكم، وفكّروا فيمن كان قبلكم.
أين كانوا قبلكم.
أين كانوا أمس وأين هم اليوم! أين الجبّارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة ومواطن
الحروب؟ قد تضعضع بهم الدّهر وصاروا رميما، قد تركت عليهم القالات؛ الخبيثات
للخبيثين، والخبيثون للخبثيات.
وأين الملوك الّذين أثاروا الأرض وعمروها، قد بعدوا، ونسى ذكرهم، وصار كلا شىء.
ألا إنّ الله قد أبقى عليهم التّبعات، وقطع عنهم الشّهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم،
والدّنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلقاً بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا.
أين الوضّاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم! صاروا تراباً، وصار ما فرّطوا فيه
حسرةً عليهم.

أين الذين بنوا المدائن؛ وحصّنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب! قد تركوها لمن
خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، هل تحسن منهم من أحد، أو تسمع
لهم ركزا!
أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم؛ فوردوا على ما قدّموا،
فملّوا عليه وأقاموا للشّقوة أو السّعادة فيما بعد الموت؛ ألا إنّ الله لا شريك له، ليس بينه
وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، ولا يصرف به عنه شراً إلا بطاعته واتّباع أمره.
واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وأنّ ما عنده لا يدرك إلا بطاعته. ألا وإنّه لا خير بخير بعده
النّار، ولا شرّ بشرّ بعده الجنة.
والله سبحانه وتعالى أعلم.
انفاذ جيش أسامة
قد ذكرنا في السيرة النبوية في الغزوات والسّرايا؛ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم كان
قد جهّز أسامة بن زيد قبل وفاته، وندب معه جماعة من أعيان المهاجرين والأنصار، منهم
أبو بكر وعمر. وذكرنا أيضا ما تكلّم به من تكلم من الصحابة في شأنه، وما قاله رسول
الله صلى الله عليه وسلم عندما بلغه ذلك، من الثناء على أسامة ابن زيد وعلى أبيه بن
حارثة، واستخلافه للإمارة، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبض وجيش أسامة
بالجرف.
فلمّا بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كان أوّل ما بدأ به أن أمر منادى في الناس من
بعد الغد من متوفّي رسول الله عليه وسلّم ليتمّم بعث أسامة: ألا لا يبقينّ في المدينة أحد
من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف.روى ذلك عن عاصم بن عدي. وعن
هشام بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: لما بويع أبو بكر الصديق رصي الله عنه، وجمع
الأنصار على الأمر الذي افترقوا عنه، قال: ليتمّ بعث أسامة، وقد ارتدت لعرب، إما
خاصة فى كل قبيلة، ونجم النّفاق، واشرأبّت اليهودية والنّصرانية، والمسلمون كالغنم
المطيرة، في الليلة الشاتية؛ لفقد نبيهم وقلّتهم، وكثرة عدوهم.

فقال له النّاس: إن هؤلاء جلّ المسلمين، والعرب على ما ترى؛ قد انتقضت بك، فليس
ينبغى لك أن تفرّق عنك جماعة المسلمين.
فقال أبو بكر: والذي نفس أبي بكر بيده، لو ظننت أن السّباع تخطفني لأنفذت بعث
أسامة كما أمر به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل ولو لم يبق في القرى غيره لأنفذته
وعن الحسن بن أبي الحسن قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً
على أهل المدنية ومن حولهم، وفيهم عمر ابن الخطاب، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فلم
يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فوقف أسامة بالناس،
ثم قال لعمر بن الخطاب: ارجع إلى خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فا ستأذته،
يأذن لي أن أرجع بالناس، فإن معي وجوه الناس وحدهم، ولا آمن على خليفة رسول الله
عليه وسلّم وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن
أبى إلا نمضي؛ فأبلغه عنا، واطلب إليه أن يولى أمرنا رجلاً أقدم سنّا من أسامة.
فخرج عمر بأمر أسامة، فأتى أبا بكر، فأخبره بما قال أسامة، فقال أبو بكر: لو خطفتني
الكلاب أو الذئاب لم قضاء قضي به رسول الله عليه وسلّم، قال: فإنّ الأنصار أمروني أن
أبلغك أنّهم يطلبون إليك أن تولّى أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر وكان
جالساً. فأخذ بلحية عمر، وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب! استعمله رسول
الله صلى اللله عليه وسلم، وتأمرني أن أنزعه! فخرج عمر إلى الناس، فقالفوا: ما
صنعت؟ فقال: امضوا ثكلتكم أمّهاتكم! ما لقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم! ثم خرج أبو بكر رصي الله عنه حتى أتاهم، فأشخصهم وشيعهم
وهو ماش؛ وأسامة راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابّة أبي بكر، فقال له أسامة: يا
خليفة الله، وما علىّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعةً؛ فإن للغازي بكل خطوة يخطوها
سبعمائة خطيئة؛ حتى إذا انتهى أبو بكر، قال لأسامة: إن رأيت أن تعيني بعمر فافعل،

فأذن له، ثم قال: يأيّها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي: لا تخونوا ولا تغلّوا ولا
تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا
تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمروت بأقوامٍ قد
فرغواً أتفسهم بالصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على أقوام يأتونكم
بأنيةٍ فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيءٍ فاذكروا اسم الله عليها. وسوف
تلقون أقواماً قد فحصوا اوساط رءوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم
بالسيف خفقاً، اندفعوا باسم الله.
ثم أوصى أسامة أن يفعل ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسار وأوقع بقبائل
قضاعة التي ارتدت، وغنم وعاد، وكانت غيبته أربعين يوماً، وقيل: سبعين يوماً، قيل:
أربعين؛ سوى مقامه ومقفله راجعا.
وكان إنفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين، فإنّ العرب قالوا: لو لم تكن لهم
قوة ما أرسلوا هذا الجيش؛ فكفّوا عن كثير مما كانواعزموا على فعله، وذلك ببركة اتّباع أمر
رسول الله لّى الله عليه وسلّم.
من ادعى النبوة
من الكذابين
وما كان من أمرهم، وتجهيز أبي بكر الصديق
الجيوش إليهم، وإلى من ارتدّ من قبائل العرب
قال المؤرخون: كان ادّعى النبوة في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة،وهم:
الأسود العنسى، وطليحة الأسدي، ومسيلمة الكذّاب، وادّعت النبوّة سجاح بنت الحارث
التميمية.
فأما الأسود العنسي، واسمه عبهلة بن كعب بن عوف العنسى- بالنّون الساكنة، وعنس
بطن من مذحج- فكان يلقّب ذا الخمار لأنه كان متخمراً أبدا.
وقال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ: إنه كان له حمار معلم يقول له: اسجد لربك،
فيسجد. ويقول له: ابرك فيبرك. فقيل له: ذا الحمار. والله تعالى أعلم.
وكانت ردّته أول ردّة كانت في الإسلام، وغلب على صنعاء إلى عمان إلى الطائف.

وكان من خبره ما روى عن الضحّاك بن فيروز الدّيلى عن أبيه؛ قال: أول ردّة كانت في
الأسلام باليمن، ردّة كانت على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، على يد ذي الخمار
عبهلة بن كعب- وهو الأسود- في عامّة مذحج، خرج بعد الوداع. وكان الاسود كاهنا
مشعبذاً، وكان يريهم الأعاجيب، ويسبى قلوب من سمع منطقه، وكان أول ما خرج أن
خرج من كهف خبّان- وهي كانت موطنه وداره، وبها ولد ونشأ- فكاتبته مذحج
وواعدوه نجران، فوثبوا عليها، وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص، ثم
أنزلوه منزلهما، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك فأجلاه، ونزل منزله، فلم
يلبث عبهلة بنجران أن سار إلى صنعاء فأخذها، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم.
وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلم جمع لباذام، حين أسلم، وأسلمت اليمن كلها على
جميع مخالفيها، فلم يزل عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام حياته لم يعزله عنها ولا
عن شيء منها ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام، ففرّق رسول الله صلى الله
عليه وسلم عمل اليمن على جماعة من أصحابه، وهم: شهر باذام، وعامر بن شهر
الهمداني، وعبد الله بن قيس أبو موسى، خالد ابن سعيد بن العاص، والطاهر بن أبي
هالة، ويعلى بن أمية، وعمرو ابن حزم. وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي،
وعكّاشة ابن ثور بن أصغر الغوثي؛ على السكاسك والسكون، ومعاوية بن كندة. وبعث
معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين: اليمن وحضرموت.
وروى عن عبيد بن صخر، قال: بينما نحن بالجند؛ قد أقمناهم على ما ينبغي، وكتبنا
بيننا وبينهم الكتب؛ إذ جاءنا كتاب من الأسود: أيها المتوّردون علينا، أمسكوا علينا ما
أخذتم من أرضنا، ووفروا ما جمعتم، فنحن أولى به، وأنتم على ما أنتم عليه، فقلنا
للرسول: من أين جئت؟ قال: من كهف خبّان؛ ثم كان وجهه إلى نجران حتى أخذها في
عشر لمخرجه، وطابقه عوام مذحج؛ فبينا نحن ننتظر في أمرنا ونحن نجمع جمعنا إذ أتينا.

فقيل: هذا الأسود بشعوب، وقد خرج إليه شهر بن باذام، وذلك لعشرين ليلة من منجمه؛
فبينا نحن ننتظر الخبر على من تكون الدّبرة؛ إذ أتانا أنه قتل شهر اً، وهزم الأنباء، وغلب
على صنعاء، لخمس وعشرين ليلة من منجمه.
وخرج معاذ هاربا حتى مركز العلا للكمبيوتر بأبي موسى وهو بمأرب، فاقتحما
حضرموت، فأما معاذ فإنه نزل في السكون، وأما أبو موسى فإنه نزل في السّكاسك، وانحاز
سائر أمراء اليمن إلى الطاهر إلا عمرا وخالداً، فإنهما رجعا إلى المدنية، والطّاهر يومئذ في
وسط بلادعكّ بحيال صنعاء؛ وغلب الأسود على ما بين صهيد- مفازة حضرموت- إلى
عمل الطائف، إلى الحرين قبل عدن، وطابقت عليه اليمن، وعكّ بتهامة معترضون عليه،
وجعل يستطير استطارة الحريق، وكان معه يوم لقى شهر بن باذام سبعمائة فارس سوى
الرّكبان، واستغلظ أمره، ودانت له سواحل من السواحل وعدن والجند؛ ثم صنعاء إلى
عمل الطائف إلى الأحسية وغيرها.
وعامله المسلمون بالبقيّة، وعامله أهل الرّدة بالكفر، والرجوع عن الإسلام،
وكان خليفته في مذحج عمرو بن عدي كرب، وأسند أمر جنده إلى قيس بن عبد يغوث،
وأسند أمر الأنباء إلى فيروز وداذويه. فلمّا أثخت في الأرض استخفّ بقيس وبفيروز
وبداذويه.
وتزوج امرأة شهر، وهي ابنة عم فيروز.
قال أبو عبيد بن صخر: فبينا نحن كذلك بحضرموت، ولا نأمن أن يسير إلينا الِأسود، أو
أن يبعث إلنيا جيشا، أو يخرج بحضرموت خارج يدّعى بمثل ما أدّعى به الاسود، فنحن
على ظهر، فحدبوا لصهره علينا- وكان معاذ بها معجبا- فإن كان يقول فيما يدعو الله به:
اللّهم ابعثني يوم القيامة مع السّكون، ويقول أحياناً: اللّهم اغفر للّسكون؛ إذ جاءتنا كتب
النبي صلّى الله عليه وسلّم، يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمجاولته ومصاولته، وأن نبلغ كل من
رجاء عنده شيئا من ذلك عن النبي صلّى الله عليه وسلّم.
فقام معاذ في ذلك بالّذي أمره به، فعرفنا القوّة ووثقنا بالنصر.
وعو جشيش بن الدّيلمىّ،

قال: لما قدم علنيا وبر بن يحنس بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيه بالقيام على
ديننا، والنهوض في الحرب، والعمل في الأسود، إمّا غيلةً، وإما مصادمة، وأن نبلغ عنه من
رأينا أنّ عنده نجدة ودينا، فعملنا في ذلك، فرأينا أمرا كثيفا، ورأيناه قد تغيّر لقيس بن عبد
يغوث- وكان على جنده- فقلنا: يخاف على دمه فهو لأول دعوة، فدعوناه وأنبأناه الشأن،
وأبلغناه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكأنّما وقعنا عليه من السماء، وكان في غمّ
وضيق بأمره، فأجانبا إلى ما أجبنا من ذلك، وكاتبنا النّاس، ودعوناهم. فأخبره الشيطان
بشيء، فأرسل إلى قيس وقال: يا قيس، ما يقول هذا؟ قال: وما يقول؟ قال: يقول: عمّدت
إلى قيس فأكرمته؛ حتى إذا دخل منك كل مدخل، وصار في العزّ مثلك؛ مال ميل عدوك،
وحاول ملكك، وأضمر على الغدر، إنه يقول: يا أسود يا أسود! يا سوءة، يا سوءة!
اقطف قنته، وخذ من قيس أعلاه؛ وإلاّ سلبك، أو قطف قنّتك. فقال قيس وحلف به؛ كذب وذي الخمار؛ لأنت أعظم في نفسي، وأرجي عندي من أن
أحدث بك نفسي! فقال: ما أجفاك! أتكذب الملك! صدق الملّك، وعرفت الآن أنك
تائب مما أطّلع عليه منك، ثم خرج فأتانا فقال: يا جشيش، يا فيروز، يا داذويه! إنه قد قال
وقلت: فما الرأي؟ فقلنا: نحن على حذر؛ فإنا في ذلك، إذ أرسل إلينا؛ فقال: ألم أشرفكم
على قومكم! ألم يبلغني عنكم! فقلنا: أقلنا مرّتنا هذه؛ فنجونا، ولم نكد، وهو في ارتباب
من أمرنا وأمر قيس، ونحن في ارتياب وعلى خطر عظيم؛ إذ جاءنا اعتراض عامر بن شهر
وذي زود وذي مرّان وذي الكلاع وذي ظليم عليه، وكاتبونا وبذلوا لنا النّصر، وكاتبناهم؛
وأمرناهم ألا يحركوا شيئا حتى نبرم الأمر، وإنما اهتاجوا لذلك حين جاء كتاب رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم إليهم. وكتب التبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران، إلى عربهم
وساكني الأرض من غير عربهم، فتنحّوا، وانضمّوا إلى مكان واحد. وبلغه ذلك، وأحس
بالهلاك، وفرّق لنا الرأي، فدخلت على آزاد-وهي امرأته- فقلت: يابنت عمّ، قد عرفت

بلاء هذا الرجل عند قومك؛ قتل زوجك، وطأطأ في قومك القتل، وسفل بمن بقي منهم،
وفضح النساء، فقالت: أو قتله، قالت: نعم والله ما خلق الله شخصّا أبغض إلىّ منه؛ ما
يقوم الله على حقّ، ولا ينتهي له عن حرمه، فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بمأتي هذا
الأمر. فأخرج فإذا فيروز وداذويه ينتظراني، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه، فقال له
رجل قبل أن يجلس إلينا: الملك يدعوك، فدخل في عشرة من مذحج وهمذان فلم يقدر
على قتله معهم.
فقال: يا عبهلة بن كعب بن غوث، أمنّى تحضّن بالرجال! ألم أخبرك الحق وتخبرني
الكذابة! إنه يقول: يا سوءة، إلا تقطع من قيس يده، يقطع قنّتك العليا، حتى ظنّ أنه قاتله.
فقال: إنه ليس من الحقّ أن أقتلك وأنت رسول الله؛ فمرني بما أحببت، فأما الخوف والفزع
فأنا فيهما مخافة أن تقتلني، وإمّا قتلتني فموته أهون علىّ من موتات أموتها كلّ يوم. فرقّ له
وأخرجه؛ فخرج إلينا، فأخبرنا. وقال: اعملوا عملكم، وخرج إلينا في جمع، فقمنا مثولاً له،
وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير، فقام وخطّ خطّا، وأقيمت من ورائه، وقام من دونها
فنحرها غيرها غير محبسّة ولا معقّلة، ثم خلاّها ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثم خلاها
فجالت إلى أن زهقت.
فما رأيت أمراً كان أفظع منه، ولا يوماً أوحش منه، ثم قال: أحق ما بلغني عنك يا
فيروز؟ - وبوّأ له الحربة- لقد هممت أن أنحرك فأتبعك هذه البهيمة؛ فقال: اخترتنا
لصهرك، وفضّلتنا على الأنباء، فلو لم تكن نبياً ما بعنا نصبينا منك بشيء، فكيف وقد
اجتمع لنا بك أمر آخرة ودينا! لا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك؛ فإنا بحيث تحبّ؛ فقال:
اقسم هذه، فأنت أعلم بمن هنا.
فاجتمع إلى أهل صنعاء، وجعلت آمر للرهط بالجزور، ولأهل البيت بالبقرة، ولأهل الحلّة
بعدّة، حتى أخذ أهل كلّ ناحية بقسطهم. فلحق به قبل أن يصل إلى داره- وهو واقف
علىّ- رجل يسعى إليه بفيروز، فاستمع له، واستمع له فيروز، وهو فيقول: أنا قاتله غداً

وأصحابه، فاغد عليّ، ثم التفت فإذا به؛ فقال: مه! فأخبره بالّذي صنع؛ فقال: أحسنت،
وضرب دابّته داخلاً، فرجع إلينا فأخبرنا بالخبر، فأرسلنا إلى قيس، فجاءنا، فأجمع ملؤهم
أن أعود إلى المرأة؛ فأخبرها بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر، فأتيت المرأة، وقلت: ما عندك؟
قالت: هو متحرز متحرّس، وليس من القصر شيء إلا والحرس محيطون به غير هذا البيت؛
فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق، فإذا أمسيتم فانقبوا عليه، فإنكم من دون
الحرس؛ وليس دون قتله شيء. وقالت: إنكم سترون فيه سراجاً وسلاحاً، فخرجت
فتلقّاني الأسود خارجاً من بعض منازله؛ فقال: ما أدخلك عليّ؟ ووجأ رأسي حتى
سقطت؛ وكان شديداً، وصاحت المرأة فأدهشته عنّي؛ ولولا ذلك لقتلني؛ وقالت: ابن عمي
جاءني زائرا؛ فقال: اسكتي لا أبا لك! فقد وهبته لك فتزيّلت عني فأتيت أصحابي فقلت
النجاة الهرب وأخبرتهم الخبر، فإنّا على ذلك حيارى إذ جاءني رسولها: لا تدعنّ ما
فارقتك عليه، فإني لم أزل به حتى اطمأنّ. فلمّا أمسينا عملنا في أمرنا، وقد واطأنا
أشياعنا، وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين، فنقبنا البيت من خارج، ثم دخلنا
وفيه سراج تحت جفنة، والتقينا بفيروز- وكان أنجدنا وأشدنا- فقلنا: انظر ماذا ترى؟
فخرج ونحن بينه وبين الحّرس معه في مقصورته، فلمّا دنا من باب البيت سمع غطيطا
شديداً، فإذا المرأة جالسة، فلمّا قام على الباب أجلسه الشيطان، فكلّمه على لسانه وإنه
ليغطّ جالساً. وقال أيضاً: مالي ولك يا فيروز! فخشى إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة،
فعاجله فخالطه وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله، فدقّ عنقه، ووضع ركبتيه في ظهره
فدقّه، ثم قام ليخرج، أخذت المرأة بثوبه، وهي ترى أنّه لم يقتله، فقالت: أين تدعني؟ قال:
أخبر أصحابي بمقتله؛ فأتانا، فقمنا معه، فأردنا حزّ رأسه، فحرّكه الشيطان فاضطرب فلم
يضبطه. فقلت: اجلسوا على صدره، فجلس اثنان على صدره، وأخذت المرأة بشعره،
وسمعنا بربرة، فأمرّ الشّفرة على حلقه، فخار كأشدّ خوار ثور سمعته قطّ.

فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة، فقالت المرأة:
النبي يوحى إليه؛ فخمد، ثم سمرنا
ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبر أشياعنا؛ ليس غيرنا ثلاثتنا فيروز
وداذويه وقيس، فاجتمعنا
على النداء بشعارنا الذي بيننا.
روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أتي الخبر
النبي صلّى الله عليه وسلّم
من السماء الليلة التي قتل فيها العنسيّ ليبشّرنا فقال: قتل
الأسود البارحة، قتله رجل
مبارك من أهل بيت مباركين قيل: ومن هو؟ قال: فيروز.
وعن فيروز؛ قال: قتلنا الأسود، وعاد أمرنا كما كان، إلا أنّا
أرسلنا إلى معاذ؛ فتراضينا
عليه، فكان يصلّى بنا في صنعاء، فو الله ما صلّى بنا إلا ثلاثا
ونحن راجعون مؤمّلون،
حتى أتي الخبر بوفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،
فانتقضت الأمور، وأنكرنا كثيرا ممّا
كنا نعرف، واضطربت الأرض.
وكانت مدّة العنسىّ من حين ظهور أمره إلى أن قتل ثلاثة
أشهر. وعن الضحاك بن فيروز،
قال: كان ما بين خروجه بكهف خبّان إلى مقتله نحوا من أربعة
أشهر، وقد كان قبل متسرّاً
بأمره حتى نادى بعد.
وقال أبو بشر الدّولابي: إنه قتل في خلافه أبي بكر رضي الله
عنه. والله أعلم.وقيل: أتي
الخبر بمقتله إلى المدينة في آخر ربيع الأوّل، سنة إحدى عشرة،
بعد إنفاذ جيش أسامة بن
زيد، فكان ذلك أول فتح لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. روى
أبو عمر بن عبد البر
بسند يرفعه إلى شرحبيل بن مسلم الخولاني أن الأسود بعث
إلى أبي مسلم عبد الله
الخولاني، فلما جاءه قال: أتشهد أنّي رسول الله؟ قال: ما
أسمع، قال: أتشهد أن محمداً
رسول الله؟ قال: نعم فردد ذلك عليه كل ذلك يقول، فردّد ذلك
يقوم مثل ذلك. قال: فأمر
بنار عظيمة فأجّجت، ثم ألقى فيها أبا مسلم، فلم تضرّه شيئاً.
فقيل له: انفه عنك والا
أفسد عليك من اتبعك، فأمره بالرّحيل، فأتى أبو مسلم المدينة
وقد قبض رسول الله صلّى
الله عليه وسلّم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأناخ
أبو مسلم راحلته بباب
المسجد، وقام فصلّى إلى سارية، وبصربه عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال: ممّن

الرجل؟ فقال: من أهل اليمن، قال: ما فعل الذي أحرقه الكذّاب بالنار؟ قال: ذاك عبد
الله بن ثوب، وقال: أنشدك الله أنت هو! قال: اللّهم نعم، قال: فاعتنقه عمر، وبكى. ثم
ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر، ثم قال: الحمد لله الذي لم يمتنى حتى أرى
في أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله صلّى الله عليه
وسلّم. هذا ما كان من أمر العنسىّ، وأمّا بقية الكذّابين؛ فسنذكر أخبارهم عند ذكرنا
تجهيز أبي بكر الجيوش إن شاء الله تعالى.

غزوة أبي بكر
وقتاله أهل الردة وعبس وذبيان

قالوا: لما قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ارتدّت العرب كلّها إلا قريشاً وثقيفا،
وأتت وفود العرب إلى أبي بكر الصّديق رضي الله عنه مرتدّين يقروّن بالصّلاة، ويمنعون
الزكاة، فلم يقبل ذلك منهم وردّهم، وقال: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدّونها إلى رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم لقاتلتهم عليها. وخرج في جمادى الآخرة منها، واستخلف على
المدينة أسامة بن زيد، وقيل: سنانا الضّمرىّ، وسار فنزل بذى القصّة.
وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث نوفل بن معاوية الدّيملىّ على الصّدقة، فلقيه
خارجة بن حصين بالشّربّة فأخذ ما في يديه، وردّه على بني فزارة، ورجع نوفل إلى أبي بكر
بالمدينة.
فأوّل حرب كانت في الرّدة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حرب العنسىّ
باليمن، ثم حرب خارجة بن حصين ومنظور بن زبّان بن سيار في غطفان، والمسلمون
غارّون، فانحاز أبو بكر إلى أكمة فاستتر بها، ثم هزم الله المشركين.
وروى أن أوّل غزاة غزاها أبو بكر، كانت إلى بنى عبس وذبيان، وأنه قاتلهم وهزمهم،
وأتبعهم حتى نزل بذي القصّة، وكان ذلك أول الفتح، ووضع أبو بكر رضى الله عنه: ليقتلنّ
في المشركين بمن قتلوا من المسلمين وزيادة.
وقدمت رسل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من اليمن واليمامة وبلاد بنى أسد، ووفود
من كان كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم.

وأمر أمره في الأسود ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب،
فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر،
وأخبروه الخبر؛ فقال لهم: لا تبرحوا حتى تجىء رسل أمرائكم
وغيرهم بأدهى مما وصفتم،
وأمرّ بانتقاض الأمور؛ فلم يلبثوا أن قدمت كتب أمراء النبي
صلّى الله عليه وسلم الله عليه
وسلم من كلّ مكان بانتقاض، عامة أو خاصة، وتبسّط من ارتدّ
على المسلمين بأنواع
الميل.
فحاربهم أبو بكر رضى الله عنه بما كان النبي صلّى الله عليه
وسلّم يحاربهم، حاربهم
بالرسل، فردّ رسلهم، وأتبع الرسل رسلاً، وانتظر بمصادمتهم
قدوم أسامة بن زيد، وطرقت
المدينة صدقات نفر كانوا على الصّدقة؛ وهم صفوان بن
صفوان، والزّبرقان بن بدر، وعدىّ
بن حاتم؛ فازداد المسلمون قوّة، ثم قدم أسامة بن زيد،
فاستخلفه أبو بكر على المدينة ومعه
جنده ليستريحوا. ثم خرج بمن كان معه، فناشده المسلمون
ليقيم، فأبى وقال: لأواسينّكم
بنفسى، فسار إلى حسىً وذي القصّة حتى نزل بالأبرق، فقاتل
من به من المشركين فهزمهم،
وأخذ الحطيئة أسيراً، وأقام بالأبرق أياماً ثم رجع إلى المدينة،
ولحق من انهزم من عبس
وذبيان وطليحة. وروى عن هشام بن عروة عن أبيه أنّ أوّل من
صادم أبو بكر رضى الله
عنه بنى عبس وذبيان، عاجلوه، فقاتلهم قبل رجوع أسامة. ولما
قدم أسامة استخلف
على المدينة، ومضى حتى انتهى إلى الرّبذة، فتلقّى بنى عبس
وذبيان وجماعةً من بنى عبد
مناة بن كنانة، فلقيهم بالأبرق، فقاتهلم فهزمهم الله عز وجلّ
وفلّهم، ثم رجع إلى المدينة فعقد
الألوية.
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.
عقد أبى بكر
رضى الله عنه الألوية
وتجهيزه الجيوش لقتال أهل الردة وما كاتب به من ارتد وما
عهد. قال أبو جعفر محمد بن
جرير الطبرىّ رحمه الله في تاريخه ما مختصره ومعناه: لما رجع
أبو بكر رضى الله عنه إلى
المدينة، وأراح أسامة وجنده ظهرهم وجمّوا، وقد جاءت صدقات
كثيرة تفضل عنهم، قطع

أبو بكر البعوث وعقد الألوية، فعقد أحد عشر لواءً: عقد لخالد بن الوليد، وأمره بطليحة؛
فإذا فرغ سار إلى مالك ابن نويرة بالبطاح إن أقام له. وعقد لعكرمة وأمره بمسيلمة الكذّاب
باليمامة. وعقد للمهاجر بن أبي أميّة، وأمره بجنود العنسىّ ومعونة الأنباء على قيس بن
المكشوح، ومن أعانه من أهل اليمن عليهم، ثم يمضى إلى كندة بحضرموت.
وعقد لخالد بن سعيد بن العاص، وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشام. وعقد لعمرو بن
العاص وأرسله إلى جماع قضاعة ووديعة والحارث. وعقد لحذيفة بن محص الغلفانىّ، وأمره
بأهل دبا.
ابن هرثمة، وأمره بمهرة وأمرهما أن يجتمع كل واحد منها في عمله. وبعث شرحبيل بن
حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل وقال: إذا فرغ من اليمامة فالحق بقضاعة؛ وأنت على
خيلك تقاتل أهل الرّدة. وعقد لمعن بن حاجز- ويقال: لطريفة بن حاجز- وأمره ببنى
سليم ومن معهم من هوازن
وعقد لسويد بن مقرّن؛ وأمره بتهامة اليمن.
وعقد للعلاء بن الحضرمىّ، وأمره بالبحرين.
ففصلت الأمراء من ذي القصّة، ولحق بكلّ أمير جنده، وعهد إلى كل أمير منهم، وكتب
رضى الله عنه إلى سائر من ارتد نسخةً واحدةً، وهي:
بسم الله الرحمن الرحيم
من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابى هذا من عامّة أو
خاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى
إلى الضّلالة والعمى، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلاّ هو، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأقرّ بما جاء به.
أما بعد؛ فإنّ الله أرسل
محمداً بالحقّ من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً، ودّاعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً؛ لينذر
من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين، فهدى الله للحقّ من أجاب إليه وضرب رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم بإذنه من أدبر عنه؛ حتى صار الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفى
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمّته، وقضى الذي عليه. وكان

الله قد بيّن له ذلك ولأهل الأسلام في الكتاب الذي أنزله؛
فقال:" إنّك ميت وإنّهم ميّتون"،
وقال: " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن متّ فهم
الخالدون"، وقال للمؤمنين: " وما
محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرّسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشّاكرين"
فمن كان إنما يعبد محمداً، صلّى الله عليه وسلّم؛ فإنّ محمداً قد
مات، ومن كان إنّما يعبد
الله وحده لا شريك له، فإنّ الله له بالمرصاد، حىّ قيّوم لا يموت،
ولا تأخذه سنة ولا نوم،
حافظ لأمره، منتقم من عدوّه، يجزيه. وإني أوصيكم بتقوى
الله، وحظّكم ونصيبكم من
الله، وما جاء به نبيكم، وأن تهتدوا بهداه، وحظّكم ونصيبكم من
الله، وأنّ كل من لم يهده
الله ضالّ، وكل من لم يعافه الله مبتلى، وكل من لم يعنه الله
مخذول. فمن هداه الله كان
مهتدياً، ومن أضلّه كان ضالاً، فإنّه قال: " من يهد الله فهو
المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليّا
مرشداً" ولم يقبل منه في الدّينا عمل حتى يقرّبه، ولم يقبل له
في الآخرة صرف ولا عدل.
وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أنّ أقرّ بالإسلام،
وعمل به اغتراراً بالله
وجهالةً بأمره، وإجابه للشيطان. وقال الله جل ثناؤه: " وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه، أفتتّخذونه
وذريّته أولياء من دونى
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً".
وقال: " إنّ الشّيطان لكم عدوّ فاتّخذوه عدوّا إنّما يدعو حزبه
ليكونوا من أصحاب
السّعير".
وإنّي بعثت إليكم فلاناً في جيش من المهاجرين والأنصار
والتّابعين لهم بإحسان، وأمرته ألاّ
يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب
له وأقرّ وكفّ، وعمل صالحاً
قبل منه، وأعانه عليه، ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك، ثم لا
يبقى على أحد منهم قدر
عليه، وأن يحرقهم بالنيران ويقتلهم كل قتله، ويسبى النساء
والذرارىّ، ولا يقبل من أحد إلا
الإسلام.
فمن اتّبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت
رسولى أن يقرأ كتابي في كلّ

مجمع لكم.
والدّاعية الأذان؛ فإذا أذّن المسلمون فأذّنوا كفّوا عنهم، وإن لم يؤذّنوا عاجلوهم؛ وإن أذّنوا
اسألوهم ما علّتهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبل منهم وحملهم على ما ينبغى لهم.
قال: فنفذت الرّسل بالكتب أمام الجنود، وخرجت الأمراء ومعهم العهود.
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان؛ حين بعثه فيمن
بعث لقتال من رجع عن الأسلام؛ عهد إليه أن يتّقى الله ما استطاع في أمره كلّه؛ سّره
وعلانيته، وأمره بالجدّ في الله ومجاهدة من تولّى عنه، ورجع عن الإسلام، فإن أجابوه
أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرّوا له، ثم ينبئهم بالّذي عليهم والذي
عليهم والذي لهم، ويأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم؛ لا ينظرهم، ولا يردّ المسلمين عن
قتال عدوّهم، فمن أجاب إلى أمر الله وأقرّ له قبل ذلك منه، وأعانه عليه بالمعروف " وإنّما
يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله"، وإذا أجاب الدّعوة لم يكن عليه
سبيل، وكان الله حسيبه فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان،
وحيث كان بلغ مراغمه؛ لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلاّ الإسلام، فمن أجابه وأقرّ قبل منه
وعلّمه، ومن أبي قاتله؛ فإن أظهره الله عليه قتل منهم كلّ قتلة، بالسلاح والنّيران، ثم قسم
ما أفاء الله عليه إلاّ الخمس، فإنه يبلّغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألاّ يدخل "
فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هو؛ لا يكونوا عيوناً، ولئلاّ يؤتى المسلمون من قبلهم وأن
يقتصد" بالمسلمين، ويرفق بهم في السير والمنزل، ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض،
ويستوصى بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول. والله تعالى أعلم بالصواب، وحسبنا
الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد.
طليحة الأسدى
وما كان من أمره وأمر من اتبعه من قبائل العرب وما آل إليه أمره بعد ذلك
كان خبر طليحة بن خويلد الأسدىّ؛ أسد خزيمة، أنّه ارتد في حياة رسول الله صلّى الله

عليه وسلم وادّعى النّبوة، فلمّا ظهر أمره وجّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ضرار بن
الأزور إلى عمّاله على بنى أسد، وأمرهم بالقيام في أمر طليحة ومن ارتدّ معه، ونزل
المسلمون بواردات، ونزل المشركون بسميراء. فضعف أمر طليحة، ومازال المسلمون فى
نماء، والمشركون في نقصان حتى همّ ضرار بن الأزور أن يسير إلى طليحة، ولم يبق أحد إلاّ
أخذه سلما، فأتّفق أنّه ضرب ضربة بسيف فنباعنه، وشاعت تلك الضربة في النّاس،
وقالوا: إنّ السلاح لا يعمل في طليحة، فبينما الناس على ذلك إذ ورد الخبر بوفاة رسول الله
صلّى الله عليه وسلم، فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتّى عرفوا النقصان، وكثر جمع
طليحة واستطار أمره، وادّعى أنّ جبريل يأيته، وسجع للناس الأكاذيب فكان مما أتى به
قوله: " والحمام واليمام، والصّوّام، قد ضمن قبلكم بأعوام، ليبلغنّ ملكنا العراق والشام".
وأمر طليحة الناس بترك السجود في الصّلاة، وتبعه كثير من العرب، وكان أكثر أتباعه أسد
وغطفان وطيّىء، ولما انهزمت عبس وذبيان التحقوا به ببزاخة، وأرسل طليحة إلى جديلة
والغوث- وهما حيّان من طيّىء- أن ينضموا إليه، فتعجّل إليه أناس من الحيّين، وأمروا
قومهم باللّحاق بهم، فقدموا على طليحة وكانوا معه. وبعث أبو بكر رضى الله عنه عدّى
بن حاتم الطّائىّ قبل توجيهه خالد بن الوليد إلى قومه، وقال: أدركهم لا يؤكلوا؛ فخرج عدىّ
إليهم؛ ففتلهم في الذروة والغارب"، وخرج خالد بن الوليد فى أثره، وأمره أبو بكر رضى الله
عنه أن يبدأ بطيّىء على الأكناف؛ ثم يكون وجهه إلى البزاخة ثم يثلث بالبطاح ولا يبرح
إذا فرغ من قوم حتى يأذن له، وأظهر أبو بكر أنّه خارج إلى خيبر ومنصب عليهم منها،
حتى يلاقيه بالأكناف، أكناف سلمى.
قال ابن الكلبيّ: وإنّما قال ذلك أبو بكر مكيدةً حتى يبلغ ذلك عدوّة فيرعبهم، وكان قد
أوعب مع خالد الناس، فخرج خالد، فازوارّ عن البزاخة وجنح إلى أجأ، وقدم عدىّ بن
حاتم عليهم؛ ودعاهم إلى الإسلام؛ فأجابوه بعد امتناع، وقالوا له: أخر عنّا الجيش حتى

نستخرج من ألحق بالبزاخة منّا، فإنّا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهنهم،
فاستقبل عديّ خالداً وهو بالسّنح، فقال: ياخالد، أمسك عنى ثلاثاً؛ تجتمع لك خمسمائة
مقاتل تضرب بهم عدوّك؛ خير من أن تعجلهم إلى النّار.
وتشاغل بهم، ففعل وعاد إليهم
وقد أرسلوا إلى إخوانهم؛ فأتوهم من بزاخة كالمدد، ففعل وعاد إليهم وقد أرسلوا إلى
أخوانهم؛ فأتوهم من بزاخة كالمدد، ولولا ذلك لم يتركوا، فعاد عديّ بإسلامهم إلى خالد،
وارتحل خالد يريد جديلة، فقال له عديّ؛ فلم يزل بهم حتى بايعوه؛ فجاء بإسلامهم، ولحق
بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان خير مولود ولد في أرض طيّىء وأعظمه عليهم بركة.
قال هشام الكلبى: وسار خالد بن الوليد إلى طليحة، وكان أبو بكر رضى الله عنه قد
جعل ثابت بن قيس على الأنصار وأمره إلى خالد، فلمّا دنا خالد من القوم، بعث عكّاشة
بن محصن، وثابت ابن أقرم بن ثعلبة العجلانّى البلوىّ حليف الأنصار طليعةً؛ حتى إذا
والله كذّاب، فانصرفوا وانهزم الناس فغشوا طليحة، يقولون: ماذا تأمرنا؟ وكان طليحة قد
أعدّ فرسه وراحلته عنده، فلمّا غشيه النّاس قام فوثب على فرسه، وحمل امرأته النّوار
على الراحلة فنجا بها، وقال للناس: من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت وينجو بأهله
فليفعل، ثم سلك الجوشية ولحق بالشام فارفضّ جمعه، وقتل الله من قتل منهم، وأتت قبائل
سليم وهوازن وفزارة أسد وغطفان، وتلك القبائل يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، ونؤمن
بالله وبرسوله ونسلّم لحكمه في أموالنا وأنفسنا. فبايعهم خالد بن الوليد على الإسلام، ثمّ
أقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة، يقولون: ندخل فيما خرجنا منه، فبايعهم خالد
على ما بايع عليه أهل البزاخة من أسد وغطفان وطيّىء قبلهم، وأعطوه بأيديهم الإسلام.
قال أبو الحسن علىّ المعروف بابن الأثير: وكانت بيعته: عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمننّ
بالله ورسوله، ولتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة، وتبايعون على ذلك أبناءكم ونساءكم! فيقولون:
نعم، ولم يقبل من أحد منهم إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على المسلمين في حال

ردتهم فأتوه بهم فقبل منهم إلا قرة بن هبيرة سيد بني عامر ونفر معه أوثقهم ومثل بالذين
عدوا على المسلمين فأحرقهم بالنيران بالحجارة، ورمى بهم من الجبال، ونكّسهم في الآبار
وأرسل إلى أبي بكر يعلمه ما فعل، ورضخهم، وبعث بقرّة وبالأسارى إلى أبي بكر رضى
الله عنه وكتب إليه: إنّ بنى عامر أقبلت بعد إعراض، ودخلت في الإسلام بعد تربّص،
وإنّى لم أقبل من أحد سألنى شيئاً حتى يجيئونى بمن عدا على المسلمين، فقتلتهم كلّ قتلة،
وبعثت إليك بقرّة وأصحابه. فكتب أبو بكر إليه: ليزدك ما أنعم لله به عليك خيراً، فاتّق
الله في أمرك، فإنّ الله مع الّذين اتقوا والّذين هم محسنون، جدّ في أمر الله ولا تنينّ ولا
تظفرنّ بأحد قتل المسلمين إلا قتلته، ونكّلت به غيره.
وكان عيينة بن حصن ممن أسر، روى عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود.
قال: أخبرني من نظر إلى عيينة بن حصن مجموعة يداه إلى عنقه في حبل، ينخسه غلمان
المدينة بالجريد يقولون: أي عدوّ الله، أكفرت بالله بعد إيمانك! فيقول: والله ما كنت آمنت
بالله قطّ؛ حكاه أبو جعفر الطبرى.
قال: فتجاوز أبو بكر رضى الله عنه، وحقن له دمه. والله سبحانه وتعالى أعلم. وأمّا
طليحة وما آل إليه أمره؛ فإنّه لحق بالشام، ثم نزل على كلب، فأسلم حين بلغه إسلام أسد
وغطفان، ولم يزل في بنى كلب حتى مات أبو بكر الصديق رضى الله عنه. وخرج في
خلافة أبي بكر إلى مكة معتمرا، ومرّ بجنبات المدينة. فقيل لأبي بكر هذا: طليحة، فقال:
ما أصنع به؟ خلّوا عنه، فقد هداه الله للإسلام. فمضى نحو مكة، فقضى عمرته، ثم أتى
عمر بن الخطاب رضى الله عنه للبيعة حين استخلف، فقال له عمر: أنت قاتل عكّاشة
وثابت! والله لا أحبّك أبدا؛ فقال: يا أمير المؤمنين ما تنقم من رجلين أكرمهما الله بيدىّ،
ولم يهنّى بأيديهما! فبايعه عمر ورجع إلى دار قومه فأقام حتى خرج إلى العراق.

تميمم وسجاح
ابنة الحارث بن سويد

كان من خبر بنى تميم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته فرّق عمّاله فيهم،

فكان الزّبرقان بن بدر على الرّباب وعوف والأنباء؛ وكان سهم بن منجاب وقيس بن
عاصم على مقاعس والبطون، وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بنى عمرو هذا
على بهدى وهذا على خضم قبيلتين من بني تميم ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة على بنى
حنظلة، هذا على بنى مالك، وهذا على بنى يربوع.
فأمّا صفوان فإنّه لما أتاه الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب إلى أبي بكر
الصّديق رضى الله عنه بصدقات بنى عمرو وما ولى منها وبما ولى سبرة، وأقام سبرة فى
قومه لحدث إن ناب. وأمّا قيس بن عاصم فإنه قسّم ما وليه من الصّدقات في مقاعس
والبطون؛ وإنّما فعل ذلك مخالفةً للزبرقان. 0.
وأمّا الزبرقان فإنّه أتبع صفوان بالصّدقات التي أخذها ممّن كانت تليه، وقدم بها إلى المدينة
على أبي بكر وهو يقول ويعرّض بقيس بن عاصم:
وفيت بأذواد الرّسول وقد أبت سعاة فلم يردد بعيراً مجيرها
ثم ندم قيس بن عاصم على ما كان منه، فلما أظلّه العلاء بن الحضرمىّ تلقّاه بالصّدقة،
وخرج معه؛ وقال في ذلك:
أبلغا عنّى قريشاً رسالة إذا ما أتتها بيّنات الودائع
قال: وتشاغل الناس فى تلك الحال بعضهم ببعض، ونشب الشّر، فتشاغلت عوف والأنباء
بالبطون والرباب بمقاعس، وتشاغلت عمرو وخضّم بمالك وبهدى بيربوع؛ فبينا الناس في
بلاد تميم على ذلك قد شغل بعضهم بعضا، فمسلمهم بإزاء من قدّم رجلاً وأخّر أخرى،
وتربّص وارتاب؛ إذ فجئتهم سجاج ابنة الحارث، قد أقبلت من الجزيرة؛ وكانت ورهطها في
بنى تغلب، وعقّة بن هلال في النّمر، وزياد بن فلان في إياد، والسّليل بن قيس في بنى
شيبان، فأتاهم أمر دهىّ؛ هو أعظم مما فيه الناس؛ لهجومها عليهم، ولما هم فيه من
اختلاف الكلمة والتشاغل بما بينهم. وكانت سجاح ابنة الحارث ابن سويد بن عقفان هي
وبنو أبيها بنو عقفان في بنى تغلب، فاستجاب لها الهذيل، وترك النّصرانية، فراسلت مالك
بن نويرة ودعته إلى الموادعة، فأجابها وحملها على أحياء بنى تميم، فقالت: نعم فشأنك بمن
رأيت، فإنما أنا امرأة من بنى يربوع، فإن كان ملك فالملك ملككم. وأرسلت إلى بنى مالك

وحنظلة تدعوهم إلى الموادعة. فخرج عطارد بن حاجب،
وسروات بنى مالك، حتى نزلوا
فى بني العنبر على سبرة بن عمرو هرّابا، وخرج أشباههم من
بنى يربوع حتى نزلوا على
الحصين بن نيار فى بنى في بنى مازن، وقد كرهوا ما صنع
مالك، فلما جاءت رسلها إلى
بنى مالك تطلب الموادعة أجابها إلى ذلك وكيع بن مالك فاجتمع
وكيع ومالك بن نويرة
وسجاح، وقد وادع بعضهم بعضاً، واجتمعوا على قتال الناس،
وقالوا: بمن نبدأ؟ بخضّم أم
ببهدى، أم بعوف والأنباء، أم بالرّباب؟ وكفّوا عن قيس بن عاصم
لما رأوا من تردّده
وطمعوا فيه. فقالت سجاح: " أعدّوا الركاب، واستعدّوا للنّهاب،
ثم أغيروا على الرّباب،
فليس دونهم حجابّ"، وصمدت سجاح للأحفار حتى تنزل بها،
وقالت لهم: " إنّ الدّهناء
حجاز بنى تميم، ولن تعدو الرّباب، إذا شدّها المصاب، أن تكون
بالدّجانى والدّهانى،
فلينزلها بعضكم".
فتوجّه مالك بن نويرة إلى الدّجانى فنزلها، وسمعت بهذا
الرّباب، فاجتمعوا لها: ضبّتها
وعبد مناتها، فولى وكيع وبشر بنى بكر بن ضبّة، وولى ثعلبة بن
سعد عقّة، وولى عبد
مناة الهذيل، فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بني ضبة فهزما
وأسر سماعة ووكيع وقعقاع،
وقتلت قتلى كثيرة، فاجتمع بعد ذلك رؤساء أهل الجزيرة،
وقالوا لسجاح: ماذا تأمرينا؛ فقد
صالح مالك ووكيع قومهما فلا ينصروننا؟ فقالت: اليمامة؛
فقالوا: إنّ شوكة أهل اليمامة
شديدة، وقد غلظ أمر مسيلمة فقالت: " عليكم باليمامة، ودفّوا
دفيف الحمامة، فإنها
غزوة صرّامة، ولا يلحقكم بعدها ملامة"، فنهدت لبنى حنيفة،
وبلغ ذلك مسيلمة فهابها،
وخاف إن هو شغل بها أن يدهمه شرجبيل بن حسنة والقبائل،
فأهدى لها، ثم أرسل إليها
يستأمنها على نفسه حتى يأتيها.
فأنزلت الجنود على الأمواه له وأمّنته، فجاءها في أربعين من
بنى حنيفة. وكانت سجاح
راسخةً في النّصرانية، قد علمت من علم نصارى تغلب، فقال
لها مسيلمة: لنا نصف
الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد ردّ الله عليك النصف
الذي ردت قريش،

فحباك به، وكان لها لو قبلت؛ فقالت: " لا تردّ النّصف إلاّ من حنف، فاحمل النّصف إلى
خيل تراها كالسّهف" فقال مسيلمة: ""سمع الله لمن سمع، وأطعمه بالخير إذا طمع، ولا زال
أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع. رآكم ربّكم فحيّاكم، ومن وحشة خلاّكم، ويوم دينه أنجاكم
فأحياكم، علينا من صلوت معشر أبرار؛ لا أشقياء ولا فجّار، يقومون الليل ويصومون
النهار، لربّكم الكبار، ربّ الغيوم والأمطار".
وقيل: إنّ مسيلمة لما نزلت به سجاح أغلق الحصن دونها.
فقالت له: إنزل. قال: فنحّى
عنك أصحابك أصحابك، ففعلت. فقال مسيلمة: اضربوا لها قبّة وجمّروها لعلها تذكر
الباه، ففعلوا، فلمّا دخلت القّبّة نزل مسيلمة. فقال لأصحابه: ليقف ها هنا عشرة، ثمّ
دارسها. فقالت: ما أوحى إليك؟ فقال: " ألم تر إلى رّبّك كيف فعلى بالحبلى، أخرج منها
نسمةً تسعى، من بين صفاق وحشى" قالت: وماذا: أيضاً؟ قال: أوحى إلىّ" إنّ الله خلق
النساء أفراجا، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فنولج فيهنّ قعساً إيلاجاً، ثم نخرجها إذا شئنا
إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً". قالت: أشهد أنّك نبىّ. قال: هل لك أن أتزوّجك،
وأذلّ بقومى وقومك العرب؟ قالت: نعم فقال:

الا قومى إلى النّيك فقد هيّى لك المضجع
فإن شئت ففي البيت وإن شئت ففى المخدع
وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

قالت: بل به أجمع. قال: بذلك أوحى إلىّ، فأقامت عنده ثلاثة أيام، انصرفت إلى قومها.
فقالوا لها: ما عندك؟ قالت: كان على حقّ، فاتبعته فتزوّجته، قالوا: هل أصدقك شيئا؟
قالت: لا قالوا: فارجعى إليه، فقبيح على مثلك أن ترجع بغير صداق، فرجعت. فلما
رآها مسيلمة أغلق الحصن وقال: مالك؟ قالت: أصدقنى صداقا. قال: من مؤذّنك؟
قالت: شبث بن ربعىّ. قال: علىّ به، فأتاه. فقال: ناد في أصحابك: إن مسيلمة رسول
الله قد وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمّد: صلاة الفجر، وصلاة العشاء الآخرة.
قال: وكان من أصحابها الزّبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب ونظراوّهم. فقال: إنّ عامّة

بنى تميم الرّمل لا يصلّونها، فانصرفت سجاح ومعها أصحابها، فقال عطارد بن حاجب:
أمست نبيّتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
وقيل: إنّها صالحت مسيلمة على أن يحمل لها النّصف من غلاّت اليمامة: وأبت إلا السنة
المقبلة يسلفها، فأعطى لها النصف وقال: خلفي على السّلف من يجمعه لك، وانصرفي أنت
بنصف العام، فانصرفت بالنصّف إلى الجزيرة وخلفت الهذيل وعقة وزياداً لينجزوا النصف
الثاني، فلم يفجأهم إلا دنوّ خالد بن الوليد، فارفضّوا. وكان من أمر مسيلمة وقتله ما نذكره
بعد إن شاء الله تعالى. قال: ولم تزل سجاح بالجزيرة في أخوالها من بنى تغلب حتى نقلهم
معاوية بن أبي سفيان عام الجماعة، وجاءت معهم وحسن إسلامها وإسلامهم، وانتقلت إلى
البصرة وماتت بها.
وقيل: بل لمّا قتل مسيلمة سارت إلى أخوالها بالجزيرة، فماتت عندهم، ولم يسمع لها بذكر،
والله تعالى أعلم.
قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: وخرج الزّبرقان والأقرع إلى أبى بكر؛ وقالا: اجعل لنا
خراج البحرين؛ ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحد، ففعل.
وكتب الكتاب، وكان الذي
يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله، وأشهد شهودا، منهم عمر بن الخطاب، فلما أتى عمر
بالكتاب فنظر فيه لم يشهد، ثم قال: لا والله لا كرامة! ومزقه ومحاه، فغضب طلحة، وأتى
أبا بكر، فقال: أنت الأمير أم عمر؟ فقال: عمر؛ غير أن الطاعة لي، فسكت.
وشهد الزبرقان والأقرع مع خالد المشاهد كلها حتى اليمامة، ثم مضى الأقرع ومعه
شرحبيل إلى دومة الجندل.
مسير خالد إلى البطاح
ومقتل مالك بن نويرة
قال أبو جعفر رحمه الله: لما انصرفت سجاح إلى الجزيرة ارعوى مالك بن نويرة، وندم وتحير
في أمره، وعرف وكيع وسماعة قبح ما أتيا، فرجعا رجوعاً حسناً؛ ولم يتجبرا، وأخرجا
الصدقات واستقبلابها خالد بن الوليد، فقال خالد: ما حملكما على موادعة هؤلاء القوم؟
فقالا: ثأركنا نطلبه في بني ضبة،

فسار خالد يريد البطاح دون الحزن، وعليها مالك بن نويرة، وقد ترددت الأنصار على
خالد، وتخلفت عنه. وقالوا: ما هذا بعهد الخليفة إلينا، إن الخليفة عهد إلينا إن نحن
فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا؛ فقال خالد: إن يك عهد
إليكم هذا، فقد عهد إلى أن أمضى، وأنا الأمير، وإلى تنتهي الأخبار، ولو أنه لم يأتني له
كتاب ولا أمر، ثم رأيت فرصة فكنت إن أعلمته فاتتنى لم أعلمه حتى أنتهزها، وكذا لو
ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ثم نعمل به، وهذا
مالك بن نويرة بحيالنا، وأنا قاصد له ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان، ولست
أكرهكم.
ومضى خالد، وندمت الأنصار وتذامروا، وقالوا: إن أصاب القوم خيراً، إنه لخير حرمتوه،
وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس، فاجمعوا اللحاق بخالد، وجردوا إليه رسولا، فأقام
عليهم حتى لحقوا به، ثم سار ح 0تى لحق البطاح، فلم يجدوا به أحداً. ووجد مالك بن
نويرة قذفرقهم في أموالهم، ونهاهم عن الاجتماع حين تردد عليه أمره، وقال: يا بني يربوع، إنا
قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الأمر فوجدت الأمر لا يتأنى لهم بغير سياسة،
فإياكم ومناوأة قوم صنع لهم، فتفرقوا إلى دياركم، وادخلوا في هذا الأمر. فتفرقوا على ذلك
إلى أموالهم.
وخرج مالك بن نويرة حتى رجع إلى منزله. فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وامرهم
بداعية الإسلام أن يأتوه بكل من لم يجب، وإن امتنع أن يقتلوه. فجاءته الخيل بمالك بن نويرة
في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع، من عاصم وعبيد، وعرين وجعفر، فاختلفت السرية
فيهم، وفيهم أبو قتادة- وكان ممن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا- فلما اختلفوا فيهم
أمر بهم خالد فحبسوا في ليلة باردة لا يقوم لها شىء، وجعلت تزداد بردا، فامر خالد
منادياً فنادى: أدفئوا أسراكم. وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، كان دفؤه
قتله، فظن القوم- وهي لغتهم القتل- أنه أراد القتل، فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكاً،

وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغ منهم فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه.
وقد اختلف القوم فيهم؛ فقال أبو قتادة: هذا عملك! فزبره خالد فغضب، ومضى حتى
أتى أبا بكر، فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر فيه، فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد،
فرجع إليه حتى قدم معه المدينة.
وتزوج خالد أم تميم انبة المنهال، وتركها لينقضى طهرها، وكانت العرب تكره النساء في
الحرب، فقال عمر لأبي بكر: إن في سيف خالد رهقاً، فإن لم يكن هذا حقاً حق عليه أن
تقيده، وأكثر عليه في ذلك، وكان أبو بكر لا يقيد من عماله- فقال: هبه يا عمر تأول
فأخطأ، فارفع لسانك عن خالد. وودي مالكاً، وكتب إلى خالد أن يقدم ففعل، فأخبره
خبره فعذره وقبل منه، وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب.
وقيل: إن عمر بن الخطاب ألح على أبي بكر في عزل خالد.
وقال: إن في سيفه رهقاً.
فقال: يا عمر، لم أكن أشيم سيفاً سله الله على الكافرين.
وقيل: ولما أقبل خالد قافلاً دخل المسجد وعليه قباء، عليه صدأ الحديد، معتجراً بعمامة
له، قد غرز فيها أسهماً، فقام إليه عمر فانتزع الأسهم من راسه فحطمها، ثم قال: أقتلت
أمرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته! والله لأرجمنك بأحجارك، وخالد لا يكلمه ولا يظن إلا
أن رأى بكر على مثل رأى عمر فيه، حتى دخل على أبي بكر فأخبره الخبر، فاعتذر إليه،
فعذره أبو بكر وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك.
وخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر وعمر جالس في المسجد، فقال: هلم إلى يا بن أم
شملة؛ فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه، ودخل بيته.
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وهو حسبي، ونعم الوكيل.
مسيلمة الكذاب
وقومه من أهل اليمامة
كان من خبر مسيلمة أنه لما قدم وفد بني حنيفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما
قدمناه في السيرة النبوية في أخبار الوفود، وكان مسيلمة في رحالهم، فلما أجازهم رسول لله

صلى الله عليه وسلم. قالوا: يا رسول الله، خلفنا صاحباً لنا في رحالنا يبصرها لنا، في
ركابنا يحفظها علينا؛ فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لأصحابه، وقال:
"ليس بشركم مكاناً لحفظه ركابكم ورحالكم"، فقيل ذلك لمسيلمة، فقال: عرف أن الأمر
إلى من بعده.
ثم ادعى النبوة بعد ذلك، وكان الرجال بن عنفوة قد هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم،فتعلم القرآن من أبى بن كعب، وفقه في الدين، فبعثه رسول الله صلى الله عليه
وسلم معلماً لأهل اليمامة، وليشغب على مسيلمة؛ ويشدد من أمر المسلمين، وكان أعظم
فتنة على نبي حنيفة من مسيلمة، شهد له أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
إنه قد أشرك معه؛ فصدقوه واستجابوا له، وأمروه بمكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم،
ووعدوه إن هو لم يقبل أن يعينوه عليه.
وقبض رسول اله صلى الله عليه وسلم؛ والأمر على ذلك، فقويت شوكة مسيلمة، واشتد
أمره، وكثرت جموعه، وتمكن الرجال بن عنفوة من مسيلمة، وعظم شأنه عنده، فكان لا
يخالفه في أمر ولا يقول شيئاً إلا تابعه عليه، وكان مسيلمة يصانع كل أحد ممن اتبعه، ويتابعه
على رأيه، ولا يبالي أن يطلع الناس مه على قبيح، وضرب حرماً باليمامة؛ فكان محرماً،
فوقع ذلك الحرمن في الأحاليف، أفخاذ من بني أسيد كانت دراهم اليمامة، فصار مكان
دراهم الحرم، والأحاليف: سيحان ونمارة، وبنو جروة، فكانوا يغيرون على ثمار أهل
اليمامة، فإن نذروا بهم فدخلوا الحرم أحجموا عنهم، وإن لم ينذروا بهم فذاك ما يريدون؛
فكثر ذلك منهم، حتى استعدوا عليهم مسيلمة، فقال: انظروا الذي يأتي من السماء فيكم
وفيهم، ثم قال لهم: "والليل الأطحم، والذئب الأدلم، ما انتهكت أسيد من محرم"، ثم عادوا
للغارة والعدوى، فقال: انتظروا الذي يأتينى. ثم قال: "والليل الدامس، والذئب الهامس، ما
قطعت اسيد من رطب ولا يابس"؛ فقالوا: أما النخيل فمرطبة وقد جدوها، أما الجدران
فيابسة وقد هدموها، فيقال: اذهبوا وارجعوا فلا حق لكم.

وكان فيما يقرؤه لهم فيهم: إن بني تميم قوم طهر لقاح، لا مركوه عليهم ولا إتارة، نجاورهم
ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن".
وكان يقول: والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء، واللبن الأبيض؛ إنه
لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم تمجعون!.
وكان يقول: يا ضفدع ابنة ضفدع، نقى ما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا
الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين.
وقال أيضاً: والمبذرات زراعاً، والحاصدات حصداً، والزارعات قمحاً، والطاحنات
طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على
الوبر، وما سبقكم أهل المدر؛ ريفكم فامنعوه، والمعتر فآووه، والباغي فناوئوه.
قالوا: وأتته امرأة فقالت: إن نخلنا لسحق، وإن آبارنا لجرز فادعى الله لمائنا ونخلنا، كما
جعا محمد لأهل هزمان، ففعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودعا للنخل،
وتمضمض من الماء، ومجه في الآبار، فيبست المخل، وغارت الآبار.
وقيل: إنه نزل على أولاد بني حنيفة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمر بيده
على رءوسهم، وحنكهم، فقرع ولثغ من فعل به ذلك، وظهر ذلك كله بعد مهلكه.
قالوا:وجاء طلحة النمري، فقال: أين مسيلمة؟ فقالوا مع رسول الله! فقال: لا، حتى أراه،
فلما جاءه قال: أنت مسيلمة؟ قال: نعم، قال: من ياتيك؟ قال: رحمن، قال: أفي نور أو في
ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال: أشهد أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكم كذاب ربيعة
أحب إلى من صادق مضر.
والله سبحانه أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
ذكر الحروب الكائنة بين المسلمين وبين مسيلمة وبين أهل اليمامة وقتل مسيلمة
قد ذكرنا أن أبا بكر الصديق لما عقد الأولوية، عقد لعكرمة ابن أبي جهل، وأمره بمسيلمة،
ثم أردفه شرحبيل بن حسنة، فعجل عكرمة، وبادر الحرب ليذهب بصوتها، فواقعهم،
فنكبوه، وأقام شرحبيل في الطريق حتى أدركه الخبر.

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى عكرمة: يا بن أم عكرمة؛ لا أرينك ولا تراني على
حالها، ولا ترجع فتوهن الناس، امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة، فقاتل
معهما أهل عمان ومهرة، وإن شغلا فامض أنت، ثم يسير ويسير جندك؛ تستبرئون من
مررتم به حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت.
وكتب إلى شرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره، ثم كتب إليه قبل ان يوجه خالد بن الوليد
بأيام إلى اليمامة: إذا قدم عليك خالد ثم فرغتم- إن شاء الله- فالحق بقضاعة حتى تكون
ا،ت وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف.
فلما قدم خالد على أبي بكر الصديق رضي الله عنه من البطاح رضي عنه، وقبل عذره
كما ذكرنا، ووجهه إلى مسيلمة، وأوعب معه الناس، وجعل على كل قبيلة رجلاً، وجعل
على المهاجرين أبا حذيفة بن عتبة، وجعل على الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، وتعجل
خالد حتى قدم عل أهل العسكر بالبطاح، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة، فلما قدم
عليه نهض حتى أتى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ تزيد عدتهم على أربعين ألف مقاتل.
وعجل شرحبيل بن حسنة، وبادر بالقتال قبل وصول خالد كما فعل عكرمة، فنكب كما
نكب، فلما قدم خالد لأمه، وسار خالد حتى إذا أطل على بني حنيفة أسند خيولاً لعقة
والهذيل وزياد، وقد كانوا أقاموا على خرج أخرجه لهم مسيملة ليلحقوا به سجاح، وإنما
أسند خالد تلك الخيول مخافةن أن ياتوه من خلفه، وأمد أبو بكر رضي الله عنه خالداً
بسليط بن عمرو بن عبد شمس العامري القرشي ليكون ردءاً له من أن يأتيه أحد من
خلفه؛ فخرج.
فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرقوا فهربوا، فكان منهم
قريباً لهم، وأما مسيلمة فإنه لما بلغه دنو خالد بن الوليد منه عسكر بعقرباء، واستنفر
الناس، فجعل الناس يخرجون إليه، وخرج مجاعة بن مرارة بن سلمى الحنفي اليمامى-
وكان رئيساً من رؤساء بني حنيفة- في سرية يطلب بثأر له في بني عامر وبني تميم، فلما

كان خالد من عسكر مسيلمة على ليلة، إذا مجاعة وأصحابه وقد غلبهم الكرى- وكانوا
راجعين من بلاد بني عامر- فعرسوا دون ثنية اليمامة، فوجدوهم نياماً وأرسان خيولهم
بأيديهم تحت خدودهم، ولا يشعرون بقرب الجيش منهم،
فانبهوهم، وقالوا: من أنتم؟ قالو:
مجاعة، وهذه حنيفة، فأوثقوهم، وأقاموا إلى أن جاءهم خالد
فأتوه بهم، فظن أنهم جاءوه
ليستقبلوه، فقال: متى سمعتم بنا؟ قالوا ما شعرنا بك، إنما خرجنا لثأر لنا فيمن حولنا من
بني عامر وتميم، فأمر بهم أن يقتلوا، فقالوا: إن كنت تريد بأهل اليمامة غداً خيراً أو شراً
فاستبق هذا، ولا تقتله- يريدون مجاعة- فقتلهم كلهم دونه، وكانوا ثلاثة وعشرين راكباً-
وقيل: أربعين. وقيل: ستين- وصبر مجاعة، وسار اليمامة،فخرج مسيلمة وبنو حنيفة،
فنزلوا بعقرباء، وهي طرف اليمامة؛ دون الأموال، وريف اليمامة وراء ظهورهم.
وقال شرحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة، اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستردف النساء
سبيات، وينكحن غير حظيات، فقاتلوا عن احسابكم، وامنعوا نساءكم.
فالتقوا بعقرباء واقتتلوا، وكانت راية المهاجرين يومئذ مع سالم مولى أبي حذيفة. وقيل: بل
كانت مع زيد بن الخطاب، فلما قتل أخذها سالم، فقالوا له: تخشى علينا من نفسك شيئاً؟
فقال: بئس حامل القرآن إنا إذاً! وكانت راية الأنصار مع ثابت ابن قيس بن شماس، وكانت
العرب على راياتها، وسجاعة في الأسر مع أم تميم زوجة خالد في فسطاطها، واقتتل الناس
أشد قتال، ولم يلق المسلمون حرباً مثلها، فانهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى خالد،
فزال عن الفسطاط، ووصلوا إليه وقطعوه، ودخل أناس من بني حنيفة على أم تميم،
فأرادوا قتلها، فمنعها مجاعة. وقال: أنا لها جار، فنعمت الحرة! فدفعهم عنها.
ثم أن المسلمين تداعوا؛ فقال ثابت بن قيس: بئسما دعوتم أنفسكم إليه يا معشر المسلمين،
اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء- يعني أهل اليمامة- وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء- يعني
المسلمين- ثم قاتل حتى قتل، قطعت رجله فرمى بها قاتله فقتله.

وله رضى الله عنه خبر عجيب نذكره إن شاء الله تعالى في آخر هذه الوقعة-
قالوا: وحمل خالد في الناس حتى ردهم أبعد ما كانوا، واشتد القتال، وكانت الحرب يومئذ
تارة للمسلمين، وتارة عليهم، وقتل سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم.
فلما رأى خالد ما الناس فيه، قال: امتازوا اليوم أيها الناس، لنعلم بلاء كل حي، ولنعلم
من أين نؤتى! فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم نستحي من الفرار. وقاتل الناس قتالاً
عظيماً، وثبت مسيلمة، فعرف خالد أن الفتنة لا تركد إلا بقتل مسيلمة، فبرز ودعا إلى
البراز، فما يبرز له أحد إلا قتله، ودعا مسيلمة فأجابه؛ وعرض عليه أشياء، فكان إذا هم
بجوابه أعرض بوجهه يستشير شيطانه، فينهاه أن يقبل، فأعرض بوجهه مرة، فركبه خالد
وأرهقه فأدبر، وزال أصحابه، فكانت هزيمتهم، وقالوا: لمسيلمة: أين ما كنت تعدنا؟ فقال:
قاتلوا عن أحسابكم. نادي المحكم بن الطفيل: يا بني حنيفة، الحديقة الحديقة! فدخلوها،
وأغلقوا بابها عليهم.
قال: وكان البراء بن مالك أخو أنس؛ إذا حضر الحرب أخذته رعده حتى يقعد الرجال
عليه، ثم يبول، فإذا بال ثار كما يثور الأسد، فأصابه ذلك، فقال: إلى أيها الناس؛ أنا البراء
بن مالك؛ وقاتل قتالاً شديداً، فلما دخل بنو حنيفة الحديقة، قال البراء: يا معشر المسلمين،
ألقوني عليهم فيها. فقالوا: لا نفعل، فاحتمل حتى أشرف على الجدار واقتحمها عليهم،
وقاتل على الباب، وفتحه المسلمون، ودخلوا عليهم، فاقتتلوا أشد قتال، وكثر القتل بين
الفريقين، فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة، واشترك في قتله وحشى، مولى جبير بن مطعم
قاتل حمزة بن عبد المطلب، ورجل من الأنصار، فولت حنيفة عند قتله منهزمة، وأخذهم
السيف من كل جانب. وقتل محكم اليمامة، قتله عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضى
الله عنه؛ رماه بسهم في نحره وهو يخطب ويحرض الناس فقتله، وقتل من المهاجرين
والأنصار من أهل المدينة ثلثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلثمائة، وقتل من

بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وفي حديقة الموت مثلها، وفي الطلب نجو منها؛ وخرج خالد
بجماعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة فجعل يكشف القتلى حتى مر بحكم بن
الطفيل وكان رجلاً جسيماً فلما رآه خالد قال: هذا صاحبكم؟ قال: لا، هذا والله خير
منه وأكرم؛ هذا محكم اليمامة، ثم مضى حتى دخل الحديقة، فقلب له القتلى، فإذا رويجل
أصيفر أخنيس. فقال مجاعة: هذا صاحبكم قد فرغتم منه؛ فقال خالد لمجاعة: هذا فعل
بكم ما فعل! قال؛ قد كان ذلك يا خالد، وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس، وإن
جماهير الناس لفى الحصون، فقال: ويلك، ما تقول! قال: هو والله الحق، فهلهم لأصالحكم
على قومي.
وجاء عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر إلى خالد، فقالا له: ارتحل بالناس، فانزل
على الحصون، فقال: دعاني أبث الخيول فألتقط من ليس في الحصون ثم رأى؛ فبث الخيول
فحووا ما وجدوا من مال وصبيان، فضموهم إلى العسكر، ونادى بالرحيل لينزل على
الحصون، فقال له مجاعة: إنه والله ما جاءك إلا سرعان الناس، فإن الحصون لمملوءة رجالاً،
فهلم إلى الصلح على ما ورائي، فصالحه على كل شئ دون النفوس؛ ثم قال مجاعة: أنطلق
إليهم فأشاروهم، وننظر في هذا الأمر، ثم أرجع إليك، فدخل مجاعة الحصون وليس فيها
إلا النساء والصبيان ومشيخة فانية، ورجال ضعفى، فظاهر الحديد على النساء، وأمرهن
بنشر شعورهن، وأن يشرفن على رءوس الحصون حتى يرجع إليهم، ثم رجع إلى خالد،
فقال قد أبوا أن يجيزوا ما ضيعت، وقد أشرف لك بعضهم نقضاً على، وهم مني براء،
فنظر خالد إلى رءوس الحصون. وقد اسودت وقد نهكت المسلمين الحرب، وأحبوا أن
يرجعوا على الظفر. فقال: مجاعة لخالد: إن شئت صنعت شيئاً، فعزمت على القوم؛ تأخذ
منى ربع السبى وتدع ما بقى؛ فقال خالد: قد فعلت. قال: قد صالحتك، فلما فرغا فتحت
الحصون، فإذا ليس فيها إلا النساء والصبيان. فقال خالد لمجاعة: ويحك! خدعتني.
فقال: قومي، ولم أستطع إلا ما صنعت.

وقيل: إن خالداً صالح مجاعة على نصف السبى، والصفراء، والبيضاء، والحلقة، والكراع،
وحائط من كل قرية يختار خالد، ومزرعة يختارها، فتقاضوا على ذلك، ثم سرحه وقال:
أنتم بالخيار ثلاثاً، والله لئن لم تتموا وتقبلوا لأنهدن إليكم، ثم قال: لا أقبل منكم خصلة أبداً
إلا القتل، فأتاهم مجاعة،فقال: أما الآن فاقبلوا، فقال سلمة بن عمير الحنفي: لا والله لا نقبل؛
تبعث إلى أهل القرى والعبيد، فنقتل ولا تقاضى خالداً؛ فإن الحصون حصينة، والطعام
كثير، والشتاء قد حضر.
فقال له مجاعة: إنك امرؤ مشئوم، وغرك أني خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصلح، وهل
بقى منكم أحد فيه خير وبه دفع! وإنما أنا بادرتكم.
فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالداً. فقال: يعد شر ما رضوا اكتب كتابك،
فكتب:
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما قاضى ليه خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة وسلمة بن عمير، وفلاناً وفلاناً،
قاضاهم على الصفراء والبيضاء ونصف السبى، والحلقة والكراع، وحائط من كل قرية
ومزرعة، على أن يسلموا، ثم أنتم آمنون بأمان الله، لكم ذمة خالد بن الوليد، وذمة أبي
بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذمم المسلمين على الوفاء.
ووصل كتاب أبي بكر إلى خالد بقتل كل محتلم، وكان قثد صالحهم فوفى لهم. ثم إن
خالد بن الوليد قال لمجاعة: زوجني ابنتك، فقال مجاعة: مهلاً، إنك قاطع ظهرك وظهري
معك عند صاحبك. قال: أيها الرجل،ن زوجني، فزوجه، فبلغ ذلك أبا بكر فكتب، إليه
كتاباً يقطر الدم؛ يقول:
يا بن أم خالد؛ إنك لفارغ، تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسليمن لم
يجفف بعد!
فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول: هذا عمل الأعيسر- يعني عمر بن الخطاب رضي
الله عنه.
وبعث خالد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكر، فقدموا عليه.
فقال لهم: ويحكم! ما هذا

الذي استنزل منكم ما استنزل؟ قالوا: يا خليفة رسول الله، قد كان الذي بلغك مما
أصابنا، كان امراً لم يبارك الله له، ولا لعشيرته فيه. قال. على ذلك، ما الذي دعاكم به؟
قالوأ: كان يقول: يا ضفدع نقى نقى، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين، لنا نصف الأرض،
ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون.
فقال أبو بكر رضي الله عنه: سبحان الله، ويلكم إن هذا الكلان ما خرج من إل ولا بر،
فأين يذهب بكم!
قال أبو جعفر؛: لما فرغ خالد من اليمامة، وكان منزله الذي به التقى الناس أباض واد من
أودية اليمامة؛ ثم تحول إلى واد من أوديتها يقال له: الوبر، فكان منزله بها.
ثابت بن قيس
بن شماس في مقتله
وتنفيذ وصيته للرؤيا التي رئيت بعد مقتله
قد أشرنا عند ذكر مقتله أن له خبراً عجيباً نذكره، وراينا إيراده ها هنا توفيه للشرط.
حكى الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله، قال: لما انكشف المسلمون يوم اليمامة.
قال ثابت بن قيس وسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة، وثبتا وقاتلاً حتى قتلا. وكان على ثابت
يومئذ درع له نفسية، فمر به رجل من المسلمن فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ
أتاه ثابت في منامه، فقال له: إني أوصيك بوصية، فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه؛ إني لما
قتلت أمس مربى رجل من المسلمين، فاخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه
فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالداً فمره أن
يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم- يعني أبا بكر- فقل له: إن على من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق.
فأتى الرجل خالداً فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها.
وحدث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيته من بعد موته. قال: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته
بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله تعالى.
أهل البرحين

ومن ارتد منهم وانضم إلى الحطم وما كان من امرهم
والحطم اسمة شريح بن ضبيعة. قال أبو عبيدة في سبب تسميته بالحطم: إنه كان غزا
اليمن في جموع جمعها من ربيعة، فغنم وسبى بعد حرب كانت بينه وبين كندة، أسر فيها
فرعان ابن مهدي بن معدي كرب عم الأشعث بن قيس، وأخذ على طريق مفازة؛ فضل
بهم دليلهم، ثم هرب منهم، ومات فرعانن عطشاً، وهلك منهم ناس كثيرون بالعطش،
وجعل شريح يسوق بأصحابه سوقاً حثيثا حتى نجوا، ووردوا الماء؛ فقال فيخ رشيد بن
رميض هذه الأبيات:

بات يقاسيها غلام كالزلم نام الحداة وابن هند لم ينم
هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم
خدلج الساقين خفاق القدم ليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
فقلب يومئذ الحكم لذلك.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رحمه الله: كان من حديث أهل البرحين أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشتكى هو والمنذر ابن ساوى في شهر واحد، ثم مات المنذر
بعد رسول الله حروف بقليل، وارتد بعده أهل البرحين، فأمام عبد القيس ففاءت، وأما
بكر فتمت على الردة، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن المعلى. وقيل فيه: الجارود
بنعمرو بن حبيش بن يعلى،
واسمه- فيما يقال- بشر بن عمرو، وإنما قيل له الجارود؛ لأنه أغار في الجاهلية على بكر
بن وائل، فأصابهم فجردهم.
-وهذه الزيادة في اسم الجارود معن غير الطبري-
قال أبو جعفر: وكان الجارود قد قدم على رسول الله حروف، وكان نصرانياً فأسلم،
ومكث بالمدينة حتى فقه، ثم رجع إلى قومه فكان فيهم؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالت عبد القيس: لو كان محمد عبد القيس؛ إني
سائلكم عن أمر فأخبرني به إن علمتموه، ولا تجيبوني إنلم تعلموا؛ قالوأك سل عما بدا لك.
قال: تعلمون أنه كان لله تعالى أنبياء فيما مضى؟ قالوا: نعم،
قال: ترونه أو تعلمونه؟ قالوا:
لا، بل نعلمه. قال: فما فعلوا؟ قالوا: ماتوا؛ قال: فغن محمداً صلى الله عليه وسلم مات

كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله،وأن محمداً عبده ورسوله؛ قالوا: ونحن نشهد أن لا
غله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنك فسيدنا وأملنا.
وثبتوا على إسللامهم وخلوا بين سائر ربيعة وبين المنذر بن ساوى، فكان المنذر مشتغلاً
بهم حياته، فلما مات حصر أصحابه في مكانين، فكانوا كذلك حتى انقذهم العلاء بن
الحضرمي.
قال: ولما ارتدت ربيعة ومن تابعها. قالوا: نرد الملك في آل المنذر، فملكوا المنذر بن
النعمان بن المنذر، وكان يسمى الغرور، فكان يقول بعد ذلك حين أسلم الناس وغلبهم
السيف: لست بالغرور، ولكني المغرور.
قال: ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم خرج الحجطم بن ضبيعة أخو قيس بن ثعلبة
فيمن اتبعه من بكر بن وائل على الردة، ومن تأشب إليه من غير المرتدين؛ ممن لم يزل كافراً
حتى نزل القطيف وهجر، وبعث بعثاً إلى دارين، فأقاموا به ليجعل عبد القيس بينه
وبينهم، وكانوا مخالفين لهم، يمدون المنذر والمسلمين، وأرسل إلى الغرور ابن أخي النعمان
بن المنذر، فبعثه إلى جؤاثي، وقال له: اثبت، فإني إن ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون
كالنعمان بالحيرة، وبعث إلى جواثي فحصرهم، وألحوا عليهم، وفي المسلمين المحصورين رجل
من صالحي المسلمين. يقال له: عبد الله بن حذف، أحد بني بكر بن كلاب، فاشتد عليه
وعليهم الجوع حتى كادوا يهلكوا؛ فقال عبد الله بن حذف في ذلك:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وفتيان المدينة أجمعينا
فهل لكم إلى قوم كرام قعود في جؤاثى محصرينا
كأن دماءهم في كل فج شعاع الشمس يغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن إنا وجدنا الصبر للمتوكلينا

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد عقد للعلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين كما
قدمنا ذكر ذلك، فسار العلاء فيمن معه، فلما كان بحيال اليمامة لحق به ثمامة بن أثال في
مسلمة بني حنيفة، وخرج مع العلاء من بني عمرو وسعد والرباب مثل عسكره، وسلك
الدهناء فنزل، وأمر الناس بالنزول، فنزلوا، فنفرت الإبل في جوف الليل، فما بقى بعير ولا

زاد ولا مزاد ولا بناء إلا ذهب عليها في عرض الرمل، وذلك حين نزل الناس، وقبل أن
يحطوا، فما هجم على جمع من الغم ما هجم عليهم، وأوصى بعضهم إلى بعض، ونادى
منادي العلاء: اجتمعوا، فاجتمعوا إليه؛ فقال: ما هذا الذي قد ظهر فيكم، وغلب
عليكم؟ فقال الناس: وكيف نلام ونحن إن بلغنا غدا لم تحم شمسه حتى نصير حديثاً،
فقال: أيها الناس، لا ترعوا، ألستم مسلمين! ألستم في سبيل الله! ألستم أنصار الله! قالوا:
بلى. قال: فابشروا فوالله لا يخذل الله منكانفي مثل حالكم.
ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر، فصلى بهم، منهم المتيم، ومنهم من لم يزل
على طهره، فلما قضى صلاته جثا لركبتيه، وجثا الناس، فنصب في الدعاء، ونصبوا معه،
فلمع لهم سراب الشمس، فالتفت إلى الصف. فقال: رائد ينظر ما هذا، ففعل، ثم رجع
فقال: سراب. فأقيل على الدعاء، ثم لمع لهم آخر، فكذلك، ثم لمع لهم آخر، فقال: ماء،
فقام وقام الناس معه، فمشوا حتى نزلوا عليه، فشربوا واغتسلوا، فما تعالى النهار حتى
أقبلت الإبل تكرد من كل وجه، فأناخت عليهم، فأقام كل رجل إلى ظهره، فأخذه.
قال منجاب بن راشد: فما فقدنا سلكاً؛ فأرويناها وأسقيناها العلل بعد النهل، وتروينا،
ثم تروحنا. وكان أبو هريرة رفيقي فلما غبنا عن ذلك المكان. قال لي: كيف علمك
بموضع ذلك الماء؟ فقلت: أنا من اهدى العرب بهذه البلاد. قال: فكن معي حتى تقيمنى
عليه، فكررت به، فأتيت به على ذلك المكان، فقلت: لولا أني لا أرى الغدير لأخبرتك ان
هذا هو المكان، وما رأيت بهذا المكان ماء ناقعاً قبل اليوم، وإذا إداواة مملوءة، فقال: يا أبا
سهم، هذا والله المكان، ولهذا رجعت بك، وملأت إدواتي ثم وضعتها على شفيره.
فقلت: إن كان منا من المن وكانت آية عرفتها، وإن كان غياثاً عرفته، فإذا من من المن؛
فحمد الله. ثم سرنا حتى ننزل هجر.
قال: فأرسل العلاء بن الحضرمي إلى الجارود ورجل آخر: أن انضما في عبد القيس حتى
تنزلاً على الحكم مما يليكما، وخرج هو فيمن جاء معه، وفيمن قدم عليه حتى ينزل عليه

ما يلى هجر، وتجمع المشركون كلهم إلى الحكم إلا أهل دارين، وتجمع المسلمون كلهم إلى
العلاء، وخندق المسلمون والمشركون، فكانوا يتراوحون القتال ويرجعون إلى خندقهم،
فكانوا كذلك شهراً.
فبينا الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة، كانها ضوضاء
هزيمة أو قتال، فقال العلاء: من يأتينا بخبر القوم؟
فقال عبد الله بن حذف: أنا آتيكم بخبر القوم؛ فخرج حتى إذا دنا من خندقهم أخذوه؛
فقالوا له: من أنت؟ فانتسب لهم، وجعل ينادي: يا أبجراه! فجاء أبجر فعرفه فقال: ما
شأنك؟ فقال: لا أصغر بين اللهازم، فقال: والله إني لأظنك بئس ابن الأخت لأخوالك
الليلة. فقال: دعني من هذا، وأطعمني؛ فإني قد مت جوعاً؛ فقرب له طعاماً فأكل، ثم قال:
زودني واحملني، فحمله على بعير، وخرج عبد الله بن حذف حتى دخل عسكر المسلمين،
فأخبرهم أن القوم سكارى، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عسكرهم، فوضعوا
السيوف فيهم حيث شاءوا، واقتحوا الخندق هرابا فتمرد وناج، ودهش ومقتول او
مأسور، واستولى المسلمون على ما في العسكر، ولم يسلم رجل إلا بما عليه، فأما أبجر
فأفلت؛ وأما الحطم فإنه دهش، وطار فؤاده، فقام إلى فرسه- والمسلمون خلالهم- فلما
وضع رجله في الركاب انقطع به فمر به، عفيف بن المنذر والحطم يستغيث؛ يقول: ألا رجل
يعقلني! فعرف صوته، فقال: أعطنى رجلك، فأعطاه رجله فنفخها فأطنها من الفخذ،
وتركه، فقال: أجهز على؛ فقال: لا، إني أحب ألا تموت حتى أمضك. وجعل الحكم لا يمر
به أجد من المسليمن في الليل إلا قال: هل لك في الحكم أن تقتله! حتى مر عليه قيس بن
عاصم فقتله، فلما رأى فخذه ناردة، قال: واسوأتاه لو علمت الذي به لم أحركه! وخرج
المسلمون بعدما أخذوا الخمدق على القوم يطلبونهم، فلحق قيس بن عاصم أبجر، فطعنه
قيس في العرقوب فقطعه، فكانت رادة، وأصبح العلاء فقسم الأنفال، ونفل رجالاً من أهل
البلاء ثياباً.

وأما أهل عمان ومهرة واليمن، فإن حذيفة بن محصن الحميري وعرفجة سارا إلى القوم،
فاقتتل المسلمون وأهل عمان قتالاً شديداً فهزم المسلمون المرتدين، وقتلوا منهم في المعركة
عشرة آلاف، وسبوا الذارى، وجمعوا الغنائم، وبعثوا الخمس إلى أبي بكر، وقسموا ما
بقى، ثم خرجوا نحو مهرة، فكشف الله جنود المرتدين، وقتل رئيسهم، وركبهم المسلمون،
فقتلوا منهم من شاءوا، وأصابوا من شاءوا، وخمسوا الغنائم، وبعثوا بالخمس إلى أبي بكر
الصديق رضى الله عنه، وقسموا ما بقى.
وأما من بقى من بقية الأمراء الذين عقد لهم أبو بكر رضي الله عنه، وبعثهم إلى من ارتد
من قبائل العرب، فإن كان أمير سار إلى من بعثه إليه فمن رجع عن الرد، وفاء إلى الإسلام
قبل منه ومن أبى قتل، وأطفأ الله تلك النبران.
روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال: لقد أقمنا بعد رسول اله صلى الله
عليه وسلم مقاماً كدنا نهلك فيه، لولا أن الله تعالى من علينا بأبي بكر، جمعنا على أن
نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون، وأن نأكل قرى عرينة، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين.
فعزم الله لأبي بكر على قتالهم، فو الله ما رضى منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية،
فأما الخطة المخزية فأن يقروا بأن من قتل منهم في النار، وأن من قتال منا في الجنة، وأن يدوا
قتلانا، ونغنم ما أخذنا مهم، وما أخذوا منا مردود علينا، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا
من ديارهم. وكانت هذه الحروب التي ذكرناها.
وهذه الوقائع كلها في سنة إحدى عشرة، وكان فيها حوادث أخر غير ما ذكرناها، نذكرها
إن شاء الله تعالى في حوادث السنين في خلافة أبي بكر رضى الله عنه بعد نهاية
الغزوات. والله أعلم.
ذكر مسير خالد بن الوليد إلى العراق
وما افتتحه وما صالح عليه وما قرره من الجزية
كان إرسال خالد بن الوليد إلى العراق في المحرم سنة ثلاث عشرة من الهجرة.
قالوا: وكان الذي هاج أبا بكر رضى الله عنه؛ أن المثنى بن حارثة الشيباني كان يغير
على أهل فارس بالسواد، فبلغ أبا بكر والسمليمن خبره، فقال عمر بن الخطاب رضى الله

عنه: من هذا الذي تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه؟ فقال قيس بن عاصم: أما إنه غير
خامل الذكر، ولا مجهول النسيب، ولا قليل العدد، ولا ذليل العمارة، ذلك المثنى بن حارثة
الشيباني.
ثم قدم المثنى على أبي بكر، فقال: يا خليفة رسول الله، ابعثني على قومي، فإن فيهم
إسلاماً، أقاتل بهن أهل فارس، وأكفيك أهل ناحيتي من العدو؛ ففعل أبو بكر رضى الله
عنه ذلك.
وقد المثنى إلى العراق، فقاتل، وأغار على أهل فارس ونواحى السواد حولاً، ثم بعث أخاه
مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد ويقول: إن أمددتني وسمعت بذلك العرب
أسرعوا إلى، وأذل اله المشركين، معأني اخبرك يا خليفة رسول الله، ابعث خالد بن الوليد
مدداً للمثنى بن حارثة، يكون قريباً من أهل الشام، فإن استغنى عنه أهلالشام ألح على
أهل العراق؛ حتى يفتح الله عليه. حكاه أبو عمر بن عبد البر من حديث الأصضمعي عن
سلمة بن بلال عن أبي رجاء العطاري.
قال: كتب أبو بكر الصديق رضى الله عنه إلى المثنى بن حارثة: إني قد وليت خالد بن
الوليد، فكن معه؛ وكان المثنى بسواد الكوفة، فخرج خالد فتلقاه، وقدم معه البصرة.
وحكى أبو الحسن على بن محمد الموصلي المعروف بابن الأثير في تاريخه: الكامل. قال:
أرسل أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد من اليمامة إلى العراق، وقيل: بل قدم إلى
المدينة من اليمامة، فأرسله إلى العراق، وأوصاه أن يبدأ بفرج الهند، وهو الأبله، وأن يتألف
أهل فارس، وكل من كان في ملكهم من الأمم، فصار حتى نزل بيانقياً، وبارسما وأليس،
فصالحه أهلها على عشرة آلاف دينار سوى جزية كسرى، وكان على كل رأس أربعة
دراهم فأخذ منهم الجزية، ثم سار حتى نزل الحيرة، فخرج إليه أشرافها مع قبيضة بن إياس
الطائي، وكان أميراً عليها بعد النعمان بن المنذر، فدعاهم إلى الإسلام، أو الجزية، أو
المحاربة فاختاروا الجزية، فصالحهم على تسعين ومائة الف درهم، فكانت أول جزية أخذت

من الفرس في الإسلام، هي والقريات التي صالح عليها،
واشترط على أهل الحيرة ا، يكونوا
عيوناً للمسلمين، فاجابوا إلى ذلك.
ثم سار خالد لقتال هرمز، فلما سمع هرمز بهم كتب إلى أردشير
الملك بالخبر واستمده
والتقيا، وخرج هرمز، ودعا خالداً للبراز ووطأ أصحابه على الغدر
به، فبرز إليه خالد،
ومشى نحوه راجلا، وبرز هرمز، واقتتلا، فاحتضنه خالد، وحمل
اصحاب هرمز، فما
شغله ذلك عن قتله، وحمل القعقاع بن عمرو، فأنهى أهل
فارس وركبهم المسلون؛ وسميت
هذه الوقعة: ذات السلاسل، وكانت عدة أصحاب خالد ثمانية
عشر ألفاً، ونجا قباذ
وأنوشجان، وأخذ خالد سلب هرمز، وكانت قلنسوته بمائة ألف،
وبعث بالفتح والأخماس
إلى أبي بكر، وسار حتى نزل بموضع الجسر الأعظم بالبصرة،
وبعث المثنى بن حارثة في
آثارهم، وبعث مقرن إلى الأبلة ففتحها، وجمع الأموال بها
والسبى.
وقيل: إن الأبله فتحت في خلافة عمر على ما نذكره إن شاء الله
تعالى. وحاصر المثنى
حصن المرأة، فافتتحه، وأسلمت المرأة.
وقعة المثنى
قال: ولما وصل كتاب هرمز إلى أردشير بخبر خالد، وأمده
بقارن بن قريانس، فلقيه
المنهزمون، فرجعوا معه وفيهم قباذ وا،وشجان، فنزلوا الثنى-
وهو النهر- وسار إليهم
خالد، والتقوا، واقتتلوا، فبرز قارن فقتله معقل بن الأشعى،
وقتل عاصم أنوشجان وقتل
عدى قباذ، وقتل من الفرس مقتله عظيمة يبلغون ثلاثين ألفاً؛
سوى من غرق في الماء، فقسم
خالد الفى، بعد أن خمسه، وأرسل بالأخماس إلى المدينة،
وأعطى الأسلاب من سلبها،
وكانت غنيمة عظيمة، وأخذ الجزية من الفلاحين، وكانواذمة،
وكان في السبى أبو الحسن
البصري، وكان نصراينا.
وقعة الولجة
قال: ولما وصل الخبر إلى أردشير بعث الأندرزغر وكان فارساً
من مولدي السواد، وأرسل
بهمن جازويه في اثره في جيش، وكان من الأندرزغر الفرس
والعرب الضاحية والدهاقين،

فعسكروا بالولجة، فجاءهم خالد إليها وكمن لهم كميناً، وقاتلهم قتالاً شديداً، وخرج كمين
خالد من خلفم فانهزمت الأعاجم، وأخذهم خالد من أمامهم، والكمي من خلفهم، فقتل
منهم خلق كثير. ومضى الأندرزغر منهزماً، فمات عطشا.
وقعة أليس
قال: لما أصاب خالد بن الوليد يوم الولجة ما أصاب من نصارى بكرين وائل، الذين أعانوا
الفرس، غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الرس، واجتمعوا على أليس، وعليهم عبد
الأسود العجلي، وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه، وأمره بالقدم على نصارى العرب، فقدم
عليهم بهمن جابان، وأمره بالتوقف عن المحاربة حتى يقدم عليه، وسار بهمن إلى أردشير
يشاوره فيما يفعل، فوجده مريضاً فتوقف؛ واجتمع على جابان نصارى عجل، وهم اللات
وضبيعة وجابر بن بجير، وعرب الضاحية من أهل الحيرة، فسار إليهم خالد والتقوا،
واقتتلوا قتالاً شديداً؛ فقال خالد: اللهم إن هزمتهم فعلى ألا استبقى منهم من قدرت عليه؛
حتى أجرى من دمائهم نهرهم، فانهزمت فارس، فنادى منادي خالد: الأسر الأسر! إلا
من امتنع فاقتلوه، فأقبل بهم المسلمون أسراء، ووكل بهم من يضرب أعناقهم، فضرب
أعناقهم يوماً وليلة؛ فقال له القعقاع: لو قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم، فأجرى عليه الماء
فسمى ذلك الماء نهر الدم، وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً، وكانت الوقعة في صفر أيضاً.
ثم سار إلى امغيشيا، وأصاب فيها ما لم يصب مثله من الغنائم، وأخر بها، وبعث إلى أبي
بكر بالسبى والغنائم؛ فقال أبو بكر: عجز الناسء أن يلدن مثل خالد. رضى الله تعالى
عنهما.
وقعة فرات
بادقلى وفتح الحيرة
قال: ثم سار خالد من أمغيشيا إلى الحيرة، وحمل الرجال والأثقال في السفن، فخرج
مرزبان الحيرة، وهو الأزادبه، فعسكر عند الغريين وأرسل ابنه، فقطع الماء عن السفن،
فبقيت على الأرض، فسار خالد نحوه فلقيه لى فرات بادقلي، فقتله، وقتل أصحابه، فلما

بلغ الأزاذبة قتل ابنه هرب بغير قتال، ونزل المسلمون على الغريين، وتحصن أهل الحيرة
فحصروهم في قصورهم، وافتتح المسلمون الدروب والدور، وأكثروا القتل، فنادى أهل
القصور المسلمين: قد قبلنا واحدة من ثلاث: إما الإسلام، أو الجزية، أو المحاربة، فكفوا
عنهم، وصالحهم على مائة ألف وتسعين ألفا. وقيل: مائتي ألف وتعسين ألفا.
وكان فتح الحيرة في شهر ربيع الأول، وكتب لهم خالد كتاباً، فلما كفر أهل السواد ضيعوه،
فلما افتتحها المثنى ثانية عاد بشرط آخر، فلما عادوا كفروا، وافتتحها سعد بن أبي
وقاص، ووضع عليهم أربعمائة ألف. فقال خالد: ما لقيت قوماً كأهل فارس، وما لقيت من
أهل فارس كأهل أليس.
بعد فتح الحيرة
قال: وكان الدهاقين يتربصون بخالد، ما يصنع أهل الحيرة، فلما صالحهم واستأمنوا له أتته
الدهاقين من تلك النواحى، فصالحوه على ألفى ألف. وقيل: ألف ألف، سوى ما كان لآل
كسرى.
وكتب إلى أهل فارس يدعوهم إلى افسلام أو الجزية فإن أجابواه وإلا حاربهم. وجبى
الخراج في خمسين ليلة، وأعطاه للمسلمين، ولم يبق لأهل فارس فيما بين الحيرة ودحلة أمر،
لاختلافهم بموت أردشير، إلا أنهم مجمعون على حرب خالد، وهو مقيم بالحيرة.
فتح الأنبار
قال: ثم سار خالد إلى الأنبار، وإنما سميت الأنبار، لأن أهراء الطعام كانت بها أنابير،
وكان على من بها من الجند شيرزاد صاحب ساباط، فلما التقوا أمر خالد رامته برشق
السهام، وأن يقصد واعيونهم، فرشقوا رشقاً واحداً، ثم تابعوا، فأصابوا ألف عين،
فسميت هذه الواقعة ذات العيون، فلما رأى شيرزاد ذلك، أرسل في طلب الصلح، فصالحه
خالد على أن سلحقه مأمنه في جريدة، وليس معهم من المتاع شىء.
وخرج شيرزاد إلى بهمن جاذويه، ثم صالح خالد من حول الأنبار وأهل كلواذى. والله
سبحانه وتعالى اعلم والحمد لله وحده.
فتح عين التمر

قال: ولما فرغ خالد من الأنبار، استخلف عليها الزبرقان أين بدر، وسار إلى عين التمر،
وبها مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من
العرب؛ من النمر، وتغلب، وإياد؛ وغيرهم. فقال عقة لمهران: إن العرب أعلم بقتال العرب
منكم، فدعنا وخالدا؛ قال: نعم، وإن احتجتم إلينا أعناكم، فالتقى عقة بخالد، فحمل
خالد عليه وهو يقيم صفوفه، فاحتضنه وأسره، فانهزم أصحابه من غير قتال، وأسر
أكثرهم. فلما بلغ الخبر مهران، هرب في جنده وترك الحصن، فانتهى المنهزمون إليه
وتحصنوا به، فنازلهم خالد، فسألوا الأمان، فأبى، فنزلوا على حكمه، فأخذهم أسرى،
وقتل عقة، ثم قتلهم عن آخرهم، وسبى كل من بالحصن وغنم ما فيه، ووجد في بيعتهم
أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق، فكسره وقال: ما أنتم؟ قالوا: رهن،
فقسمهم في أهل البلاد، منهم: أبو زياد مولى ثقيف، وأبو عرمة جد عبد الله بن عبد
الأعلى الشاعر، وسيرين أبو محمد، ونصير أبو موسى، وحمران مولى عثمان بن عفان.
وأرسل إلى أبي بكر بالخبر والخمس والسبى، فكان أول سبى قدم المدينة من العجم،
وجعل خالد عل عين التمر عويمراً السلمى.

دومة الجندل

قال: ولما فرغ خالد من عين التمر أتاه كتاب عياض بن غنم؛ يستمده عل من بإزائه من
المشركين، فسار إليه، وكان بغزائه بهراء وكلب، وغسان، وتنوخ، والضجاعم، وكانت دومة
الجندل على رئيسين: أكيدر بن عبد الملك، والجودى بن ربيعة، فأما أكيدر فأشار بالصلح،
ولم ير قتال خالد، فلم يقبلوا منه، فخرج عنهم، وسمع خالد بمسيره، فأرسل إلى طريقه،
وأخذه أسيراً وقتله وأخذ ما كان معه، وسار حتى نزل بدومة، وجعلها بينه وبين عياض،
وخرج الجودى إلى خالد في جمع ممن عنده من العرب، وأخرج طائفة إلى عياض، فهزمهم
عياض، وهزم خالد من يليه، وأسر الجودى، وانخزموا إلى الحصن، فلما امتلأ أغلقوا الباب
دون أصحابهم، فبقوا حوله، فقتلهم خالد، وقتل الجودى وقتل السرى إلا أسرى كلب، فإن

بنى تميم قالوا: لخالد: قد أمناهم، وكانوا حلفاءهم، فتركهم لهم، ثم أخذ احصن فقتل
المقاتلة، وسبى الذرية، فاشترى خالد ابنة الجودى، وكانت موصوفة بالحمال.
وأقام خالد بدومة الجندل، فطمع الأعاجم، وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقة، فكانت
وقعة حصيد والخنافس، بين القعقاع بن عمرو، خليفة خالد على الحيرة، وبين روزية
وزرمهر. فقتل روزبه بحصيد، وانهزم الأعاجم إلى الخنافس؛ فتبعهم المسلمون، وهربوا إلى
المصيخ، إلى الهذيل بن عمران.
وقعة مصيخ
قال: ولما انتهى الخبر إلى خالد تب إلى القعقاع وأبي ليلى، وواعدهم في وقت معلوم
يجتمعون بالمصيخ لقتال هذيل بن عمران ومن معه، فأغاروا عليه من ثلاثة أوجه وهم نائمون
فقتلوهم، وأفلت الهذيل في نفر قليل، وكثر فيهم القتل.
وقعة الثنى والزميل
وكان ربيعة بن بجير بالثنى والزميل- وهما شرقي الرصافة- قد خرج غضباً لعقة، فلما
أصاب خالد أهل المصيخ سار إلى الثنى وبيتهم من ثلاثة أوجه، وأوقع بهم وقتلهم، فلم
يفلت منهم مخبر،ن وسبى وغنم، وبعث بالخبر والخمس إلى أبي بكر الصديق رضى الله
عنه، فاشترى علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- بنت ربيعة ابن بجير التغلبي، فولدت له
عمر ورقية.
وقعة الفراض
قال: ثم سار خالد إلى الفراض، وهي تخوم الشام والجزيرة، فأفطر فيها شهر رمضان
لاتصال الغزوات، وحميت الروم، واستعانوا بمن يليهم من الفرس فأعانوهم، واجتمع معهم
تغلب وإياد والنمر، وساروا إلى خالد، وبلغوا الران، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت الروم
ومن معهم، وأمر خالد ألا يرفع عنهم السيف، فقتل ف المعركة، وفي الطلب مائة الف، وأقام
خالد على الفراض عشراً، ثم أذن بالرجوع إلى الحيرة لخمس بقين من ذى القعدة شنة ثنتى
عشرة، وخرج من الفراض سراً، ومعهن عدة من أصحابه يعسف البلاد، حتى أتى مكة
فحج ورجع، وكانت غيبته عن الجند يسيرة؛ ولم يعلم بحجة إ من أفضى إليه بذلك.

فتوح الشام
قال: وفي سنة ثلاث عشرة وجه أبو بكر رضى الله عنه الجنود إلى الشأم، بعد منصرفه
من مكة إلى المدينة، فبعث عمرة بن العاص قبل فلسطين، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا
عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة، وأمرهم أن يسلجطوا على البلقاء من علياء
الشام. وقيل: أول لواء عقده أبو بحكر رضى الله عنه، عند توجديهه الجنود إلى الشام لواء
خالد بن سعيد بن العاص، ثم عزله قبل أن يسير، وولى يزيد بن أبي سفيان- وكان عزله
عن رأى عمر- وقدم عكرمة ابن أبي جهل على أبي بكر فيمن كان معه من تهامة وعمان
والبحرين، فجعل أبو بكر عكرمة ردءاً للناس. وبلغ الروم ذلك، فكتبوا إلى هرقل، فخرج
هرقل حتى أتى حمص، فأعد لهم الجنود، وأرسل أخاه إلى عمرة، فخرج نحوه في تسعين
ألفاً، فهابهم المسملون، وجميع فرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً سوى عكرمة؛ فإنه في
ستة آلاف، فكتبوا إلى عمرو بن العاص: ما الرأي؟ فكاتبهم أن الرأى الاجتماع، وذلك أن
مثلنا إذا اجتمع لا يغلب من قلة. فاتعدوا اليرموك ليجتمعوزا به وكان المسلمون كتبوا إلى
أبي بكر بمثل ما كتبوا به إلى عمرو، فجاءهم كتابه بمثل ما رأى عمرو، وبلغ ذلك هرقل،
فكتب إلى بطارقته أن اجتموعا لهم، وانزلوا بالروم منزلاً واسع المطرد ضيق المهرب،
ففعلوا، ونزلوا الواقواصة، وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقاً لهم، وأقبل
المسلمون، فنزلوا عليهم بحذائهم، فأقاموا صفر وشهري ربيع لا يقدرون من الروم على
شىء، حتى إذا انسلخ شهر ربيع الأول، كتبوا إلى أبي بكر يستمدونه، فكتب إلى خالد بن
الوليد يلحق بهم، وأن يسير في نصف العسكر، ويستخلف على النصف الآخر المثنى بن
حارثة الشيباني، ففعل. والله تعالى أعلم بالصواب.
ذكر مسير خالد بن الوليد إلى الشام
وما فعل في مسيره إلى أن التقى بجنود المسلمين بالشام
لما ورد كتاب أبي بكر الصديق رضى الله عنه إلى خالد بن الوليد، يأمره بالمسير إلى الشام
في نصف العسكر سار كما أمره، فلما انتهى إلى سوى أغار على أهله، وهم بهراء، وأتاهم

وهم يشربون الخمر،
ومغنيهم يقول:
ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندري
ألا عللاني بالزجاج وكررا على كميت اللون صافية تجرى
ألا عللاني من سلافة قهوة تسلى هموم النفس من جيد الخمر
أظن خيول المسلمين وخالد ستطرفكم قبل الصباح مع النسر
فهل لكم في السير قبل قتالهم وقبل خروج المعصرات من الخدر
فقتل المسلمون مغنيهم، وسال الدم في تلك الجفنة، وأخذوا أموالهم، وقتل حرقوص بن
النعمان البهراني. ثم سار خالد حتى أتى أرك، فصالحوه، قم أتى تدمر فتحصن أهلها،
صم صالحوه، ثم أتى القريتين، فقاتل أهلها وظفر بهم وغنم، وأتى حوارين فقاتل أهلها
فهزمهم، وسار حتى نزل ثنية العقاب، وبالقرب من دمشق ناشراً رايته، وهي راية سوداء
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، تسمى العقاب، فسميت الثنية بها، ثم سار فأتى
مرج راهط، فأغار على غسان، فقتل، وسبى، وأرسل سرية إلى كنيسة بالغوطة، فقتلوا
الرجال، وسبوا الناسء، ثم سار حتى وصل إلى بصرى، وعليها أبو عبيدة بن الجراح،
وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، فجمع له صاحب بصرى، فسار إليه خالد هو
وأبو عبيدة، فلقيهم خالد، فظفر بهم وهزمهم، فدخلوا حصنهم وطلبوا الصلح، فصالحهم
على كل رأس دينار في كل عام، وجريب حنطة، فكانت بصرى أول مدينة فتحت بالشام
على يد خالد بن الوليد، وأهل العراق. وبعث الأخماس إلى أبي بكر الصديق رضى الله
عنه. ثم سار فطلع على المسلمين في شهر ربيع الآخر، وطلع باهان على الروم منذراً
هلم. واتفق قدوم خالد وقدوم باهان، ومع باهان القسيسون والشمامسة والرهبان
يحرضون الروم على القتال، وخرج باهان، فولى خالد قتاله، وقاتل الأمراء من بإزائهم، ورجع
ماهان والروم إلى خندقهم، وقد نال المسلمون منهم، فلزموا خندقهم غاية شهرهم. والله
سبحانه وتعالى اعلم.
وقعة أجنادين

هذه الوقعة قد ذكرها ابن الأثير رحمه الله بعد وقعة اليرموك،ن واعتمد في ذلك على أبي
جعفر الطبري رحمه الله، فإنه أوردها على منواله، ويقتضى سياق التاريخ أن تكون مقدمو
على وقعة اليرموك؛ وذلك ا، خالد بن الوليد لما قدم بصرى وعليها أبو عبيدة وشرحبيل
ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان، وصالح أهلها على الجزية على ما تقدم، ثم ساروا جميعاً
إلى فلسطين مددا لعمرو بن العاص، وهو مقيم بالعربات، واجتمعت الروم بأجنادين- وهي
بين اليرموك وبيت جبرين من أرض فلسطين- وعليهم تذارق أخو رقل لأبويه. وقيل: كان
على الرومن القبقلار. وسار عمرو ب العاص حين سمع بالمسلمين فلقيهم، فنزلوا بأجنادين،
فبعث القبقلار عربياً إلى المسلمين يأتيه يخبرهم، فعاد إليه، فقال له: ما وراءك؟ فقال:
بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قعوه، ولو زنى رجموه، لإقامة الحق
فيهم، فقالك إن كنت صدقتني فبطن الرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها. ثم التقوا يوم
السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة، وظهر المسلمون عليهم، وانهزام
الروم، وقتل القبقلار وتذارق، واستشهد رجال من المسلمين. ثم جمع هرقل للمسلمين، فالتقوا باليرموك.
والله سبحانه أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.
وقعة اليرموك
قال: واجتمع السملون باليرموك، وقد تكامل عددهم ستة وثلاثين ألفا، منهم جيش خالد
تسعة آلاف، وجيش عكرمة ستة آلاف، وقيل في عددهم غير ذلك. وكان الروم في مائتي
ألف وأربعين ألف مقاتل، منهم: ثمانون ألف مقيد، وأربعون ألف مسلسل للموت، وأربعون
ألفاً مربطون بالعمائم، وثامنون ألف راجل. وذلك في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة،
وخرجوا للقاء، فلما أحس المسلمون بخروجهم، قام خالد بن الوليد، فحمد الله تعالى،
وأثنى عليه؛ وقال: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر. أخلصوا بجهادكم،
وأريدوا الله بعملكم، وهلموا فلنتعاور الإمارة، فليكن عليها بعضنا اليوم، والآخر غدا،

والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم؛ ودعوني أميركم اليوم.
فأمروه، وهم يرون أن الأمر
أطول مما صاروا إليه، وخرجت الروم في تعبئة لم ير الراءون
مثلها قط، وخرج خالد في تعبئة
لم يعبئها العرب قبل ذلك، فخرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى
أربعين، وجعل القلب كراديس،
وأقام فيه أبا عبيدة، وجعل الميمنة كراديس، وجعل عليها عمر
بن العاص، وفيها شرحبيل
بن حسنة، وجعل الميسرة كراديس، وعليها يزيد بنأبي سفيان،
وجعل على كردوس منن
كراديس العراق إنساناً، وشهد اليرموك ألف رجل م الصحابة،
فيهم من أهل بدر نحو المائة.
فقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين! فقال خالد:
ما أكثر المسلمين وأقل الروم!
وإنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان، لا بعدد الرجال.
ثم أمر خالد عكرمة والقعقاع بنعمرو- وكانا مجنبتى القلب-
فأنشبا القتال، فنشب والتحم
الناس، وتطارد الفرسان؛ فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من
المدينة، فسأله الناس عن الخبر،
فأخبرهم بسلامة وأمداد تقبل إليهم؛ وإنما كان قد جاء بموت
أبي بكر وتأمير أبي عبيدة،
فأبلغوه خالداً، فأخبره بوفاة أبي بكر سراً، وأخبره بالذي أخبر به
الجند، فشكره وأخذ
الكتاب، فجعله في كنانته. وخرج جرجة منعسكر الروم، وكان
أحد عظمائهم، فوقف بين
الصفين ليخرج إلى خالد، فخرج إليه، وأقام أبا عبيدة مكانه،
فواقفه بين الصفين حتى
اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمن كل منهما صاحبة.
فقال جرجة: يا خالد، اصدقني ولا تكذبي، فإن الحر لا يكذب، ولا
تخادعني، فإن الكريم
لا يخادع المسترسل، قد أنزل الله على نبيكم سيفاً، فأعطاه لك،
فلا تسله على قوم إلا
هزمهم الله! قال: لا، قال:ففيهم سميت سيف الله؟ قال: إن
الله بعث فينا نبيه صلى الله
عليه وسلم، فدعانا، فنفرنا منه، ثم إن بعضنا صدقه وبعضنا
باعده وكذبه، فكنت ممن
كذبه وقاتله ثم هداني الله فتابعته؛ فقال: أنت سيف من سيوف
الله سله الله على
المشركين، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فا،ا أشد
المسلمين على الكافرين
المشركين؛ فقال: صدقت، فأخبرنى، إلام تدعوني؟ قال خالد:
إلى الإسلام أو الجزية، أو

الحرب. قال: فما منزلة الذي يجيبكم ويدخل فيكم؟ قال: منزلتنا واحدة، قال: فهل له في
الأجر والذخر مثلكم؟ قال: نعم، وأفضل؛ لأننا اتبعنا نبينا وهو حي يخبرنا بالغيب، ونرى
منه العجائب، وأنتم لم تروا مثلنا، ولم تسمعوا ما سمعنا، فمن دخل بنية وصدق، كان
أفضل منه. فقلب جرجة ترسله، ومال مع خالد يعلمه الإسلام، وأسلم، فمال به خالد إلى
فسطاطة، فشن عليه قربة من الماء وصلى به ركعتين.
وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها منه حيلة، فأزالوا السمليمن عن
مواقفهم، فقال هكرمة بن أبي جهل: قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل
موطن، وأفر منكم! ثم نادى: من يبايع على الموت؟ فبايعه الحارث بن هشام، وضرار بن
الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا أمام فسطاجط خالد حتى أثبتوا
جميعاً جراجا، فمنهم من برى، ومنهم من استشهد.
وحمل خالد ومعه جرجة- والروم خلال المسلمين- فنادى الناس فثابوا، وتراجعت الروم
إلى مواقعهم، وزحف خالد بالمسلمين إليهم حتى تصافحوا بالسيوف، وضرب فيهم خالد
من لدن ارتاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة، ولم يصل صلاة سجد
فيها إلاالركعيتن مع خالد، وصلى الناس الظهر والعصر إيماء، وتضعضع الروم، ونهد خالد
بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم، فانهزم الفرسان، وخرجت خيلهم تشتد في
الصحراء.
ولما رأى المسلمون خيل الروم أفرجوا لها، فذهبت، فتفرقت في البلاد، وأقبل خالد ومن
معه على الرجل، ففضوهم؛ فكأنما هدم بهم حائط، واقتحموا في خندقهم، فاقتحمه عليهم،
فعمدوا إلى الواقوصة، فهوى فيها المقترنون وغيرهم، فتهاوى فيها عشرون ومائة ألف، ثمانون
ألف مقترن، وأربعون ألف مطلق، سوى من قتل في المعركو منالفرسان والرجال، وقاتل
النساء يومئذ، وكانت هزيمة الروم مع غالليل. وصعد المسلمون العقبة وأصابوا ما في
عسكر الروم، قتل الله صناديد الروم ورءوسهم وأخا هرقل؛ وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو

دون مدينة حمص- أو بحمص- فنادى بالرحيل عنها، وجعلها بينه وبين المسلمين، وأمر
عليها أميراً كما أمر على دمشق.
هذا ما كان من واقعة اليرموك على سبيل الاختصار
روى عن عبد الله بن الزبير، قال: كنت مع أبي باليركوك وأنا صبي لا أقاتل؛ فلما اقتتل
الناس نظرت إلى أناس على تل لا يقاتلون، فركبت فذهبت إليهم؛ فإذا أبو سفيان بن حرب
ومشيخة من قريش من مهاجرة الفتح، فراوني حدثاً فلم يتقوني. قال: فجعلوا إذا مال
المسلمون، وركبهمن الروم يقولون: إيه بنى الصفر! وإذا مالت الرومم وركبهم المسملون قاوا:
ويح بني الأصفر! فلما هزمت الروم أخبرت أبي بذلك، فضحك وقال. قاتلهم الله! أبوا إلا
ضغنا! لنحن خير لهم من الروم.
وقد حكى أبو جعفر الطبري رحمه الله، أن أبا سفيان يوم اليرموك كان يسير فيقف على
الكراديس فيقول: الله، الله! إنكم ذادة العرب وأنصار افسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار
الشرك! اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك. والله أعلم.
هذا ما وقع ف يخلافة أب ي بكر الصديق رضى الله عنه من الغزوات والحروب،
والفتوحات، فلنذكر ما هو خلاف ذلك من الحوادث على السنين، إن شاء الله تعالى،
والحمد لله وحده.
ما وقع في خلافته
أبي بكر غير ما ذكرناه
سنة إحدى عشرة
فيها كانت وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها، وذلك في ليلة
الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان، وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة، أو نحوها.
وقيل: توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر؛ قاله أبو جعفر
ثم قال: والثبت عندنا أها توفيت بعد ستة أشهر، وغسلها علي بن أبي طالب، وأسماء
بنت عميس، وصلى عليها العباس بن عبد المطلب، ودخل قبرها العباس وعلى والفضل
بن عباس؛ قاله الواقدي.
قال ابو عمر: فاطمة أول من غطى نعشها من الناسء في الإسلام؛ وذلك أنها قالت لأسماء

بنت عميس: يا أسماء، إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، إنه يطرح على المرأة الثوب،
فيصفها. فقالت أسماء ي بنت رسول الله، ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة؟ فدعت
بجرائد رطبة فحنتها، ثم طرحت عليها ثوباً. فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله!
تعرف به المرأة من الرجل، فإذا أنا مت فاغسليني أنت وعلى، ولا تدخلي على أحداً، فلما
توفيت جاءت عائشة تدخل؛ فقالت أسماء: لا تدخلي، فشكت إلى أبي بكر. فقالت:
إن هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله، وقد جعلت لها مثل هودج العروس؛
فجاء أبو بكر، فوقف على الباب. فقالت: يا أسماء، ما حملك على أن منعت أزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ا، يدخلن على نبت رسول الله، وجعلت لها مثل هودج
العروس؟. قالت: أمرتني ألا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت وهي حية،ن
فأمرتني أن أصنع ذلك لها. قال أبو بكر: فاصنعى م أمرتك، ثم انصرف.
وفيها انصرف معاذ بن جبل عن اليمن.
واستقصى أبو بكر عمر بن الخطاب رضى الله عنهم.
وفيها أمر أبو بكر رضى الله عنه على الموسم عتاب بن أسيد؛ وقيل: بل حج بالناس
عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إياه.
سنة اثنتى عشرة
فيها مات أبو مرثد الغنوى، واسمه كناز بن حصن- ويقال ابن حصين- حليف حمزة بن
عبد المطلب؛ صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابنه مرثد، وابنه أنيس بن
مرثد؛ وشهد بدراً هو وابنه مرثد، وشهد هو المشهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ومات وهو ابن ست وستين سنة.
وفيها، في ذي الحجة مات أبو العاص بن الربيع، واختلف في اسمه، فقيل: لقط، وقيل
مهشم، وقفيل: هشيم، والأكثر لقط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد مناف بن قصى
القرشي العبشمى ويسمى جرو البطحاء، وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على
ابنته زينب، وأمه هالة بنت خويلد، أخت خديحة أم المؤمنين، وأوصى إلى الزبير بن العوام،
وتزوج على ابنته.

وحج بالناس في هذه النسة أبو بكر الصديق رضى الله عنه، واستخلف لى المدينة عثمان
بن عفان رضى الله عنه. وقيل: بل حج عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه. والله
تعالى أعلم بالصواب.
وفاته
الصديق رضى الله عنه ومدة خلافتة
قد اختلف في وقت وفاته رضى الله عنه؛ فقال ابن اسحاق: في يوم الجمعة لتسع من
جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.
وقال غيره: إنه مات عشى يوم الأثنين. وقيل: ليلة الثلاثاء.
وقيل: عشى يوم الثلاثاء لثمان
بقين من جمادى الآرة.
قال ابن عبد البر: هذا قول أكثرهم.
وقيل: مكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر وسبع ليال.
وقال ابن اسحاق: سنتين وثلاثة أشهر إلا خمس ليال. وقيل: سنتين وثلاثة أشهر واثنتي
عشرة ليلة.
وقال غيره: وعشرة أيام.
وقال آخرون: وعشرين يوماً.
واختلف أيضاً في السبب الذي مات منه، فذكر الواقدى: أنه اغتسل في يوم بارد، فحم.
ومرض خمسة
عشر يوماً.
وقال الزبير بن بكار: كان به طرف من السل. وروى عن سلام بن أبي مطيع: أنه سم:
وأن اليهود سمته في حريرة، وهي الحسو، فأكل هو والحارث بن كلدة، فكف الحارث، وقال
لأبى بكر: أكلنا طعاماً مسموماً، سم سنة، فمات بعد سنة.
وقيل: أصل مرضه الغم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وانتهت سنة رضي الله عنه عند وفاته إلى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثلاثاً
وستين سنة.
قال أبو عمر بن عبد البر: لا يختلفون في أن سنة إلى ذلك، إلا مالا يصح.
وقد كان آخر ما تكلم به: توفني مسلماً، وألحقني بالصالحين.
وغسلته زوجته أسماء ببنت عميس بوصية منه وأبنه عبد الرحمن، وأوصى بأن يكفن في
ثوبيه، ويشتري معهما ثوب ثالث، وقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت، إنما هو للمهملة
والصديد.

وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سرير
عائشة رضي الله عنها، وكان من خشبتي ساج منسوجاً بالليف في ميراث عائشة، أربعة
آلاف درهم اشتراه مولى لمعاوية، وجعله للمسلمين. ودخل قبره ابنه عبد الرحمن وعمر بن
الخطاب وعثمان وطلحة، وجعل رأسه عند كتفي النبي صلى الله عليه وسلم، وألصقوا
لحده بلحده، ودفن رضي الله عنه ليلاً.
من أخباره وأحواله
ومناقبه رضي الله عنه غير ما تقدم
قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا في هذا السفر وما قبله نبذة من أخباره، ولمعة من
آثاره، وطرفاً من مآثره السنية، وجملة من فضائله التي هي بجزيل الخيرات ملية، وأحببنا أن
نورد في هذا الموضع نبذة أخرى غير ما قدمنا، ونتم هذا الفصل لشيء من مناقبة كما
بدأنا، ولا نشترط الاستيعاب لمناقبه ومآثره لتوفرها، ولا الحصر لفضائله الجزيلة لتعددها
وتكررها، بل نورد من كل نوع منها طرفاً يحتوي على خصال منيعة، وأخلاق شريفة،
ويتحقق سامعه أنه لو أنفق ملء أحد ذهباً ما بلغ مده ولا نصيفه.
كان رضي الله تعالى عنه قد تقلل من الدنيا جهد طاقته، واقتصر منها على بعض ما يسد
به بعض خلته وفاقته، وتجنب أموال المسلمين جهده، وأنفق في سبيل الله وعلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان عنده؛ نطق بفضله القرآن، وجاهد في دين الله فأذل الله له
وبه أهل الشرك والطغيان، وشمر عن الساعد في قتال أهل الردة حين استذلهم الشيطان،
وأقدم على حربهم بنفسه وجيوشه حين اشرأب النفاق ولمعت بوارقه، وناضلهم بكتبه
وكتائبه حين ظهر الكفر ونشرت خوافقه، فأخمد الله تعالى به حاكان قد اضطرم من نيران
الردة، وأفاء تلك القبائل التي كانت لحرب الإسلام مستعدة؛ إلا من استمر منهم على كفره،
وما نزع عن شره ومكره، وأبي إلا جحود هذا الدين وقتال شعبه، ونفر عن الرجوع
والانضمام إلى حزبه؛ فإن الله تعالى قتله شر قتلة، وأباح للمسلمين ماله وأهله ونسله.
روى أنه لما ارتدت العرب، خرج أبو بكر رضي الله عنه شاهراً سيفه إلى ذي القصة،

فجاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأخذ بذمام راحلته، وقال أين يا خليفة رسول
الله؟
أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: شم سيفك لا تفجعنا
بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام، وكان له رضي الله عنه بيت مال
بالسنح، وكان يسكنه إلى أن انتقل إلى المدينة؛ فقيل له: ألا تجعل عليه من يحرسه؟ قال:
لا، فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين، فلا يبقى فيه شيء، فلما انتقل إلى المدينة جعل
بيت المال معه في داره.
ولما توفي جمع عمر الأمناء، وفتح بيت المال فلم يجد فيه شيئاً غير دينار سقط من غرارة،
فترحموا عليه.
وفي خلافته رضي الله عنه: انفتح معدن بني سليم، فكان يسوي في قسمته بين السابقين
الأولين والمتأخرين في الإسلام، وبين الحر والعبد، والذكر والأنثى. فقيل له:
ليقدم أهل السبق على قدر منازلهم. فقال:
إنما أسلم لله، ووجب أجرهم عليه، يوفيهم ذلك في الآخرة وإنما هذه الدنيا بلاغ.
وكان يشتري الأكسية ويفرقها في الأرامل في الشتاء.
قال أبو صالح الغفاري: كان عمر رضي الله عنه يتعهد امرأة عمياء في المدينة بالليل، فيقوم
بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، ففعل ما أرادت، فرصده عمر، فإذا
هو أبو بكر رضي الله عنه، كان يأتيها ويقضي أشغالها سراً وهو خليفة؛ فقال: أنت هو
لعمري!
وكان منزل أبي بكر رضي الله عنه بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة، فأقام هناك
ستة أشهر بعدما بويع، وكان يغدو على رجليه إلى المدينة، وربما ركب فرسه، فيصلى
بالناس؛ فإذا صلى العشاء رجع إلى السنح.
وكان إذا غاب صلى بالناس عمر، وكان يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له
قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو بنفسه فيها، وربما رعيت له.
وكان يحلب للحى أغنامهم، فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم: الآن لا يحلب لنا منائح

دارنا، فسمعها، فقال: بل لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلت فيه عن
خلق كنت عليه، فكان يحلب لهم، ثم تحول إلى المدينة بعد ستة أشهر من خلافته.
وقال: لا تصلح أمور الناس مع التجارة، وما يصلح إلا التفرغ لهم؛ والنظر في شأنهم، فترك
التجارة وأنفق من مال المسلمين، ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم، ويحج ويعتمر؛ فكان
الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم. فلما حضرته الوفاة قال: ردوا ما عندنا من
مال المسلمين، فإني لا أصيب من هذا المال شيئاً، وإن أرضى الذي بكذا وكذا للمسلمين
بما أصبت من أموالهم، فدفع ذلك إلى عمر. وقيل: إنه قال: انظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال؟
اقضوه عني، فوجدوا مبلغة ثمانية آلاف.
وقيل: إنه قال لعائشة رضي الله عنها: أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا
درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم، ولبسنا من خشن ثيابهم، وليس عندنا من فيء
المسلمين إلا هذا العبد، وهذا البعير، وهذه القطيفة، فإذا مت فابعثي بالجميع إلى عمر؛
فما مات بعثته إليه، فلما رآه بكى حتى سالت دموعه على الأرض؛ وجعل يقول: رحم الله
أبا بكر! لقد أتعب من بعده، يكرر ذلك، وأمر برفعه. فقال له عبد الرحمن بن عوف:
سبحان الله ! تسلب عيال أبي بكر عبداً، وناضحاً، وشق قطيفة ثمنها خمسة دراهم!
فلو أمرت بردها عليهم. فقال: لا، والذي بعث محمداً لا يكون هذا في ولايتي، ولاخرج أبو
بكر منه وأتقلده أنا.
وقد قيل: إنه رضي الله عنه، كان يأخذ من بيت المال في كل يوم ثلاثة دراهم أجرة، وإنه
قال لعائشة:
انظري يا بنية ما زاد في مال أبيك ولي هذا الأمر فرديه على المسلمين.
فنظرت فإذا بجرد قطيفة لا تساوي خمسة دراهم، ومحشة، فجاء الرسول إلى عمر بذلك
والناس حوله، فبكى عمر، وبكى الناس؛ وقال: رحمك الله أبا بكر! لقد كلفت من بعدك
تعباً طويلاً! فقال الناسك أردده يا أمير المؤمنين إلى أهله.
قال: كلا، لا يخرجه من عنقه في حياته، وأرده إلى عنقه بعد وفاته. ثم أمر بذلك، فحمل

إلى بيت المال.
وحكى أن زوجته اشتهت حلواً، فقال: ليس لنا ما نشتري به.
فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به؛
قال:
افعلي، ففعلت ذلك؛ فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير،
فلما عرفته ذلك أخذه، فرده في
بيت المال. وقال: هذا يفضل عن قوتنا، وأسقط م نفقته
بمقدار ما استفضلت في كل يوم،
وغرامة لبيت المال في المدة الماضية من ملك كان له.
قيل: ولما حضرته الوفاة أتته عائشة رضي الله عنها وهو يعالج
الموت، فتمثلت:
لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق
بها الصدر.
فنظر كالغضبان، ثم قال: ليس كذلك، لكن قولي:
" وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منة تحيد".
إني قد نحلتك حائط كذا، في نفسي منه! فرديه على الميراث؛
وقال: إنما هو أخواك
وأختاك! قالت: من الثانية ؟ إنما هي أسماء. قال: ذات بطن
بنت خارجه – يعني
زوجته - وكانت حاملاً، فولدت أم كلثوم بعد موته.
وهورضي الله عنه أول وال فرضت له رعيته نفقته، وأول خليفة
ولي وأبوه حي، وأول من
جمع القرآن بين اللوحين بمشورة من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم، وسماه
مصحفاً، وهو أول من سمي خليفة؛ رضوان الله عليه.
أولاده وأزواجه
تزوج رضي الله عنه في الجاهلية قتلة - ويقال: قتيلة بنت عبد
العزيز بن عبد بن أسعد
بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، فولدت له عبد الله وأسماء.
وتزوج أيضاً في الجاهلية أم رومان - بفتح الراء وضمها-
واسمها زينب بنت عامر بن
عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن
الحارث بن غنم بن مالك
بن كنانة.
أسلمت وهاجرت؛ وكانت قبل أبي بكر تحت عبد الله بن الحارث
بن سخبرة بن جرثومة
الخير بن عادية بن مرة الأزدي، وكان قدم بها مكة، فحالف أبا
بكر الإسلام، ثم توفي عن أم
رومان، فولدت له الطفيل أخوهما لأمهما، توفيت أم رومان في
ذي الحجة سنة أربع، أو سنة
مس، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها،
واستغفر لها. وقال: اللهم لم يخف

عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك.
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: " من سره أن ينظر إلى امرأة من
الحور العين فلينظر إلى أم رومان".
وتزوج رضي الله عنه في الإسلام أسماء بنت عميس الخثعمية؛ وهي أخت ميمونة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم لأمها، وكانت عند جعفر أبي طالب، وهاجرت معه إلى أرض
الحبشة، فولدت له هناك محمد بن أبي بكر، ثم تزوجها بعده على بن أبي طالب، فولدت له
يحيى بن علي. وزعم بن الكلبي أن عون بن علي، أمه أسماء، ولم يقله غيره.
وقيل: كان أسماء بنت عميس تحت حمزة بن عبد المطلب، فولدت له ابنة تسمى أمة
الله. وقيل: أمامه، ثم خلف عليها بعد شداد بن الهاد الليثي، ثم العتواري، حليف بني
هاشم، فولدت له عبد الله وعبد الرحمن بن شداد، ثم خلف عليها بعد شداد جعفر بن
أبي طالب. وقيل: التي كانت تحت حمزة وشداد سلمى بنت عميس أختها أسماء، والله
تعالى أعلم بالصواب
وتزوج رضي الله عنه في الإسلام أيضا حبيبة بنت خارجه بن زيد بن أبي زهير
الأنصارية، من بني الحارث بن الخزرج، فولدت له بعد وفاته أم كلثوم.
ولنصل هذا الفصل بذكر شيء من أولاد أبي بكر رضي الله عنهم. وأما عبد الله بن أبي
بكر رضي الله عنهما، فكان قديم الإسلام إلا أنه لم يسمع له بمشهد إلا شهوده الفتح
وحنيناً والطائف.
ورمى بالطائف بسهم؛ قيل:
رماه به أبو محجن، فاندمل جرحه، ثم انتقض عليه، فمات في شوال سنة إحدى عشرة.
وكان قد ابتاع الحلة التي أرادوا دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بسبعة دنانير
ليكفن فيها، فلما حضرته الوفاة، قال: لا تكفنوني فيها، فلو كان فيها خير كفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيها، ودفن بعد الظهر، وصلى عليه أبوه، ونزل قبره عمر بن الخطاب
وطلحة وعبد الرحمن أخوه.
وكان عبد الله رضي الله عنه زوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية، أخت

سعيد بن زيد، وكانت من المهاجرات، وكانت حسناء جميلة بارعة، فأولع بها، وشغلته عن
مغازيه، فأمره أبوه بطلاقها لذلك؛ فقال: هذه الأبيات:
يقولون طلقها وخيم مكانها مقيماً، تمنى النفس أحلام نائم
إن فراقي لأهل بيت جميعهم على كبرة مني لإحدى العظائم
أراني وأهلي كالعجول تروحت إلى بوها قبل العشار الروائم
فعزم عليه أبوه حتى طلقها، ثم تبعتها نفسه، فهجم عليه أبو بكر رضي الله عنه وهو
يقول:
أعاتك لا أنساك ما ذر شارق وما ناح قمري الحمام المطوق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة إليك بما تخفي النفوس معلق
فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق
لها خلق جزل ورأي ومنصب وخلق سوى في الحياء ومصدق
فرق له أبوه، وأمره بمراجعتها فارتجعها؛ وقال هذه الأبيات:
أعاتك قد طلقت في غير ريبة وروجعت للأمر الذي هو كائن
كذلك أمر الله غاد ورائح على الناس فيه ألفة وتباين
وما زال قلبي للتفرق طائراً وقلبي لما قد قرب الله ساكن
فإنك مما زين الله وجهه وليس لوجه زانه الله شائن
فلما مات عبد الله صارت عاتكة ترثيه بهذه الأبيات:
رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبي بكر وما كان قصراً
فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك، ولا ينفك جلدي أغبراً
فلله عينا من رأي مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أحمراً
ثم تزوجت بعده زيد بن الخطاب، على اختلاف في ذلك؛ فقتل عنها يوم اليمامة شهيداً،
فتزوجها عمر بن الخطاب في سنة اثنتي عشرة، فأولم عليها، ودعا عمر بن الخطاب
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم علي بن أبي طالب؛ فقال له: دعني أكلم
عاتكة: قال: نعم، فأخذ بجانب الحذر. ثم قال: ياعدية نفسها، أين قولك:
فآليت لا تنفك عيني حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبراً
فبكت فقال عمر:
ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ ! كل النساء يفعلن هذا، ثم قتل عنها عمر، فقالت
تبكيه:
عين جودي بعبرة ونحيب لا تملي على الجواد النجيب
فجعتني المنون بالفارس المع لم بوم الهيام والتثويب

قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب
وقالت أيضاً ترثيه بهذه الأبيات:
مع الرقاد فاد عيني عائد مما تضمن قلبي المعمود
ياليلة حبست على نجومها فسهرتها والشامتون رقود
قد كان يسهرني حذارك مرة فاليوم حق لعيني التسهيد
أبكى أمير المؤمنين ودونه للزائرين صفائح وصعيد
ثم تزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها؛ فقالت ترثيه بهذه الأبيات:
غدر بن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته لاطائشاً وعش الجنان لااليد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يا بن فقع القردد
ثكلتك أمك إن ظفرت بمثله فيما مضى ممن يروح ويغتدي
والله ربك إن قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد
ثم خطبها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد انقضاء عدتها، فأرسلت إليه. إني
لأضن بك يابن عم رسول الله صلى عن القتل!
وإنما ذكرنا م خبر عاتكة في هذا الموضع على سبيل الله الاستطراد؛ فالشيء بالشيء
يذكر، فلنذكر عبد الرحمن بن أبي بكر.
وأما عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه؛ فهو اسن ولد أبي بكر، وكان يكنى أبا
عبد الله. وقيل:
أبا محمد، بابنه محمد الذي يقال له: أبو عتيق، والد عبد الله بن أبي عتيق، وأدرك أبو
عتيق محمد بن عبد الرحمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبوه وجده، وجد أبيه؛
أربعتهم، أجمعوا على أن هذه المنقبة ليست لغيرهم، روى البخاري رحمه الله، قال: قال
موسى بن عقبة: ما نعلم أحداً في الإسلام أدركوا هم وأبناؤهم النبي صلى الله عليه وسلم
أربعة إلا هؤلاء الأربعة: أبو قحافة، وابنه أبو بكر، وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر، وابنه
عتيق بن عبد الرحمن.
وعبد الرحمن شقيق عائشة؛ شهد عبد الرحمن بداً واحداً مع قومه، ودعا إلى البراز، فقام
إليه أبو بكر ليبارزه، فذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " متعني بنفسك". ثم أسلم
عبد الرحمن، وحسن إسلامه، وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة
الحديبية.

وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد
الرحمن، وكان رضي الله عنه من أشجع رجال قريش وأرماهم بسهم، حضر اليمامة مع
خالد بن الوليد، فقتل سبعة من كبارهم، منهم محكم اليمامة طفيل، رماه بسهم في نحره
فقتله.
ولما فتحت دمشق نفلة عمر ليلى بنت الجودي، وكان قد رآها قبل ذلك، وكان يتشبب
بها. وشهد عبد الرحمن مع عائشة، وكان ابنه محمد يومئذ مع علي.
قال أبو عمر بن عبد البر: ولما قعد معاوية على المنبر، ودعا إلى بيعة يزيد، كلمه الحسين
بن علي وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فكان كلام عبد الرحمن: أهرقلية!
إذا مات كسرى كان كسرى مكانه! لا نفعل والله أبداً. وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم
بعد أن أبي البيعة ليزيد فردها عبد الرحمن.
وقال: أبيع ديني بدنياي! وخرج إلى مكة، فمات قتل أن تتم البيعة ليزيد.
ويقال: إنه مات فجأة بموضع يقال له: الحبشي على نحو عشرة أميال من مكة، وحمل إلى
مكة فدفن بها:
وقيل: إنه توفي في نومة نامها، وكانت وفاته في سنة ثلاث وخمسين. وقيل: سنة خمس
وخمسين، والأول أشهر.
ولما اتصل خبر وفاته بعائشة أم المؤمنين أخته، ظعنت من المدينة حاجة حتى وقفت على
قبره، وتمثلت بهذه الأبيات:

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقالت: أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت مكانك، ولو حضرت ما بكيتك! رضي
الله عنهما.
وأما محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما، فإن ولد في عقب ذي الحجة سنة عشر من
الهجرة بذي الحليفة، أو بالشجرة، وسمته عائشة محمداً، وكنته أبا القاسم، ثم كان محمد
بعد وفاة أبي بكر في حجر على بن أبي طالب لما تزوج أمه أسماء بنت عميس، وكان
محمد على رجاله على يوم الجمل، وشهد معه أيام صفين، ثم ولاه مصر، فقتل بها.

واختلفوا في قتله، فقيل: قتله معاوية بن حديج صبراً، وذلك في سنة ثمان وثلاثين؛ وقيل: إنه لما ولاه على مصر سار إليه عمرو بن العاص من قبل معاوية فاقتتلوا، فانهزم أصحاب محمد وفر هو، دخل خربة فيها حمار ميت، فدخل في جوفه، فأحرق في جوف الحمار؛ وقيل ك بل قتله معاوية بن حديج في المعركة، ثم أحرق في جوف الحمار بعد ذلك، وقيل: إنه أتى عمرو بن العاص فقتله صبرا بعد إلى قال له: هل معك عهد؟ هل معك عقد من أحد؟ فقال: لا، فأمر فقتل.

وكان علي يثني على محمد خيراً، ويفضله؛ لأنه كانت له عبادة واجتهاد؛ وكان ممن دخل على عثمان حين أرادوا قتله، فقال له عثمان: لو رآك أبوك لم يرض بهذا المقام منك! فخرج عنه وتركه.

روى محمد بن طلحة، عن كنانة مولى صفية بنت حيي - وكان شهد يوم الدار - أنه لم ينل محمد بن أبي بكر دم عثمان بشيء. قال: محمد بن طلحةك فقلت: لكنانة: فلم قيلك إنه قتله؟ قال: معاذ الله أن يكون قتله! إنما دخل عليه، فقال له عثمان: يابن أخي، لست بصاحبي، وكلمه عثمان بكلام فخرج ولم ينل دمه بشيء. فقلت لكنانة: فمن قتله؟ قال: رجل من أهل مصر يقال له: جبلة بن الأيهم.

وأما عائشة رضي الله عنها فقد تقدم ذكرها في السيرة النبوية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وأما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه فهي قديمة الإسلام. قال بن إسحاق: أسلمت بعد سبعة عشر، وكانت تحت الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فوضعته بقباء، وكانت تسمى ذات النطاقين، وقد تقدم الخبر في تسميتها بذلك في سيرة سيدنا رسول الله صلى عليه وسلم عند خروجه من مكة إلى الهجرة.

توفيت أسماء بمكة في جمادى الآخرة، سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابنها عبد الله، وقد بلغت مائة سنة.

وأم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنه، تزوجها طلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما،

فولدت له عائشة بنت طلحة، فتزوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.
ولعائشة بنت طلحة أخبار تقدم ذكرها، وتزوجت عائشة بعد عبد الله مصعب بن الزبير
ن ولم تلد من أحد من أزواجها غير عبد الله، ولدت له عمران، وعبد الرحمن، وأبا بكر،
وطلحة، ونفيسة، تزوجها الوليد بن عبد الملك، وكان ابنها طلحة أجود أجواد قريش، وله
يقول الحزين الديلي:

فإن تك با طلح أعطيتني عذافرة تستخف الضفارا
فما كان نفعك مرة ولا مرتين ولكن مراراً.
أبوك الذي صدق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأمك بيضاء تيمية إذا نسب الناس كانت نضارا

وطلحة هذا، بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
وطلحة هذا هو جدي الذي انسب إليه. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه
المرجع والمآب.

أسماء قضاته
وعماله وكتابه
وحاجبه وخادمه

لما ولى أبو بكر رضي الله عنه، قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال. وقال له عمر: أنا
أكفيك القضاء، فاستعملهما. فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان في محاكمة، وكان يكتب
لابي بكر عثمان بن عفان وزيد بن ثابت ومن حضر، وكان حاجبه شديد مولاه، وكان
عامله على مكة عتاب بن أسيد، ومات في اليوم الذي مات فيه أبو بكر. وقيل: مات
بعده.
وكان على الطائف عثمان بن أبي العاص، وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية، وعلى
حضرموت زياد بن لبيد، وعلى خولان يعلى بن أمية، وعلى زبيد أبو موسى الأشعري،
وعلى الجند معاذ بن جبل، وعلى البحرين العلاء الحضرمي.
وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران، وعبد الله بن ثور إلى جرش، وعياض بن غنم إلى
دومة الجندل.
وكان على الشام أبو عبيدة بن الجراح، وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو
بن العاص؛ كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه.

وكان خاتمة خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الزبير بن البكار:
وكان نقش خاتمه: " نعم القادر الله".
وقال غيره: كان نقش خاتمه:" عبد ذليل لرب جليل"
وعاش أبو قحافة بعده ستة أشهر وأياماً.
وفي المعجم الكبير للطبراني، قال: أبو بكر، فورثه أبواه، وكان قد أسلما، وماتت أم أبي
بكر قبل أبيه، ومات أبوه وله سبع وتسعون سنة.
والحمدلله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين
وسلم.
عمر بن الخطاب
هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رياح من عبد الله بن قرط بن
رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، ويجتمع نسبه مع نسب رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند كعب بن لؤي. وأمة حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد
الله ب عمر بن مخزوم - على ماصححه أبو عمر بن عبد البر - وخطأ من قال: إنها بنت
هشام بن المغيرة، وقال: لو كانت بنت هشام لكانت أخت أبي جهل، وإنما هي بنت عمه
لأن هاشماً وهشاماً أخوان، فهاشم والد حنتمة أم عمر، وهشام والد الحارث، وأبي جهل،
وهاشم ابن المغيرة جد عمر لأبيه يقال له: ذو الرمحين.
ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وروى أسامة بن زيد
بن أسلم عن أبيه، عن جده، قال: سمعت عمر يقول: ولدت بعد الفجار الأعظم بأربع
سنين.
قال الزبير بن بكار: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشرف قريش، وإليه كان
السفارة في الجاهلية؛ وذلك أن قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب، أو بينهم وبين غيرهم
سفيراً، وإن نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً ومفاخراً، ورضوا به. وقد تقدم
خبر إسلامه، وإظهار الله تعالى الإسلام به، وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه حين قال: " اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين عمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام "
فاستجيب في عمر.
قال: بن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

ولقب بالفاروق لإعلانه الإسلام، ففرق بين الحق والباطل لما أسلم؛ رضي الله عنه.
فضائله ومناقبه
وفضائله رضي الله عنه كثيرة، مناقبه جمة مشهورة، قد قدمنا منها في ترجمة أبي بكر
الصديق رضي الله عنهما ما تقدم، ولنورد في هذا الفصل من مناقبه خلاف ذلك:
روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "
إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ".
ونزل القرآن بموافقته في أشياء؛ منها ما رآه في أسري بدر، وفي تحريم الخمر، وفي حجاب
أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفي مقام إبراهيم.
وروى عن عقبة بن عامر وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: " لو كان بعدي نبي لكان عمر "
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن كان في هذه الأمة أحد فعمر بن الخطاب"
وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى رأيت الري يخرج من أظفاري، ثم أعطيت
فضلي عمر ".
قالوا:
فما أولت ذلك يارسول الله؟ قال: العلم.
وعن جابر رضي الله عنه، قال:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"دخلت الجنة فرأيت فيها داراً - أو قال: قصراُ - وسمعت فيه ضوضاة، فقلت: لمن
هذا؟
فقالوا: لرجل من قريش، فظننت أني أنا هو؛ فقلتك من هو؟
قالوا: عمر بن الخطاب، فلولا
غيرتك يا أبا حفص لدخلته. فبكى عمر وقال: عليك يغار يارسول الله! أو قال عليك
أغار"
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" رأيتني في المنام، والناس يعرضون علي، وعليهم قمص منها إلى كذا، ومنها إلى كذا، ومر

على عمر بن الخطاب يجر قميصه، فقيل: يارسول الله، ما أولت ذلك؟ قال: الدين "
ومن رواية الليث بن سعد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم: يقول:
" بينا أنا نائم والناس يعرضون علي، وعليهم قمص، منها يبلغ الثدي ومنها دون ذلك،
وعرض على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعليه قميص يجره"، قالوا: فما أولت ذلك يا
رسول الله؟ قال: الدين."
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، وقال: ما كنا نبعد أن
السكينة تنطق على لسان عمر.
وقال بن مسعود رضي الله عنه: لو وضع علم أحياء العرب في كفة ميزان، ووضع علم
عمر لرجح عليهم عمر. ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم، ولمجلس كنت
أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة
صفته
قد اختلف الناس في صفة عمر رضي الله عنه؛ فقيل: كان شديد الأدمة طوالاً أكث
اللحية، أصلع أعسر يسرا، يعمل بيديه جميعاً، ويخضب بالحناء والكتم، هكذا وصفه
زربن حبيش وغيره بأنه كان شديد الأدمة.
قال أبو عمر: وهو الأكثر عند أهل العلم بأيام الناس وسيرهم وأخبارهم.
قال: ووصفه أبو رجاء العطاردي - وكان مغفلاً - فقال:
كان عمر طويلاً جسيماً أصلع شديد الصلع، أبيض شديد حمرة العينين، في عارضيه
خفة، سبلته كثيرة الشعر، في اطرافها صهبة.
وذكر الواقدي من حديث عاصم بن عبيد الله بن عمر بعن، ابيه، قال: إنما جاءتنا الأدمة
من قبل أخوالي بني مظعون، قال: وكان أبيض، لا يتزوج إلا لطلب الولد.
قال أبو عمر: وعاصم بن عبيد الله لا يحتج بحديثه، ولا بأحاديث الواقدي. قال: زعم
الواقدي أن سمرة عمر وأدمته إنما جاءت من أكلة الزيت عام الرمادة قال: وهذا منكر من
القول.
وأصح ما في هذا الباب حديث سفيان الثوري، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبيش،

قال: رأيت عمر شديد الأدمة. قال أنس:
كان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم، وكان عمر يخضب بالحناء بحتاً.
وعن مجاهد أن عمر كان لا يغير شيبه.
وقال هلال بن عبد الله: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رجلاً آدم ضخماً كأنه من
رجال سدوس، في رجليه روح.
قال بعضهم في صفته: كان طويلاً من الناس كراكب الجمل، أمهق أصلع.
استخلفه أبو بكر رضي الله عنه قبل وفاته؛ وذلك أنه لما نزل به الموت دعا عبد الرحمن
بن عوف. فقال:
أخبرني عن عمر، فقال: إنه أفضل من رأيك فيه إلا أن فيه غلظة؛ فقال أبو بكر: ذلك لأنه
يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته، فكنت إذا غضبت
على رجل اراني الرضاعنة، وإذا لنت له أراني الشدة عليه. ودعا عثمان فقال له: أخبرني
عن عمر، فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله.
فقال أبو بكر لهما:
لا تذكرا مما قلت لكما شيئاً، ولو تركته ما عدوت عثمان، ولا أدري لعله تارك، والخيرة له
ألا يلي من أموركم شيئاً، لوددت أني كنت من أموركم خلوا، وكنت فيمن مضى من
سلفكم.
ودخل طلحة على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس
منه وأنت معه، فكيف به إذا خلابهم! وأن لاق ربك فسائلك عن رعيتك؛ فقال:
أجلسوني؛ فأجلسوه، فقال:
بالله تفرقني، أو بالله تخوفني! إذا لقيت ربي فساءلني قلت: استخلفت على أهلك خير
أهلك. ثم أحضر أبو بكر عثمان بن عفان خالياً، فقال: أكتب:
بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين؛ أما بعد - ثم أغمي عليه - فكتب
عثمان: أما بعد؛ فقد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً، ثم أفاق أبو بكر
فقال: أقرأ علي، فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: خفت أن يختلف الناس إن مت في
غشيتي، قال: نعم.

قال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس،
فجمعهم، وأرسل الكتاب مع مولي له، ومعه عمر، فكان عمر يقول للناسك انصتوا واسمعوا
لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لم يألكم نصحاً، فسكت الناس، فلما قرئ
عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا.
وكان أبو بكر قد أشرف على الناس، وقال:
أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عليكم
عمر، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني والله ما ألوت من جهد الرأي، فقالوا:
سمعنا وأطعنا، ثم أحضر أبو بكر عمر، فقال: قد استخلفتك على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وأوصاه بتقوى الله، ثم قال: يا عمر؛ إن لله حقاً بالليل لا يقبله في
النهار، وحقاً في النهار لا يقبله في الليل، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، ألم تر يا عمر
إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة بأتباعهم الحق وثقله عليهم! وحق الميزان لا
يوضع فيه غداً إلا أن يكون ثقيلاً! ألم تر يا عمر إنما خفت موازين من خفت موازينه يوم
القيامة بأتباعهم الباطل، وخفته عليهم، وحق الميزان لا يوضع فيه غداً باطل غلا أن يكون
خفيفاً! ألم تر يا عمر إنما نزلت الرخاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون
المؤمن راغباً راهباً؛ لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقى
فيها بيديه! ألم تر يا عمر أنتا ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني
لأرجو ألا أكون منهم، وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز لهم ماكان من
شيء، فإذا ذكرتهم قلت: أين عملي من أعمالهم! فإن حفظت وصيتي، فلا يكون غائب
أحب إليك من الموت، ولست بمعجزة.
وتوفي أبو بكر رضي الله عنه، فلما دفن صعد عمر المنبر، فخطب الناس ثم قال: إنما مثل
العرب مثل جمل أنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقود. وأما أنا فورب الكعبة لأحملنكم
على الطريق.
وكان أول كتاب كتبه إلى أبي عبيدة بن الجراح بتوليته جند خالد بن الوليد، وبعزل خالد

لأنه كان عليه ساخطاً خلافة أبي بكر كلها لوقعته بابن نويرة، وما كان يعمل في حربه، وأول
ما تكلم به عزل خالد، وقال: لا يلى لي عملاً أبداً.
الفتوحات والغزوات
في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وفي خلافته رضي الله عنه كثرت الفتوحات على المسلمين، ولنبدأ من ذلك بذكر فتوح
دمشق، وما والاه من المدن والثغور والحصون، ثم نذكر فتوحات العراق، وما والاه، ثم فتوح
مصر، وما والاها، لتكون الفتوحات متوالية، ولا ينقطع خبرها بأخبار غيرها، ولا يتداخل
فتوح بفتوح، ثم نذكر الغزوات على ارض الروم، ثم نذكر الوقائع بعد ذلك خلاف الفتوحات
والغزوات على حكم السنين على ماستقف عليه، إن شاء الله تعالى على ذلك.
فتوح دمشق
قال: لما هزم الله تعالى أهل اليرموك استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب
الحميري، وسار حتى نزل بالصفر؛ فأتاه الخبر أن الذين انهزموا من الروم اجتمعوا بفحل، وأن
المدد قد أتى أهل دمشق م حمص؛ فكتب إلى عمر بذلك، فأمره أن يبدأ بدمشق فإنها
حصن الشام وبيت المملكة، وأن يشغل أهل فحل بخيل تكون بإزائهم، فإذا فتحت دمشق
سار إلى فحل، ثم يسير إلى حمص هو وخالد بن الوليد، ويترك شرحبيل بن حسنة، وعمرو
بن العاص بالأردن وفلسطين، فارسل أبو عبيدة طائفة من المسلمين، فنزلوا بالقرب منها،
وبثق الروم الماء حول فحل، فوحلت الأرض، ونزل عليهم المسلمون، فكان أول محصور
بالشام أهل فحل، ثم أهل دمشق.
وبعث أبو عبيدة أيضاً جنداً، فنزلوا بين حمص ودمشق، وأرسل جنداً فكانوا بين دمشق
وفلسطين وسار هو وخالد بن الوليد، فقدما دمشق، وعليه انسطاس؛ فنزل أبو عبيدة على
ناحية، وخالد على ناحية، ويزيد بن أبي سفيان على ناحية، وحصرهم المسلمون سبعين
ليلة، وقاتلوهم بالزحف والمجانيق، فكان هرقل بالقرب من حمص، فأمد أهل دمشق بخيل،
فمنعتها خيول المسلمين، وخذل أهل دمشق.
وولد للبطريق الذي على دمشق مولود، فصنع وليمة، فأكل القوم وشربوا، فعلم خالد بذلك

دون غيره، وكان قد اتخذ حبالاً كهيئة السلاليم، فلما أمسى ذلك اليوم نهض بمن معه
وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعورين عدى وأمثاله، وقالوا: إذا سمعتم تكبيرنا على
السور فارتقوا إلينا، واقصدوا الباب؛ وارتقى هو وأصحابه على السور في تلك الحبال، ثم
انحدر ببعض من معه، وترك بذلك المكان الذي صعد منه من يحيمه، وأمرهم بالتكبير،
وجاء المسلمون إلى الباب وإلى الحبال، وقصد خالد الباب، وقتل من دونه، ثم قتل البوابين،
وفتح الباب، وقتل من عنده من الروم، ودخل أصحابه المدينة، وثار أهلها لا يدرون ما
الخبر، فلما رأوا ذلك قصدوا أبا عبيدة، وبذلو الصلح، فقبله منهم، وفتحوا له الباب،
وقالوا: ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب، ودخل أهل كل باب يصلح ما يليهم، ودخل
خالد عنوة، والتقى والقواد وسط المدينة هذا قتلاً ونهباً، وهذا صفحاً وتسكيناً، فأجروا
جهة خالد مجرى الصلح، وكان صلحهم على المقاسمة؛ الدينار والعقار ودينار عن كل
رأس، واقتسموا الأسلاب.
وأرسل أبو عبيدة إلى عمر بالفتح، وأنه قسم الغنيمة على من حضر الفتح، وعلى الجنود
التي على فحل وحمص وغيرهم، فجاء كتاب عمر إلى أبي عبيدة يأمره بإرسال جند العراق
إلى سعد بن أبي وقاص، فأرسلهم، وأمر عليهم هاشم بن عتبة، وسار أبو عبيدة إلى
فحل. والله أعلم.
ذكر شيء مما قيل في أمر مدينة دمشق ومن بناها.
حكى عن كعب الأحبار، قال: أول حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط
حران ودمشق ثم بابل.
واختلف فيمن اختط دمشق؛ فقيل: إن نوحاً عليه السلام اختطها بعد حران.
وقيل: نزل جيرون بن سعد بت عاد بن عوص دمشق، وبنى مدينتهم وسماها جيرون.
وقيل: هي إرم ذات العماد.
وقيل: إن جيرون وبريد كانا أخوين، وهما ابنا سعد بن لقمان بن عاد، وهما اللذان يعرف
جيرون وباب البريد بدمشق بهما.
وعن وهب بن منبه، قال:

دمشق بناها العازر غلام إبراهيم الخليل، وكان حبشياً، وهبه له نمرود حين خرج إبراهيم
من النار، وكان اسم الغلام دمشق، فسماها على اسمه، وكان إبراهيم جعله إلى كل شيء
له، وسكنها الروم بعد ذلك بزمان.
وقيل: إن بيوراسب الملك بنى مدينة بابل، وبنى مدينة صور، وبنى مدينة دمشق.
وقيل: كان زمن معاوية رجل صالح بدمشق، كان الخضر عليه السلام يأتيه في أوقات، فبلغ
ذلك معاوية، فجاء إلى الرجل وسأله أن يجمع بينه وبين الخضر، فذكر الرجل ذلك للخضر،
فأبى؛ فقال معاوية:
قل له: قد قعدنا مع من هو خير منك؛ وحدثناه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم لكن
أساله عن ابتداء بناء دمشق كيف كان، فسأله؛ فقال: نعم صرت إليها، فرأيت موضعها
بحراً مستجمعاً فيه المياه، ثم غبت عنها خمسمائة سنة، ثم صرت إليها فرأيتها غيضة، ثم
غبت عنها خمسمائة سنة، ثم صرت إليها، فرأيتها بحراً كعادتها الأولى، ثم غبت عنها
خمسمائة عام، وصرت إليها فرأيتها قد ابتدئ فيها بالبناء ونفر يسير فيها.
وعن أبي البختري قال: ولد إبراهيم عليه السلام على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمسين
سنة من جملة الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة، وذلك بعد بنيان دمشق بخمس سنين،
وقال:
جيرون عند باب مدينة دمشق من بناء سليمان، بنته الشياطين، وكان الشيطان الذي
بناه يقال له: جيرون فسمي به. وقيل:
إن دمشق بناها دمشقين غلام كان مع الاسكندر.
وقيل: إن الذي بنى دمشق بناها على الكواكب السبعة، وجعل لها سبعة أبواب، وصور
على باب كيسان زحل، وقيل: وجد في كتاب: باب كيسان لزحل، وباب شرقي للشمس،
وباب توما للزهرة، وباب الصغير للمشتري، وباب الجابية للمريخ، وباب الفراديس لعطارد،
وباب الفراديس الآخر المسدود للقمر.
وقيل:
إن ملك مصر بنى حصن دمشق؛ الذي هو حول المسجد، وداخل المدينة على مساحة

مسجد بيت المقدس، وحمل أبواب مسجد بيت المقدس، فوضعها على أبوابه؛ فهذه
الأبواب التي على الحصن هي أبواب بيت المقدس.
حكاه أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر في تاريخ
دمشق.
غزوة فحل
وفحل بكسر الفاء وسكون الحاء المهملة وبعده لام، وهو بلد معروف بغور الشام. قال: لما
فتحت دمشق في سنة ثلاث عشرة استخلف أبو عبيدة عليه يزيد بن أبي سفيان، وسار
إلى فحل، وكان أهل فحل قد قصدوا بيسان. وكانت العرب تسمي هذه الغزوة ذات
الردغة وبيسان وفحل.
وكان خالد بن الوليد على المقدمة، وعلى الناس شرحبيل بن حسنة وعلى المجنبتين أبو
عبيدة وعمرو بن العاص، وعلى الخيل ضرار بن الأزور، وعلى الرجل عياض بن غنم.
فنزل شرحبيل بالناس على فحل، وبينهم وبين الروم تلك الأوحال، وكتبوا إلى عمر، وأقاموا
ينتظرون جوابه، فخرج عليهم الروم، وعليهم سقلار بن مخراق فأتوهم، والمسلمون حذرون،
وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى الصباح،
ويومهم إلى الليل، فانهزم الروم، وقد اظلم الليل عليهم، فحاروا، وأصيب رئيسهم سقلار
والذي يليه فيهم نسطورس، وظفر المسلمون بهم، وركبوهم، فلم يعرف الروم ماخذهم،
فانتهت بهم الهزيمة إلى تلك الأوحال التي كانوا أعدوها مكيدة للمسلمين، فلحقهم المسلمون،
فوخزوهم بالرماح، فكانت الهزيمة بفحل، والقتل بالرداغ، فأصيبت الروم، وهم ثمانون ألفاً، لم
يفلت منهم إلا الشريد، فصنع الله للمسلمين وهم كارهون؛ كرهوا البثوق والأوحال، فكانت
عونا لهم على عدوهم، وغنموا أموالهم، وانصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد إلى حمص.
وقد اختلف في فتح فحل ودمشق، وذكروا أن المسلمين لما فرغوا من أجنادين على راي
من جعلها بعد اليرموك؛ اجتمع الروم بفحل، فقصدها المسلمون فحاصروها وفتحت،
وكانت فحل في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة، وفتح دمشق في شهر رجب سنة أربع

عشرة.
وقيل:
كانت وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة، ولم يكن للروم بعدها وقعة. والله سبحانه
وتعالى أعلم بالصواب.
ساحل دمشق
هذه الفتح أورده ابن الأثير في حوادث سنة ثلاث عشرة، قال:
لما استخلف أبو عبيدة يزيد
بن أبي سفيان على دمشق، وسار إلى فحل، وسار يزيد إلى مدينة صيداء وبيروت،
وجبيل وعرقة، وعلى مقدمته أخوه معاوية، ففتحها فتحاً يسيراً، وجلا كثير من أهلها،
وتولى فتح عرقة معاوية بنفسه في ولاية يزيد.
ثم غلب الروم على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر، وأول خلافة عثمان، وفتحها
معاوية، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة.
بيسان وطبرية
قال: لما قصد أبو عبيدة حمص من فحل، أرسل شرحبيل ومن معه إلى بيسان، فقاتلوا
أهلها، وقتلوا منها خلقاً كثيراً، ثم صالحهم من بقي على صلح دمشق، وكان أبو عبيدة قد
بعث بالأعور إلى طبرية، فصالحه أهلها على صلح دمشق أيضاً، وأن يشاطروا المسلمين
المنازل، فنزلها الناس، وكتبوا بالفتح إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.
مرج الروم
كان هذه الوقعة في سنة خمس عشرة؛ وذلك أن أبا عبيدة وخالداً سارا بمن معهما إلى
حمص، فنزلا على ذي الكلاع، وبلغ هرقل الخبر فبعث توذر البطريق حتى نزل بمرج الروم
غرب دمشق، ونزل أبو عبيدة بالمرج أيضاً، ونازله يوم نزول شنس الرومي في مثل خيل توذر
مدداً لتوذر، وردءاً لأهل حمص، فكان خالد بإزاء توذر، وأبو عبيدة بإزاء شنس، فسار
توذر يقصد دمشق، فأتبعه خالد في جريدة وبلغ يزيد بن أبي سفيان الخبر، فاستقبله
فاقتتلوا، ولحق بهم خالد فأخذهم من خلفهم، فقتل توذر، ولم يفلت من عسكره إلا الشريد،
وغنم المسلمون معهم، فقسمه يزيد في أصحابه وأصحاب خالد، وعاد يزيد إلى دمشق،
ورجع خالد إلى عبيدة، فوجده قد قاتل شنس بمرج الروم، فقتلت الروم مقتلة عظيمة، وقتل

شنس، وتبعهم المسلمون إلى حمص بالسير إليها، وسار هو إلى الريف، وسار أبو عبيدة إلى
حمص.
فتح بعلبك
وحمص وحماة وشيرز ومعرة النعمان وسلمية واللاذقية وأنطرسوس
قال:
وفي سنة خمس عشرة سار أبو عبيدة إلى حمص بعد وقعة ملك الروم، فسلك طريق
بعلبك وحصرها، فطلب أهلها الأمان فأمنهم وصالحهم، وسار عنهم ونزل حمص ومعه
خالد بن الوليد، فقاتل أهلها، ولقي المسلمون برداً شديداً، وحاصر الروم حصاراً طويلاً،
وكان هرقل قد أرسل إليهم يعدهم المدد، وأمر أهل الجزيرة جميعها بالتجهيز إلى حمص،
وسير سعد بن أبي وقاص السرايا من العراق إلى هيت فحصرها، وسار بعضهم إلى
قرقيسياء فتفرق أهل الجزيرة، وعادوا عن نجدة أهل حمص،
وكان أهل حمص يقولون:
تمسكوا بالمدينة فإنهم حفاة، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم، فكانت أقدام الروم
تسقط ولا يسقط للمسلمين أصبع، فلما خرج الشتاء قام شيخ من الروم، ودعاهم إلى
مصالحة المسلمين، فلم يجيبوه، وقام آخر فلم يجيبوه، فكبر المسلمون تكبيرة فانهدم كثير من
دور حمص، وتزلزلت حيطانهم، وكبروا الثانية والثالثة، فأصابهم أعظم من ذلك، وخرج
أهلها يطلبون الصلح، ولم يعلم المسلمون بما حدث فيهم، فصالحوهم على صلح دمشق.
وأنزلها أبو عبيدة السمط بن الأسود الكندي في بني معاوية، والاشعث بن ميناس في
السكون، والمقداد في بلي؛ وغيرهم، وبعث بالأخماس إلى عمر مع عبد الله بن مسعود.
ثم استخلف أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت. وسار إلى حماة، فتلقاه أهلها
مذعنين، فصالحهم على الجزية عن رءوسهم، والخراج عن ارضهم، ومضى نحو شيزر،
فخرجوا إليه فصالحهم على مثل صلح أهل حماة.
وسار إلى معرة النعمان - وكانت تعرف بمعرة حمص، ونسبت بعد ذلك إلى النعمان بن
بشير الأنصاري، فصالحوه على مثل صلح أهل حمص.

ثم اتى اللاذقية فقاتله أهلها، وكان لها باب عظيم يفتحه جمع من الناس، فعسكر المسلمون
على بعد منها، ثم أمر فحفر حفائر عظيمة، تستر الحفرة منها الفارسين، ثم أظهروا أنهم
عائدون عنها، ورحلوا، فلما أجنهم الليل عادوا، واستتروا في تلك الحفائر، وأصبح أهل
اللاذقية وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا، فأخرجوا سرحهم، وانتشروا بظاهر البلد، فلم
يرعهم إلا والمسلمون يصيحون بهم، ودخلوا المدينة معهم، وملكت عنوة، وهرب قوم من
النصارى، ثم طلبوا الأمان على أن يرجعوا إلى أرضهم على خراج يؤدونه قلوا أو كثروا،
فردت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون بها مسجداً جامعاً؛ بناه عباده بن الصامت، ثم وسع
فيه بعد ذلك.
ولما فتح المسلمون اللاذقية جلا اهل جبلة من الروم عنها، وفتح المسلمون مع عبادة بن
الصامت أنطرسوس، وكان حصنا فجلا عنه أهله، وبنى معاوية أنطرسوس ومصرها،
وأقطع بها القطائع للمقاتلة، وكذلك فعل ببانياس، وفتحت سلمية؛ وقيل: إنها سميت سلمية
لأنه كان بقربها مدينة تدعى المؤتفكة، انقلبت بأهلها، ولم يسلم منها غير مائة نفس، فبنوا
لأنفسهم مائة منزل، وسميت " سل مائة "، ثم حرفها الناس.
فقالوا: سلمية، ثم مصرها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس.
ذكر فتح قنسرين ودخول هرقل القسطنطينية
وما تكلم به عند ذلك
قال: ثم أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين، فلما زحف ونزل الحاضر زحف
إليه الروم، وعليهم ميناس، وكان أعظمهم بعد هرقل، فقتل هو ومن معه على دم واحد.
وسار خالد حتى نزل قنسرين فتحصن أهلها منه، ثم صالحوه على صلح أهل حمص،
فأبى خالد إلى إخراب المدينة، ثم صالحوه على صلح أهل حمص، فأبى خالد إلا إخراب
المدينة، فأخربها، فلما بلغ ذلك هرقل - وكان بالرها - سار إلى سميساط، ثم منها إلى
القسطنطينية، ولما سار علاً نشزاً، ثم التفت إلى الشام.
فقال: سلام عليك ياسورية، سلام لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً،
حتى يولد الولد المشئوم وليته لا يولد، فما أحلى فعله، وأمر فتنته على الروم. ثم سار

وأخذ أهل الحصون التي بين إسكندرونة وطرسوس معه لئلا يسير المسلمون في عمارة ما
بين إنطاكية وبلاد الروم، وخلت تلك الحصون وشتتها هرقل، فكان المسلمون إذا مروا بها لا
يجدون بها أحداً، وربما كمن عندها الروم، فأصابوا غرة ممن يتخلف من المسلمين، فاحتاط
المسلمون لذلك.
والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المآب
فتح حلب
وإنطاكية وغيرهما من العواصم
وهي سرمين، وقورس، وتل عزاز، ومنبج ودلوك، ورعبان، وبالس، وقاصرين، وجرجومة،
ودرب بغراس، ومرعش، وحصن الحدث.
قال: ولما فرغ أبو عبيدة من قنسرين سار إلى حلب فلبغه أن أهل قنسرين مضوا،
وغدروا، فوجه إليهم السمط الكندي فحصرهم وفتحها، ووصل أبو عبيدة إلى حاضر
حلب، وهو قريب منها يجمع أصنافاً من العرب، فصالحهم على الجزية، ثم أسلمو بعد ذلك،
وأتى حلب وعلى مقدمته عياض بن الفهري، فتحصن أهلها، وحصرهم المسلمون، فلم
يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وحصنهم وكنائسهم،
فأعطوا ذلك، واستثنى عليهم موضع المسجد.
وكان عياض بن غنم هو الذي صالح، فأجاز أبو عبيدة ذلك.
وقيل: صولحوا على أن يقاسموا منازلهم وكنائسهم، وقد قيل: إن أبا عبيدة لم يصادف بحلب أحداً؛ لأن أهلها انتقلوا إلى
انطاكية، وتراسلوا في الصلح،
فلما تم الصلح رجعوا، وسار إلى أبو عبيدة من حلب إلى أنطاكية، وقد تحصن بها خلق
كثير من قنسرين وغيرها، فلما فارقها لقيها جمع العدو فهزمهم، وألجأهم إلى المدينة،
وحصرها من نواحيها، فصالحوه على الجزية أو الجلاء، فجلا بعضهم واقام بعضهم ثم
نقضوا، فوجه إليهم عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة، ففتحاها على الصلح الأول.
وكان انطاكية عظيمة الذكر عند المسلمين، فلما فتحت كتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرتب
جماعة من المسلمين بها مرابطة، ولا يحبس عنهم العطاء.
وبلغ أبا عبيدة أن جمعاً من الروم بين معرة مصرين وحلب، فسار إليهم فهزمهم، وقتل عدة

من البطارقة، وسبى وغنم، وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب، وجالت خيوله،
فبلغت بوقة، وفتحت قرى الجومة وسرمين وتبرين، وغلبوا على جميع أرض قنسرين
وأنطاكية.
ثم أتى أبو عبيدة حلب، وقد التاث أهلها، فلم يزل بهم حتى أذعنوا وفتحوا المدينة،
وسار يريد قورس، وعلى مقدمته عياض بن غنم، فلقيه راهب من أهلها، فسأله الصلح،
فبعث به إلى أبي عبيدة، فصالحه على صلح أنطاكية، وبث خيله، فغلبوا على جمع أرض
قورس، وفتح تل عزاز.
وكان سلمان بن ربيعة الباهلي في جيش أبي عبيدة، فنزل من حصن بقورس، يعرف
بحصن سلمان، ثم سار أبو عبيدة منبج، وعياض على مقدمته، فلحقه، وقد صالح أهلها
على مثل صلح أهل منبج، واشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم.
وولى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً، وضم إليه جماعة، وشحن النواحي المخوفة، وسار
إلى بالسن وبعث جيشاً مع حبيب بن مسلمة إلى قاصرين فصالحه أهلها على الجزية
والجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم، وأرض الجزيرة، واستولى المسلمون على الشام من
هذه الناحية إلى الفرات، وعاد أبو عبيدة إلى جهة فلسطين وكان بجبل اللكام مدينة يقال
لها: جرجومة، ففتحها حبيب من انطاكية صلحاً على أن يكونوا أعوانا للمسلمين، وسير
أبو عبيدة جيشاً مع ميسرة بن مسروق العبسي، فسلكوا درب بغراس من اعمال انطاكية
إلى بلاد الروم، وهو أول من سلكه، فلقي جمعاً من الروم، ومعهم عرب من غسان وتنوخ
وإياد يريدون اللحاق بهرقل فأوقع مع خالد بن الوليد، ففتحها بالأمان على إجلاء أهلها،
فجلاهم وأخربها، وسير جيشاً مع حبيب بن مسلمة إلى حصن الحدث ففتحه؛ وإنما
سمى الحدث لأن المسلمين لقوا عليه غلاماً حدثاً، فقاتلهم في أصحابه، فقيل:
درب الحدث. وقيل: لأن المسلمين أصيبوا به فسمي بذلك، وكان بنو أمية يسمونه درب
السلامة، والله أعلم.
فتح قيسارية

وحصن غزة
وفي سنة خمس عشرة أيضاً فتحت قيسارية.
وقيل في سنة تسع عشرة، وقيل: سنة عشرين، وذلك أن عمر رضي الله عنه كتب إلى
يزيد بن أبي سفيان: أن يرسل معاوية أخاه إلى قيسارية، وكتب عمر إلى معاوية يأمره بذلك،
فسار معاوية إليها وحصر أهلها، فرجعوا إليه، وقاتلوه، فبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً،
ثم كملت في الهزيمة مائة ألف وفتحها، وكان علقمة بن مجزز قد حصر القيقار بغزة وجعل
يراسله فلم يشفه أحد مما يريد، فاتاه كأنه رسول علقمة وكلمه، فأمر القيقار رجلاً أن يقعد له
في الطريق، فإذا مر به قتله، ففطن به علقمة، فقال:
إن معي نفراً يشركونني في الرأي فانطلق فآتيك بهم، فبعث القيقار إلى ذلك الرجل ألا
يتعرض له.
فخرج علقمة من عنده، ولم يعد إليه، وفعل كما فعل عمرو بن العاص رضي الله عنه مع
الأرطبون.
بيسان وأجنادين
وفتح غزة
وسبسطية ونابلس وتبني واللد وعمواس وبيت جبرين ويافا
قال: لما انصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد بعد فحل إلى حمص - كما قدمنا - نزل عمر
بن العاص وشرحبيل بن حسنة على بيسان فافتتحها، وصالحه أهل الأردن، واجتمع
عسكر الروم بغزة وأجنادين وبيسان إلى الأرطبون بأجنادين، فسار عمرو وشرحبيل إليهم
بها، واستخلف عمرو على الأردن أبا الأعور، وكان الأرطبون أدهىالروم وأبعدها غوراً،
وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء كذلك، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال:
قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فانظروا عم تنفرج.
وان معاوية قد شغل أهل قيسارية عن عمرو، وجعل عمرو علقمة بن حكيم، مسروقاً
العكى على قتال أهل إيلياء، فشغلوا من بهاعنه، وتتابعت الأمداد من عمر رضي الله عنه
إلى عمرو، فأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على شيء، ولا تشفيه الرسل،
فسار إليه بنفسه، ودخل إليه كأنه رسول، ففطن به أرطبون، وقال:

لاشك أن هذا الأمير، أو من يأخذ الأمير برأيه، فأمر إنساناً أن يقعد على طريقه، فإذا مر
به يقتله، فأدرك عمرو، فقال له:
قد سمعت مني، وسمعت منك، وقد وقع قولك مني بموقع، وأنا واحد من عشرة، بعثنا
عمر إلى هذا الوالي لنكاتفه فأرجع وآتيك بهم، فإن رأوا ما رأيت فقد رآه الأمير وأهل
العسكر، وإن لم يروه رددتهم إلى مأمنهم.
فقال: نعم، ورد الرجل الذي أمره بقتله، فخرج عمرو من عنده، وعلم الرومي بعد مفارقته
أن خدعه.
فقال: هذا أدهى الخلق، وبلغت هذه الواقعة عمر.
فقال: لله در عمرو! ثم التقوا، واقتتلوا بأجنادين قتالاً شديداً كقتال اليرموك، فانهزم
أرطبون إلى إيلياء، ففتح عمرو غزة، وقيل:
فتحت غزة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وثم فتح سبسطية ونابلس بأمان على
الجزية، وفتح مدينة لدوتبني وعمواس، وبيت جبرين ويافا.
وقيل:
فتحها معاوية رضي الله عنه، وفتح رفح. والله سبحانه وتعالى أعلم
فتح بيت المقدس
وهو إيلياء
كان فتح بيت المقدس على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة خمس عشرة.
وقيل:
ست عشرة، وذلك أن عمرو بن العاص لما فتح هذه الجهات التي ذكرناها، أرسل إلى
أرطبون رجلاً يتكلم بالرومية. وقال له: اسمع مايقول، وكتب معه كتاباً، فوصل إليه،
وأعطاه الكتاب، وعنده وزراءه، فقل لهم: لا يفتح عمرو شيئاً من فلسطين بعد أجنادين.
فقالوا له: من أين علمت ذلك؟
فقال: صاحبها صفته كذا وكذا، وذكر صفة عمر، فعاد رسول الله إلى عمرو، وأخبره
بذلك، فكتب عمرو رضي الله عنهما، يقول:
إني أعالج عدواً شديداً، وبلاداً قد أدخرت لك، فرأيك.
فعلم عمر أن عمراً لم يقل ذلك إلا لشيء سمعه، فسار عن المدينة وقيل: كان سبب قدوم
عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حصر بيت المقدس، فطلب أهله أن يصالحهم على صلح أهل

مدن الشام، وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب، فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة،
واستخلف عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكتب عمر إلى امراء الأجناد
بموافاته بالجابية ليوم سماه لهم، وأن يستخلفوا على أعمالهم، فوافوه، وكان أول من لقيهم
يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة ثم خالد بن الوليد على الخيول، عليهم الديباج والحرير، فنزل
عن فرسه، ورماهم بالحجارة، وقال:
ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم! إياي تستقبلوني في هذا الزي! وإنما شبعتم منذ سنتين،
وتالله لوفعلتم ذلك على رأس المائتين لاستبدلت بكم غيركم. فاعتذروا بالسلاح، ودخل عر
الجابية وعمرو وشرحبيل لم يقدما عليه، فبينما عمر بالجابية إذ فزع الناس إلى السلاح.
فقال:
ماشأنكم؟ قالوا:
ألا ترى إلى الخيول والسيوف! فنظر فإذا كردوسة، فقال:
مستأمنة فلا تراعوا، فإذا هم
أهل إيلياء يصالحونه على الجزية، وكان الذي صالحه العوام، لأن أرطبون والتذارق دخلا
مصر لما بلغهما مقدم عمر.
وأخذوا كتابة على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها. وجعل عمر رضي الله عنه علقمة
بن مجزز على نصفها الآخر، وأسكنه إيلياء، وضم عمرو بن العاص وشرحبيل إليه
بالجابية، فلقياه راكباً، فقبلا ركبته، فضم كل واحد منهما محتضنا، ثم سار إلى البيت
المقدس وركب فرسه، فرأى به عرجاً، فنزل عنه، وأتى ببرذون فركبه، فجعل يتجلجل به،
فنزل وضرب وجهه وقال:
لا أعلم من علمك الخيلاء؟ ثم لم يركب برذونا بعده، ولا كان ركبه قبله، وفتحت إيلياء
على يديه، ولحق أرطبون ومن أبي الصلح بمصر، فلما ملكها المسلمون قتل.
وقيل: بل لحق بالروم، فكان على صوائفهم، والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين، ومع
المسلمين رجل من قريش، فقطع أرطبون يده، وقتله القرشي، وفيه يقول:

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها فإن فيها بحمد الله منتفعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد تركت بها أوصاله قطعا

حمص

حين قصد هرقل من بها من المسلمين
قال: وفي سنة سبع عشرة قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح، ومن معه من المسلمين بحمص،
وكان المهيج للروم على ذلك أن أهل الجزيرة أرسلوا إلى ملكهم، وبعثوه على إرسال الجنود
إلى الشام ووعدوه المعونة بأنفسهم. ففعل ذلك. فلما سمع المسلمون باجتماعهم، ضم أبو
عبيدة إليه مسالحه، وعسكر بفناء مدينة حمص، وأقبل خالد من قنسرين إليهم، فاستشاره
أبو عبيدة في الناجزة أو التحصن، فأشار بالمناجزة، وأشار سائرهم بالتحصين ومكاتبة
عمر، فأطاعهم، وكتب إلى عمر بذلك.
وكان عمر قد اتخذ بكل مصر خيولا على قدره من فضول أموال المسلمين عدة لكون إن
كان، فكان بالكوفة أربعة آلاف فرس، والقيم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي، وفي كل مصر
من الأمصار الثمانية على قدره، فإن كانت ثابتة ركبها المسلمون وساروا إلى أن يتجهز
الناس.
وكتب عمرو إلى سعد بن أبي وقاص: أن أندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرحهم من
يومهم؛ فإن أبا عبيدة قد أحيط به.
وكتب إليه أيضاً: سرح سهيل بن عدي إلى الرقة؛ فإن أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم
على أهل حمص، وأمره أن يسرح عبد الله بن عتبان إلى نصيبين، ثم ليقصدا حران والرها،
وأن يسرح عياض بن غنم، فإن كانت حرب فأمرهم إلى عياض. فمضى القعقاع في أربعة
آلاف من يومه نحو حمص.
وخرج عياض بن غنم ومن ندب إلى الجزيرة، وتوجه كل أمير منهم إلى الكورة التي أمر
عليها، وخرج عمر من المدينة، وأتى الجابية إعانة لأبي عبيدة، فلما بلغ أهل الجزيرة الذي
أعانوا الروم على أهل حمص خبر الجنود الإسلامية تفرقوا إلى بلادهم، فأشار خالد على
أبي عبيدة بالخروج إلى الروم، فخرج إليهم وقاتلهم، وفتح الله عليه، وقدم القعقاع بعد ثلاثة
أيام، فكتبوا إلى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك.
فكتب إليهم: أن أشركوهم في المغنم، فإنهم نفروا إليكم، وانفرق لهم عدوكم، وقال: جزى

الله أهل الكوفة خيراً؛ يكفون حوزتهم ويمدون الأمصار؛ فلما فرغوا رجعوا. والله أعلم،
حسبنا الله ونعم الوكيل.
فتح الجزيرة وأرمنية
قد اختلف أصحاب التواريخ في فتح الجزيرة وأرمينية، فمنهم من يقول: إن ذلك من فتوح
أهل العراق، ومنهم من يقول: إنها من فتوح أهل الشام.
والأكثر على أنها من فتوح أهل
الشام، ونحن نذكر القولين إن شاء الله تعالى:
فأما من قال: إنها من فتوح العراق فإنه يقول:
إن سعد بن أبي وقاص لما أمره رضي الله عنه أن يبعث الجنود التي ذكرناها آنفاً إلى
نصيبين وحران والرها والجزيرة مع من ذكرنا، وإن كان قتال فأمرهم إلى عياض بن غنم،
فخرج عياض ومن معه؛ فأرسل سهيل بن عدي إلى الرقة، فصالحوه على الذمة، وخرج
عبد الله بن عتبان على الموصل إلى نصيبين، فلقوه وفعلوا كفعل أهل الرقة، وخرج الوليد بن
عقبة، فقدم على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ، فنهض معهم مسلمهم وكافرهم إلا إياد بن
نزار، فإنهم دخلوا إلى أرض الروم، ولما أخذوا الرقة ونصيبين ضم عياض إليه سهيلاً وعبد
الله، وسار بالناس إلى حران، فأجابه أهلها إلى الجزية، فقبل منهم. ثم إن عياضاً سرح
سهيلاً وعبد الله إلى الرها، فأجابوهما إلى الجزية، وأجروا كل ماأخذوا من الجزيرة عنوة
مجرى الذمة، فكانت الجزيرة أسهل البلدان فتحاً، ورجع سهيل وعبد الله إلى الكوفة.
قال: ولما بلغ عمر رضي الله عنه أن إياداً دخلت الروم، كتب إلى ملك الروم يتهدده إن لم
يخرجهم، فأخرجهم، فخرج منهم اربعة آلاف، وتفرقت بقيتهم ممايلي الشام والجزيرة من
أرض الروم، فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف.
وقال أبن إسحاق: إن فتح الجزيرة كان في سنة تسع عشرة، وقال:
إن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص: إذا فتح الشام والعراق فابعث جنداً إلى الجزيرة،
فبعث عياض بن غنم، وبعث معه جيشاً فيه أبو موسى الأشعري، وعمر بن سعد ليس له
في الأمر شيء، فسار عياض ونزل على الرها، فصالحه أهلها وأهل حران، ثم بعث أبا

موسى الاشعري إلى نصيبين فافتتحها، وسار عياض إلى دارا فافتتحها. ووجه عثمان بن
أبي العاص إلى أرمينية الرابعة فقاتل أهلها، ثم صالحوه على الجزية، فعلى هذه الأقوال
تكون الجزيرة وإرمينية من فتوح العراق.
وأما من قال إنها من فتوح الشام، فإنه يقول:
إن أبا عبيدة سير عياض بن غنم إليها فافتتحها، وكان قد كتب إلى عمر بن الخطاب بعد
انصرافه من الجابية يسأله أن يضم إليه عياض بن غنم - إذا أخذ خالد بن الوليد إلى
المدينة - فصرفه إليه، فسيره أبو عبيدة إلى المدينة ففتحها، وذلك في سنة سبع عشرة.
وقيل: إن أبا عبيدة لما توفي استخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بولاية حمص وقنسرين
والجزيرة، فسار إلى الجزيرة في سنة ثماني عشرة للنصف من شعبان في خمسة آلاف، وعلى
ميمنته سعيد بن عامر الجمحي، وعلى ميسرته صفوا بن المعطل، وعلى مقدمته ميسرة بن
مسروق، فانتهت طليعة عياض إلى الرقة، فأغاروا على الفلاحين، وحصروا المدينة، بث
عياض السرايا، فأتوه بالأسرى والأطعمة، وحصرها ستة أيام، فطلب أهلها الصلح،
فصالحهم على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم. وقال عياض:
الأرض لنا، قد وطئناها وملكناها، فأقرها في أيديهم على الخراج، ووضع عنهم الجزية. ثم
سار إلى حران فجعل عليها عسكراً، عليهم صفوان وحبيب بن مسلمة، فحصراها،
وسار هو إلى الرها، فقاتله أهلها ثم انهزموا، فحصرهم في مدينتهم، فطلبوا الصلح
فصالحهم، وعاد إلى حران، فوجد صفوان وحبيباً قد غلبا على حصون وقرى من
أعمالها، فصالحه أهل حران على مثل صلح الرها، وفتح سميساط، وأتى سروج وراس
كيفا والأرض البيضاء، فصالحه أهلها على مثل صلح الرها، ثم غدر أهل سمسياط،
فرجع إليهم وفتحها، ثم أتى قربات الفرات، وهي جسر منبج ومايليها ففتحها، وبعث
حبيب بن مسلمة إلى ملطية ففتحها عنوة، على يد حبيب أيضاً، وركب فيها جنداً من
المسلمين مع عاملها، قال: وسار عياض إلى راس عين، وهي عين الوردة، فامتنعت عليه،

فتركها، وسار إلى تل موزن ففتحها على صلح الرها سنة تسع عشرة. وسار إلى آمد،
فصالحه أهلها بعد قتال، وفتح ميافارقين على صلح الرها ثم سار إلى نصيبينن، فقاتله
أهلها، ثم صالحوه على مثل ذلك، وفتح طور عبدين، وحصن ماردين. وقصد الموصل،
ففتح أحد الحصنين. وقيل: لم يصلها، وأتاه بطريق الزوزان فصالحه، ثم سار إلى أرزن
ففتحها، ودخل الدرب إلى بدليس، وبلغ خلاط فصالحه بطريقها، وانتهى إلى العين الحامضة
من إرمينية، ثم عاد إلى الرقة ومضى منها إلى مدينة حمص، ومات في سنة عشرين؛ فعلى
هذا الخبر يكون ذلك من فتوح أهل الشام.
وعلى كلا القولين ففتحها على يد عياض بن غنم.
قال: ولما مات عياض استعمل عمر بن الخطاب سعيد بن عامر بن حذيم، فلم يلبث إلا
قليلاً ومات، فاستعمل عمير بن سعد الأنصاري، ففتح رأس عين بعد قتال شديد. وقيل:
إن عياضاً أرسل عمير بن سعد إليها ففتحها. وقيل: إن عمر رضي الله عنه أرسل أبا
موسى الاشعري إلى رأس عين بعد وفاة عياض، والله سبحانه وتعالى أعلم.
انتهى فتوح الشام في خلافة عمر رضي الله عنه ؛ فنذكر فتوح العراق، وماوالاه.
وإذا انتهت الفتوحات إي شاء الله تعالى ذكرنا الغزوات إلى أرض الروم من الشام.
فتوح العراق
وما والاها من بلاد فارس
وغيرها وغزو الترك وفتح خراسان وسجستان وغير ذلك من الوقائع كان ابتداء أمر
العراق أن المثنى بن حارثة الشيباني قدم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرضه
الذي مات فيه، فأوصى أبو بكر عمر بالمبادرة إلى إرسال الجيوش معه إلى العراق، فلما
اصبح عمر من الليلة التي مات فيها أبو بكر ندب الناس إلى الخروج مع المثنى بن حارثة،
ثم بايع الناس، وندبهم وهو يبايع ثلاثاً، فلم ينتدب أحد إلى فارس، وكانوا أثقل الوجوه على
المسلمين، وأكرهها إليهم لشدة سلطانهم وشوكتهم، فلما كان اليوم الرابع ندب الناس إلى
العراق، فكان أول منتدب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي، وهو والد المختار، وسعد بن

عبيدة الأنصاري، وسليط بن قيس، وهو بدري.
وتتابع الناس، وتكلم المثنى بن حارثة، فقال:
أيها الناس، لا يعظمن عليكم هذا الوجه، فإنا قد فتحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير
شقى السواد، ونلنا منهم، واجترأنا عليهم، ولها إن شاء الله ما بعدها. فاجتمع الناس.
وقيل لعمر: أمر عليهم رجلا من التابعين من المهاجرين والأنصار، فقال:
والله لا أفعل، إنما رفعهم الله تعالى بسبقهم ومسارعتهم إلى العدو، فإذا فعل قوم، وتثاقلوا
هم، وكان الذي ينفرون خفافاً وثقالاُ ويسبقون أولى بالرياسة، والله لاأومر عليهم إلا أولهم
انتدابا، ثم دعا أبا عبيد وسعدا وسليطا. وقال لسعد وسليط: لو سبقتماه لوليتكما، وأمر
أبا عبيد، وقال له: اسمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في
الأمر، ولم يمنعني أن أومر سليطاً إلا سرعته إلى الحرب، في التسرع إلى الحرب ضياع،
وأوصى أبا عبيد بجنده.
وأمر عمر المثنى بالتقدم حتى يقدم عليه أصحابه، وأمرهم باستنفار من حسن إسلامه
من أهل الردة، ففعلوا، وسار المثنى فقدم الحيرة في عشر، وقدم أبو عبيد بعدة أشهر.
والله سبحانه وتعالى أعلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل.
وقعة النمارق
كانت هذه الوقعة في سنة ثلاث عشرة، وذلك أن بوران كانت يومئذ على الفرس، فأرسلت
إلى رستم بن الفرخزاد - وكان على فرج خراسان - فحضر، فتوجته، ودعت مرازبه
فارس أن يسمعوا له ويطيعوا، فدانت له فارس، فكتب رستم إلى الدهاقين أن يثوروا
بالمسلمين، وبعث في كل رستاق رجلا يثور بأهله، فبعث جابان إلى فرات بادقلي، وبعث
نرسي إلى كسكر، وواعدهم يوما، وبعث جنداً لمصادمة المثنى، وبلغ المثنى الخبر فحذر،
وعجل جابان ونزل النمارق، وثاروا، وخرج أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله،
وخرج المثنى ن الحيرة، فنزل خفان لئلا يؤتى من خلفه، وأقام حتى قدم عليه أبو عبيد،
فلما قدم أقام أياما ليستريح هو وأصحابه، واجتمع إلى جابان بشر كثير بالنمارق، فسار

إليه أبو عبيد، وجعل المثنى على الخيل، وكان على مجنبتي جابان جشنس ماه ومردانشاه،
فالتقوا واقتتلوا بالنمارق قتالاً شديداً، فهزم الله الفرس، وأسر جابان؛ أسره مطرين فضة
التيمي، وأسر مردانشاه، اسره أكتل بن شماخ العكلي فقتله، وأما جابان فإنه خدع مطراً،
وقال: هل لك أن تؤمني، وأعطيك غلامين أمردين خفيفتين في عملك، وكذا وكذا؟ فخلى
عنه، فأخذه المسلمون، وأتوا به أبا عبيد، وأخبروه أنه جابان، وأشاروا عليه بقتله؛ فقال:
إني أخاف الله أن أقتله، وقد أمنه رجل مسلم، والمسلمون كالجسد الواحد، مالزم بعضهم
فقد لزم كلهم، وتركه.
وأرسل في طلب من انهزم حتى أدخلوهم عسكر نرسي وقتلوا منهم، والله سبحانه وتعالى
أعلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
وقعة السقاطية
بكسكر.
ولما لحق من انهزم من الفرس بكسكر وبها نرسي، وهو ابن خالة الملك، سار إبو عبيد
إليهم من النمارق، والمثنى في تعبئته التي قاتل فيها، وكان على مجنبتي نرسي بندويه وتيرويه
ابنا بسطام خال الملك، ومعه اهل باروسما والزوابي، وكانت بوران ورستم قد بلغهما خبر
هزيمة جابان، فبعثا الجالينوس إلى نرسي مدداً، فعالجهم أبو عبيد، فالتقوا من مكان يدعى
السقاطية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزمت الفرس، وهرب نرسي وغلب المسلمون على
عسكره وأرضه، وجمعوا الغنائم.
وأقام أبو عبيد وبعث المثنى إلى باروسما، وبعث والقاً إلى الزوابي، وعاصما إلى نهر
جور، فهزموا من كان قد تجمع هناك وأخربوا، وسبوا أهل زندورد وغيرها، وبذل لهم
فروخ وفروناذ على أهل باروسما والزوابي وكسكر ونهر جوبر الخراج معجلاً، فأجابوه إلى
ذلك وصاروا صلحاً.
والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد.
وقعة الجالينوس
قال: ولما بعث رستم الجالينو سار فنزل بباقسياثا من باروسما، فسار إليه أبو عبيد، وهو

على تعبئته فالتقوا بها واقتتلوا، فهزن الله الفرس، وهرب الجالينوس، وغلب أبو عبيد على
تلك النواحي، ثم ارتحل حتى قدم الحيرة.
وقعة قس الناطف
ويقال لها: وقعة الجسر ووقعة المروجة
ومقتل أبي عبيدة وغيره.
لما رجع الجالينوس إلى رستم منهزما، قال رستم: أي العجم أشد على العرب؟ قالوا:
بهمن جاذوبة المعروف بذي الحاجب - وإنما قيل له ذو الحاجب لأنه كان يعصب حاجبيه
بعصابه ليرفعها كبراً - فوجهه ومعه فيله، ورد الجالينوس، وقال لبهمن: إن انهزم الجالينوس
مرة ثانية فأضرب عنقه. فأقبل بهمن جاذويه ومعه " درفس كابيان " راية كسرى، وكانت
من جلود النمور، طولها اثنا عشر ذراعا في عرض ثمانية أذرع، فنزل بقس الناطف، وأقبل
أبو عبيد فنزل المروحة، فرأت أمرأته دومة أم المختار أن رجلاً نزل من السماء بإناء في
شراب، فشرب أبو عبيد ومعه نفر، فأخبرت أبا عبيد بما رأت؛ فقال: هذه إن شاء الله
الشهادة، وعهد إلى الناس وقال: إن قتلت فعلى الناس فلان، فإن قتل ففلان حتى أمر الذين
شربوا من الإناء، ثم قال: إن قتل أبو القاسم فعلى الناس المثنى.
وبعث إليهم بهمن جاذوية يقول:
أما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن تدعونا نعبره إليكم؛ فنهاه الناس عن العبور،
فأبى وترك الرأي، وقال: لا تكونوا أجرً على الموت منا، فعبر إليهم على جسر عقده ابن
صلوبا للفريقين، فالتقوا واقتتلوا، فلما نظرت الخيول إلى الفيلة وإلى خيل الفرس، عليهم
التجافيف، رأت شيئاً منكراً لم يكن رأت مثله، فلم تقدم عليهم، فاشتد الأمر على
المسلمين، فترجل أبو عبيد والناس، ثم مشوا إليهم فصافحوهم بالسيوف، فجعلت الفيلة لا
تحمل واقطعوا بطنها، واقلبوا عنها أهلها؛ ووثب هو على الفيل الأبيض فقطع بطانه ودفع
الذي عليه، وفعل القوم مثل ذلك، فما تركوا فيلاً إلا حطوا رحله، وقتلوا أصحابه. وأهوى
الفيل لأبي عبيد فضربه أبو عبيد بالسيف، وخبطه الفيل بيده فوقع فوطئه وقام عليه، فلما

بصر به الناس تحت الفيل خشعت أنفس بعضهم، ثم أخذ اللواء الذي كان أمره بعده،
فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد، فاجتره المسلمون فأحرزوه، ثم قتل الفيل الأمير
الذي بعد أبي عبيد، وتتابع سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء ويقاتل حتى يموت، ثم أخذ
المثنى اللواء فهرب عنه الناس، فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ذلك بادر إلى الجسر
فقطعه، وقال:
أيها الناس، موتوا على مامات عليه أمراؤكم أو تظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى
الجسر، فتواثب بعضهم إلى الفرات فغرق، وحمى المثنى وفرسان من المسلمين الناس، وقاتل
أبو زبيد الطائي حمية للعرب، وكان نصرانياً، ثم جاء العلوج وعقدوا الجسر، وعبر الناس،
وكان آخر من قتل عند الجسر سليط بن قيس، وعبر المثنى وحمى جانبه، فلما عبر أرفض
عنه أهل المدينة، وبقي المثني في قلة، وكان قد جرح وأثبت فيه حلق من درعه. وهلك
من المسلمين أربعة آلاف بين قتيل وغريق.
وهرب ألفان وبقي ثلاثة آلاف، وقتل من الفرس ستة آلافف، وأخبر عمر عمن سار في
البلاد استحياء من الهزيمة، فاشتد ذلك عليه، وقال: اللهم إن كل مسلم في حل مني، أنا فئة
كل مسلم، يرحم الله أبا عبيد! لو كان انحاز إلى لكنت له فئة.
قال: وأراد بهمن جاذوية العبور خلف المسلمين فأتاه الخبر باختلاف الفرس، وأنهم قد
ثاروا برستم، فرجع إلى المدائن.
وكانت هذه الوقعة في شعبان سنة ثلاث عشرة. والله سبحانه وتعالى أعلم.
وقعة أليس الصغرى
قال: لما عاد ذو الحاجب لم يشعر جابان ومرادنشاه بما جاء به من الخبر، فخرجا إذا
أخذا بالطريق، وبلغ المثنى فعلهما، فاستخلف الناس على عاصم بن عمر.وخرج في جريدة
خيل يريدهما، فظنا أنه هارب، فاعترضاه، فأخذهما أسيرين.
وخرج أهل أليس على
أصحابهما فأتوه بهم أسرى، فعقد لهم بها ذمة، وقتلهما وقتل الأسرى. والله تعالى أعلم.
وقعة البويب
ولما بلغ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقعة الجسر، ندب الناس إلى المثنى، وكان

فيمن ندب بجيلة، وأمرهم إلى جرير بن عبد الله، فأتوا العراق، وقالوا: لا نكون إلا بالشام،
فعزم عليهم عمر ونفلهم ربع الخمس، فأجابوا، وسيرهم إلى المثنى، وبعث عصمة بن عبد
الله الضبي فيمن معه، وكتب إلى أهل الردة فلم يأته أحد إلا رمى به المثنى. وبعث الرسل
إلى من يليه من العرب، فتوافوا إليه في جمع عظيم، وكان فيمن جاءه أنس بن هلال النمري
في جمع عظيم من النمر، نصارى، وقالوا: نقاتل مع قومنا.
وبلغ الخبر رستم والفيرزان فبعثا
مهران الهرمذاني إلى الحيرة، فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخفان. فاستبطن فرات
بادقلي، وكتب إلى جرير وعصمة ومن أتاه من الأمداد بالخبر، وأمرهم بقصد البويب،
ومهران بإزائه من وراء الفرات، فاجتمع المسلمون بالبويب ممايلي الكوفة اليوم، وأرسل مهران
إلى المثنى يقول: إما أن تعبر إلينا، وإما أن نعبر إليك، فقال: المثنى:
اعبروا، فعبر مهران فنزل بشاطئ الفرات، وعبى المثنى أصحابه، وكان في شهر رمضان،
فأمرهم بالإفطار ليقووا على عدوهم، فأفطروا، وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف، ومع كل
صف فيل، ورجالتهم أمام فيلهم، ولهم زجل.
فقال المثنى:
إن الذي تسمعون فشل، فالزموا الصمت، ثم التقوا، واقتتلوا أشد القتال وأعظمه، فقتل
مهران؛ قتله غلام نصراني من تغلب، واستولى على فرسه، فجعل المثنى سلبه لصاحب
خيله، وكان التغلبي قد جلب خيلاً هو وجماعة من تغلب، فلما رأوا القتال قاتلوا مع
العرب، وانهزمت الفرس، وسبقهم المثنى إلى الجسر فافترق الأعاجم مصعدين ومنحدرين،
وأخذتهم خيول المسلمين، وقتل منهم قتلى كثيرة، فكانوا يحزرون القتلى مائة ألف، وسمي
ذلك اليوم يوم الإعشار، وأحصى مائة رجل، قتل كل رجل منهم عشرة، وتبعهم المسلمون
إلى الليل، ومن الغد إلى الليل، وارسل المثنى الخيل في طلب العجم، فبلغوا السيب، وغنموا
من الغنائم والسبى والبقر شيئاً كثيراً، فقسمه المثنى فيهم، ونفل أهل البلاء، وأعطى بجيلة
ربع الخمس.

وأرسل إليه الذين تبعوا من انهزم يعرفونه بسلامتهم، وأنه لامانع دون القوم، ويستأذنونه في
الإقدام، فأذن لهم فأغاروا حتى بلغوا ساباط؛ فتحصن أهله منهم، واستباحوا القرى،
رجعت مسالح الفرس إليهم، وسرهم أن يتركوا ماوراء دجلة.
سوقي الخنافس وبغداد
قال: ثم خلف المثنى بالحيرة بشير بن الخصاصية، وسار يمخر السواد، وأرسل إلى ميسان
ودست ميسان، وأدنى المسالح، ونزل أليس(قرية من قرى الأنبار)، وجاء المثنى رجلان
أحدهما أنبارى فدله على سوق الخنافس، والثاني حيري ودله على سوق بغداد، فبدأ
بسوق الخنافس؛ لأنها كانت تقوم قبل سوق بغداد، وكان يجتمع بها تجار مدائن كسرى
والسواد، وتخفرهم ربيعة وقضاعة، فأغار المثنى على الخنافس يوم سوقها، فانتسف السوق
وما فيها، وسلب الخفراء، ثم رجع فأتى الانبار، فنزل أهلها إليه، وأتوه بالأعلاف والزاد،
وأخذ منهم الأدلاء على سوق بغداد، وسار ليلاً، فصبحهم في أسواقهم فوضع السيف
فيهم، وأخذ ما شاء، وقال لأصحابه: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة والحر من الكل شيء،
ثم عاد راجعاً حتى أتى الأنبار، وكان من خلفه من المسلمين يمخرون السواد، ويشنون
الغارات ما بين أسفل كسكر واسفل الفرات، وجسور مثقب إلى عبن التمر، ولما رجع
المثنى إلى الأنبار بعث المضارب إلى الكباث، وعليه فارس العناب التغلبي، ثم لحقهم المثنى
فسار معهم، فوجدوا الكباث وقد سار من كان به عنه، فسار المسلمون خلفهم، فقتلوا في
أخريات أصحاب فارس والعناب، وأكثروا القتل ورجعوا إلى الأنبار، وسرح المثنى فرات بن
حيان التغلبي وعتيبة بن النهاس، وأمرهما بالغارة على أحياء بني تغلب بصفين، ثم أتبعهما
واستخلف على الناس عمرو بن أبي سلمى الهجيمي، فما دنوا من صفين فر من بهان
وعبروا الفرات إلى الجزيرة وفنى الزاد الذي كان مع المثنى وأصحابه، فأكلوا رواحلهم إلا
مالابد منه حتى جلودها، ثم أدركوا عيراً من أهل دبا وحوران فقتلوا من بها، وأخذوا
ثلاثة نفر من تغلب كانوا خفراء، وأخذوا العير فقال لهم المثنى:

دلوني؛ فقال: أحدهمك أمنوني على أهلي ومالي، وأدلكم على حي من تغلب، فأمنه
المثنى، وسار بهم يومه، فهجم العشي على القوم والنعم صادرة عن الماء، وأصحابها
جلوس بأفنية البيوت، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، واستاق الأموال.
وأخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجع شاطئ دجلة؛ فخرج المثنى وعلى
مجنبتيه النعمان بن عوف ومطر الشيبانيان، وعلى مقدمته حذيفة بن محصن الغلفاني،
فساروا في طلبهم فأدركوهم بتكريب، فأصابوا ما شاءوا من النعم، وعادو الأنبار.
ومضى عتيبة وفرات ومن معهما حتى أغاروا على صفين، وبها النمر وتغلب متساندين،
فأغاروا عليهم حتى رموا طائفة منهم في الماء، فجعلوا ينادونهم: الغرق الغرق! وجعل
عتيبة وفرات يذمران الناس وينادیانهم: تغريق بتحريق!
يذكرانهم يوما من أيام الجاهلية،
كانوا حرقوا فيه قوما من بكر بن وائل في غيضة من الغياض.
ثم رجعوا إلى المثنى وقد
غرقوهم. فبلغ ذلك عمر، فبعث إلى عتيبة وفرات، فاستدعاهما وسألهما عن قولهما،
فأخبراه أنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل، إنما هو مثل، فاستحلفهما على ذلك
وردهما إلى المثنى.
وكانت هذه الوقائع التي ذكرناها بالعراق في سنة ثلاث عشرة.
ثم كانت وقعة القادسية،
والله أعلم.
القادسية وأيامها
كان ابتداء أمر القادسية أن الفرس لما مات ملكها أزدشير تفرقت آراؤها، وكان المسلمون
قد فتحوا من بلادهم ما ذكرناه في خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في حياة
أزدشير، ثم تابعو الغارات عليهم، فاجتمعت الفرس وقالوا لرستم والفيرزان - وهما أهل
فارس -:
لازال بكما الاختلاف حتى أوهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم.
فاجتمعوا واستدعوا نساء كسرى وسراريه، وكشفوا عمن بقي من نسل الملوك الأكاسرة،
فدلوهم على يزدجرد، من ولد شهريار بن كسرى، فاستدعوه وملكوه عليهم واطاعوه، فبلغ

خبرهم المثنى بن حارثة، فكتب بذلك إلى عمر، فلم يصل الكتاب حتى نقض من كان له
عهد من اهل السواد، فخرج المثنى حتى نزل بذي قار، ونزل الناس بألطف في عسكر
واحد.
ولما وصل كتاب المثنى إلى عمر قال: والله لاضربن ملوك العجم بملوك العرب؛ وكتب إلى
عماله على العرب: ألا يدعوا من له نجدة أو راي، أو فرس، أو سلاح إلا وجهوه إليه، وذلك
في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة.
فاجتمع إليه الناس، ولم يدع رئيساً ولا ذي رأي وشرف، ولا خطيباً ولا شاعراً إلا
استشارهم في الخروج بنفسه لغزو الفرس، وأجمع رأي وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم أن يبعث رجلاً من المسلمين ويضم إليه الجنود، واتفق رأيهم على سعد بن أبي
وقاص، وكان على صدقات هوازن، فكتب إليه عمر يقول: قد انتخبت لك ألف فارس،
كلهم له نجدة ورأي؛ إليهم انتهت أحسابهم.
فأمره بحرب العراق وضم إليه الجيوش، فخرج في أربعة آلاف، وأمده عمر بعد خروجه
بألفي يماني، وألفي نجدي، وكان المثنى بن حارثة في ثمانية آلاف، فلما سار سعد توفي
المثنى قبل وصوله، واجتمع مع سعد ثمانية آلاف، ثم أتته قبائل العرب، فكان جميع من
شهد القادسية بضعة وثلاثين ألفاً، منهم تسعة وتسعون بدرياً، وثلثمائة وبضعة عشر ممن
كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى مافوق ذلك، وثلثمائة ممن كان شهد الفتح،
وسبعمائة من أبناء الصحابة، فعبأهم سعد بن أبي وقاص، وأمر الأمراء، وعرف على كل
عشرة عريفاً، وجعل أهل السابقة على الرايات؛ وسار بالجيوش حتى نزل القادسية بين
العتيق والخندق بحيال القنطرة، وأقام بها شهراً لم يأته من الفرس أحد، فأرسل عاصم بن
عمرة بطلب غنماً أو بقراً، فسأله عن البقر والغنم، فقال: لا اعلم؛ فصاح ثور من الأجمة:
كذب عدو الله، هانحن، فدخل عدو الله فاستاق البقر وأتى بها العسكر، فقسمها سعد
على الناس. ثم بث الغازات بين كسكر والأنبار، فحووا من الأطعمة ما قام بهم زماناً،
فاستغاث أهل السواد إلى يزدجرد وقالوا:

إما أن تدفع العرب، وإما أن نعطيهم ما بأيدينا، فأرسل إلى رستم وأمره بالمسير للقاء
المسلمين، فاستعفاه من ذلك وسأله أن يجهز الجالينوس، فأبى يزدجرد إلا مسيره، فعسكر
بساباط، ثم استعفاه ثانية من المسير، فأبى عليه.
واتصلت الأخبار بسعد، فكتب إلى عمر فأجابه: لا تكربنك ما يأتيك عنهم، واستعن
الله، وتوكل عليه، وابعث إليه رجالاُ من أهل المناظرة والجلد يدعونه، فإن الله تعالى جاعل
دعاءهم توهينا لهم؛ فارسل نفراً، منهم:
النعمان بن مقرن، وبسر بن أبي رهم، وحملة بن جؤية، وحنظلة بن الربيع، وفرات بن
حيان، وعدي بن سهيل، وعطارد بن حاجب، والمغيرة بن زرارة الأسدي، والأشعث بن
قيس، والحارث بن حسان، وعاصم بن عمرو، وعمرو بن معدي كرب، والمغيرة بن شعبة،
والمثنى بن حارثة، إلى يزدجرد دعاة، فقدموا عليه، فأحضر وزراءه، وأحضر رستم،
واستشارهم فيما يقول لهم، واجتمع الناس ينظرون إليهم، ثم أذن إليهم، وأحضر الترجمان،
وقال له: سلهم ما جاء لكم؟ وما دعاكم إلى غزونا، والولوع ببلادنا؟
من اجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا! فقال النعمان بن مقرن لأصحابه: إن شئتم
تكلمت عنكم، ومن شاء آثرته. قالوا: بل تكلم؛ فقال: إن الله رحمنا، فارسل إلينا رسولاً
يأمرنا بالخير، وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة، فلم يدع قبيلة إلى
وقاربه منه فرقة، وتباعد عنه فرقة، ثم أمر أن نبتدي إلى من خالفه من العرب فبدأنا بهم،
فدخلوا معه على وجهين؛ مكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد، فعرفنا جميعا فضل ما جاء
به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم
إلى الإنصاف، فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو بن حسن الحسن، وقبح القبيح كله، فإن أبيتم
فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه، الجزية، فإن أبيتم فالمناجزة، وإن أجبتم إلى
جيننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا عليه، على أن تحكموا بأحكامه، ونرجع عنكم
وشأنكم وبلادكم. وإن بذلتم الجزية قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم.

فتكلم يزدجرد فقال:
إني لا أعلم أمة في الأرض أشقى ولا أقل عدداً، ولا اسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل
بكم قرى الضواحي فيكفوننا أمركم، ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس، فإن كان غدر لحقكم
فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم، وأكرمنا وجوهكم
وكسوناكم، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم. فاسكت القوم.
فقام المغيرة بن زرارة فقال: أيها الملك؛ إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف
يستحيون من الأشراف، وليس كل ماأرسلوا له قالوه، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه،
فجاوبني لأكون الذي ابلغك وهم يشهدون على ذلك. وأما ماذكرت من سوء الحال فهي
على ماوصفت أو اشد، ثم ذكر من سوء عيش العرب، وإرسال النبي صلى الله عليه
وسلم إليهم نحو قول النعمان، وقتال من خالفهم أو الجزية؛ ثم قال:
اختر ماشئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت السيف، أو تسلم فتنجي نفسك.
فقال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم، ثم قال:
لاشيء لكم عندي؛ واستدعى بوقر من تراب، فقال: احملوه على اشرف هؤلاء ثم سوقوه
حتى يخرج من باب المدينة. ارجعوا إلى صاحبكم فاعملوه أني مرسل إليكم رستم حتى
يدفنكم ويدفنه معكم في خندق القادسية، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم
بأشد مما نالكم من سابور.
فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب، وقال: أنا أشرفهم، أنا سيد هؤلاء؛ فحمله على عنقه
وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب، وقال لسعد عند عوده: أبشر فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم. وقال يزدجرد لرستم:
ماكنت ارى أن في العرب
مثل هؤلاء، ما أنتم بأحسن جواباً منهم، ولقد صدقني القوم، لقد وعدوا أمرا ليدركنه أو
ليموتن عليه، على أنى وجدت أفضلهم أحمقهم حيث حمل التراب على رأسه.
فقال رستم:
أيها الملك؛ إنه أعقلهم. وخرج رستم وبعث في أثر الوفد، وقال لثقته:
إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعزوه سلبكم الله أرضكم. فرجع الرسول من

الحيرة بقواتهم، فقال: ذهب القوم بأرضكم من غير شك، وكان منجماً كاهناً.
ولما سار الوفد أغار سواد بن مالك التميمي على النجاف والفراض، فاستاق ثلثمائة دابة
من بعير وحمار وثور، وأوقرها سمكا، وصبح العسكر، فقسمه سعد بين الناس؛ فسمي يوم
الحيتان. وكانت السرايا تسري إلى طلب اللحوم، فإن الطعام كان كثيراً عندهم، وكانوا
يسمون الأيام بها، منها يوم الأباقر ويوم الحيتان. وبعث سعد سرية أخرى، فأغاروا فأصابوا
إبلاً لبنى تغلب والنمر فاستاقوها.
وسار رستم من ساباط، وبعث على مقدمته الجالينوس في أربعين ألفاً، وخرج هو في ستين
ألفاً، وساقته في عشرين ألفاً، وجعل في الميمنة الهرمزان، وفي الميسرة مهران بن بهرام
الرازي.
وأرسل سعد السرايا ورستم بالنجف، والجالينوس بين النجف والسيلحين.
وطاف في السواد، فبعث سواداً وحميضة كل منهما في مائة، فأغاروا على النهرين، وبلغ
رستم الخبر، فارسل إليهم خيلاً، وسمع سعد أن خيله قد وغلت، فأرسل عاصم بن عمرو
وجابراً الأزدي في آثارهم، فلحقهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم، فلما
رأته الفرس هربوا، ورجع المسلمون بالغنائم. ارسل سعد عمرو بن معدي كرب وطليحة
الأسدي طليعة، فسار في عشرة، فلم يسيروا إلا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالحهم
وسرحهم على الطفوف قد ملئوها، فرجع عمرو ومن معه، فهتك أطناب بيت رجل وأقتاد
فرسه، ثم هتك على آخر بيته وحل فرسه، ثم فعل لآخر كذلك، ثم خرج يعدو به فرسه،
ونذر به الناس، فركبوا في طلبه، فأصبح وقد لحقه فارس من الجند فقتله طليحة، ثم آخر
فقتله، ثم ثالث، فرأى مصرع صاحبيه وهما ابنا عمه، فازداد حنقا، فلحق به طليحة،
فكر عليه طليحة فأسره ولحق الناس، فرأوا فارسي الجند قد قتلا وأسر الثالث، وقد
شارف طليحة عسكره فأحجموا عنه، ودخل طليحة على سعد ومعه الفارس وأخبره
الخبر، فسأل الترجمان الفارسي فطلب الأمان، فأمنه سعد، فقال: أخبركم عن صاحبكم

هذا قبل أن أخبركم عمن قتل؛ باشرت الحروب منذ أنا غلام إلى الآن، وسمعت بالأبطال،
ولم أسمع بمثل هذا، إن رجلاً قطع عسكرين إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم
الخمسة والعشرة، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فرسان الجند، وهتك عليهم
البيوت، فلما أدركناه قتل الأول، وهو يعد بألف فارس، ثم الثاني وهو نظيره، ثم أدركته أنا،
وما خلفت بعدي من يعدلني، وأنا الثائر بالقتيلين، فرأيت الموت واستؤسرت، ثم أخبره عن
الفرس. واسلم ولزم طليحة، وكان من أهل البلاء بالقادسية، وسماه سعد مسلماً.
ثم سار رستم وقد الجالينوس وذا الحاجب حتى وصل إلى القادسية، كان بين مسيره من
المدائن ووصوله أربعة أشهر، رجاء أن يضجروا فينصرفوا، ووقف على العتيق بحيال
عسكر سعد، وكان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً، منها فيل سابور الأبيض، وكانت الفيلة تالفه.
وبات رستم ليلته. ثم أصبح وارسل إلى سعد أن أرسل إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا،
فارسل إليه ربعي بن عامر، فأظهر رستم زينته، وجلس على سرير من ذهب، وبسط
البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعي على فرسه، وسيفه في خرقه،
ورمحه مشدود بعصب وقد، فلما انتهى إلى البسط قيل له:انزل، فحمل فرسه عليها، ونزل
وسطها بوسادتين شقهما، وأدخل الحبل فيهما، فلم ينهوه وأروه التهاون، وعليه درع؛ وأخذ
عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه، فقالوا له:
ضع سلاحك؛ فقال: لم آتكم فأضع سلاحي بأمركمن أنتم دعوتموني، فأخبروا رستم؛
فقال: ائذنوا له.
فأقبل يتوكل على رمحه ويقارب خطوة، فلم يدع نمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وهتكه، فلما
دنا من رستم جلس على الأرض، وأركز رمحه على البسط؛ فقيل له: ما حملك على
هذا؟
فقال: إنا لا نستحل القعود على زينتكم، فقال له الترجمان - واسمه عبود من اهل الحيرة -
ماجاء بكم؟
قال: الله، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور

الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنهن
وتركناه وأرضه، ومن اباه قاتلناه حتى يقضي الله إلى الجنة او الظفر.
فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ قال: نعم،
وإن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نمكن الاعداء أكثر من ثلاث، فنحن
مترددون عنكم ثلاثاً فانظر في أمرك، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل:
إما الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزية فتقبل فنكف عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك؛
أو المنابذة في اليوم الرابع إلا أن تبدأنا، وأنا كفيل بذلك عن أصحابي.
فقال: أسيد أصحابك أنت؟ قال: لا، ولكنا كالجسد الواحد، بعضنا من بعض، يجير
أدنانا على أعلانا.
فخلا رستم برؤساء قومه، فقال: هل رأيتم أوسمعتم كلاماً قط أعز وأوضح من كلام هذا
الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه! فقال: ويحكم!
لا تنظروا إلى الثياب، ولكن انظروا إلى الرأي والكلام والسيرة؛ إن العرب تستخف باللباس،
وتصون الأحساب؛ ليسوا مثلكم.
فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد: أن أبعث إلينا ذلك الرجل، فبعث إليهم حذيفة
بن محصن، فأقبل في نحو من ذلك الزي، فلم ينزل عن فرسه حتى وقف على رستم. فقال
له:
انزل، قال: لا أفعل، فقال: ماجاء بك ولم يأت الأول؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في
الشدة والرخاء، وهذه نوبتي. فقال: ماجاء بكم؟ فأجابه نحو الأول. فطلب رستم
الموادعة إلى يوم ما.
فقال: نعم، ثلاثاً من أمس، فرده.
وأقبل رستم على أصحابه فقال: ويحكم! ألا ترون ما أرى؟ جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقر مانعظم، وأقام فرسه على زبرجنا؛ وجاء
هذا اليوم فوقف علينا وهو في يمن الطائر، يقوم على أرضنا دوننا.
فلما كان الغد أرسل أن ابعثوا لنا رجلاً، فبعث إليهم المغيرة بن شعبة، فأقبل عليهم،

وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وبسطهم على غلوة سهم، لا يوصل إلى
صاحبهم حتى يمشي عليها، فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره، فوثبوا عليه
وأنزلوه ومعكوه؛ فقال: قد كان يبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوما أسفة منكم؛ إ،ا معشر
العرب لا يستعبد بعضنا بعضاً، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، فكان أحسن
من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا
يصنعه أحد، وأنا لم آتكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أنكم مغلوبون، وأن ملكاً لا يقوم
على هذه السيرة ولا على هذه العقول.
فقالت السفلة: صدق والله الأعرابي.
قال الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه، قاتل الله أولينا حين كانوا
يصغرون أمره هذه الأمة! ثم تكلم رستم، فحمد قوته، وعظم أمرهم، وذكر تمكنهم في
البلاد، وقوة سلطانهم، وذكر معيشة العرب وما هو عليه من الفاقة، وقال: كنتم تقصدوننا
إذا قحطت بلادكم، فنأمر لكم بشيء من التمر والشعير، ثم نردكم، وقد علمت أنه لم
يحملكم على ماصنعتم إلا الجهد في بلادكم، فأنا أمر لأميركم بكسوة وبغل والف درهم،
وآمر لكل رجل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا؛ فإنى لست أشتهي أن أقتلكم.
فتكلم المغيرة، فحمد الله وأثنى عليه، وقال:
إن الله خلق كل شيء ورزقه، فمن صنع شيئاً فإنما هو بصنعه. فأما الذي ذكرت به
نفسك وأهل بلادك فنحن نعرفه، والله صنعه بكم، ووضعه فيكم، وهو له دونكم؛ وأما
الذي ذكرت فينا من سوء الحال والضيق فلسنا ننكره، والله ابتلانا به، والدنيا دول، ولم يزل
أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم، ولو شكرتم ما آتاكم الله تعالى لكان شكركم
يقصر عما أوتيتم، فأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل
الكفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجلباً من الله رحمة يرده بها عنا؛ إ، الله تبارك وتعالى
بعث فينا رسولاً؛ ثم ذكر مثل ما تقدم من ذكر الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وقال:
إن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم، فقالوا: لاصبر لنا عنه.

فقال رستم إذا تموتون دونه! فقال المغيرة:
يدخل من قتل منا الجنة، ومن قتل منكم النار، ويظفر من بقي منا بمن بقي منكم.
فاستشاط رستم غضباً، ثم حلف ألا يرتفع الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين.
وانصرف المغيرة، وخلا رستم بأهل فارس وقال:
أين هؤلاء منكم! هؤلاء والله الرجال، صادقين كانوا أم كاذبين!
والله لئن أرادوا منهم،
وإن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شيء. فلجوا وتجلدوا،
فقال: أطيعوني يا أهل فارس؛ إني
لأرى لله فيكم نقمة لاتستطيعون ردها.
ثم أرسل إليه سعد ثلاثة من ذوي الرأي، فقالوا له:
إن أميرنا يدعوك لما هو خير لنا ولك؛ والعافية أن تقبل ما دعاك إليه، ونرجع إلى ارضنا
وترجع إلى أرضك، وداركم أن تقبل ما دعاك إليه، ونرج إلى أرضنا وترجع إلى أرضك،
وداركم لكم وأمركم فيكم، وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا، وكنا عوناً لكم على من
أرادك، فاتق الله ولا يكونن هلاك قومك على يديك، وليس بينك وبين أن نغتبط بهذا الأمر
إلا أن تدخل فيه، وتطرد به الشيطان عنك؛ فقال لهم: إن الأمثال أوضح من كثير من
الكلام، إنكم كنتم أهل جهد وقشف، لاتنتصفون ولا تمتنعون، فلم نسئ جواركم، وكنا
نميركم ونحسن إليكم، فلما طعمتم طعامنا، وشربتم شرابنا، وصفتم لقومكم ذلك،
ووعدتموهم ثم أتيتمونا، وإنما مثلكم
ومثلنا كمثل رجل كان له كرم، فرأى فيه ثعلباً، فقال:
وما ثعلب! فانطلق الثعلب فدعا الثعالب إلى ذلك الكرم، فلما اجتمعوا إليه شد صاحب
الكرم النقب الذي كن يدخلن منه فقتلهن. فقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحرص
والجهد، فارجعوا ونحن نميركم؛ فإنى لا أشتهي أن أقتلكم. ومثلكم أيضاً كالذباب يرى
العسل فيقول: من يوصلني إليه وله درهمان، فإذا دخله غرق ونشب، فيقول من يخرجني وله
أربعة دراهم؟
وقال: ما دعاكم إلى ماصنعتم، ولا أرى عدداً ولا عدة !
قال: فتكلم القوم، وذكروا سوء حالهم، وما من الله تعالى عليهم من إرسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم، واختلافهم أولاً، واجتماعهم على الإسلام، وما أمرهم به من

الجهاد، وقالوا: وأما ما ضربت لنا من الأمثال فليس كذلك، ولكن إنما مثلكم كمثل رجل
غرس أرضاً وأختار لها الشجر، وأجرى إليها الأنهار وزينها بالقصور، أقام فيها فلاحين
يسكنون قصورها ويقومون على جناتها، فخلا الفلاحون القصور على مالا يحب، فأطال
إمهالهم فلم يستجيبوا، فدعا إليها غيرهم وأخرجهم منها، فأن ذهبوا عنها يختطفهم
الناس، وإن أقاموا فيها صاروا خولاً لهؤلاء، فيسومونهم الخسف أبداً، والله لو لم يكن ما
نقول حقاً ولم يكن إلا الدنيا لما صبرنا عن الذي نحن فيه من لذيذ عيشكم، ورأينا من
ذبرجكم، ولقارعناكم عليه؛
فقال رستم:
أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم؟ فقالوا:
بل أعبروا إلينا. ورجعوا من عنده عشياً، وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقفهم،
وأرسل إليهم شأنكم والعبور، فأرادوا الجواز على القنطرة فمنعهم المسلمون، وقالوا: أما
شيء غلبناكم عليه فلا نرده عليكم، فباتوا يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع
حتى الصباح، وجعلوا طريقاً، واستتم بعد ما ارتفع النهار. ورأى رستم من الليل كأن
ملكاً نزل من السماء، فأخذ قسي أصحابه فختم عليها، ثم صعد بها إلى السماء،
فاستيقظ مهموماً، واستدعى خاصته فقصها عليهم، وقال:
إن الله ليعظنا لو اتعظنا، ثم ركب، وعبر وعليه درعان ومغفر، وأخذ سلاحه وعبر
الفرس العتيق، ثم كانت الحرب. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.
يوم أرماث
كان يوم أرماث يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة، وذلك أن الفرس لما عبروا العتيق،
جلس رستم على سريره وضرب عليه طياره، وعبى في القلب ثمانية عشر فيلا، وعليها
الصناديق والرجال، وفي المجنبتين خمسة عشر؛ ثمانية وسبعة، وأقام الجالينوس بينه وبين
ميمنته، والفيرزان بينه وبين ميسرته، وكان يزدجرد قد وضع بينه وبين رستم رجالاً على
كل دعوة رجلاً، أولهم على باب إيوانه، وآخرهم مع رستم، فكلما فعل شيئاً قال الذي معه

للذي يليه: كان كذا وكذا، ثم يقول الثاني ذلك للثالث، وهكذا إلى أن ينتهي إلى يزدجرد في
أسرع وقت.
قال: وأخذ المسلمون مواقفهم، وكان بسعد دماميل وعرق النساء، فلا يستطيع الجلوس؛
إنما هو مكب على وجهه، وفي صدره وسادة،وهو على سطح القصر يشرف على الناس،
فذكر الناس ذلك، وعابه بعضهم فقال في ذلك شعراً:

نقاتل حتي أنزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهم أيم

فبلغت أبياته سعداً فقال:
اللهم إن كان كاذباً وقال الذي قاله رياء وسمعه فاقطع عني لسانه، فإنه لواقف في الصف
يومئذ أتاه سهم غرب، فأصاب لسانه، فما تكلم بكلمة حتى لحق بالله تعالى. ونزل سعد
إلى الناس فاعتذر إليهم، وأراهم ما به من القروح في فخذيه وأليتيه، فعذره الناس وعلموا
حاله. ولما عجز عن الركوب استخلف خالد بن عرفطة على الناس، فاختلف عليه،
فأخذ نفراً ممن شغب عليه فحبسهم في القصر، منهم أبو محجن الثقفي، وقيل: بل كان قد
حبس في الخمر.
وأعلم سعد الناس أنه قد استخلف خالداً، وإنما يأمرهم خالد بأمره، فسمعوا وأطاعوا.
وأرسل سعد نفراً من ذوي الرأي والنجدة، منهم المغيرة، وحذيفة، وعاصم، وطليحة،
وقيس الأسدي، وغالب، وعمرو بن معدي كرب وأمثالهم، ومن الشعراء: الشماخ،
والحطيئة وأوس بن معراء، وعبد بن الطبيب وغيرهم، وأمرهم بتحريض الناس على القتال
ففعلوا، وكان صف المشركين على شفير العتيق، وصف المسلمين على حائط قديس،
والخندق من ورائهم، وكان
المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق، وأمر سعد الناس فقرءوا سورة الجهاد، وهي
الأنفال، فلما فرغ القراء منها قال سعد:
الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم فإني مكبر فكبروا واستعدوا، فإذا سمعتم
الثانية فكبروا ولتستتم عدتكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس،
فإذا كبرت الرابعة فازحفوا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما كبر سعد الثالثة برز أهل النجدات فانشبوا القتال، وخرج إليهم من الفرس أمثالهم.
فبرز غالب بن عبد الله الأسدي، فخرج إليه هرمز، وكان من ملوك الباب، وكان متوجاً،
فاسره غالب وأتى به سعداً، وخرج عاصم بن عمر فطارد فارسياً، فانهزم، فاتبعه عاصم
حتى خالط صفهم فحموه، فأخذ عاصم رجلاً على بغل وعاد به، فإذا هو خباز الملك ن
معه طعام من طعام الملك وخبيصة، فأتى به سعداً فنفله أهل موقفه.
وخرج فارسي يطلب البراز، فبرز إليه عمرو بن معدي كرب، فأخذه وجلد به الأرض
وذبحه، وأخذ سواريه ومنطقته.
وحملت الفيلة على المسلمين، ففرقت بين الكتائب، فنفرت الخيل، وكانت الفرس قد
قصدت بجيلة بسبعة عشر فيلاً، فنفرت خيل بجيلة، فكادت بجيلة تهلك لنفار خيلها عنها
وعمن معها. فأرسل سعد إلى بني أسد أن دافعوا عن بجيلة ومن معها، فخرج طليحة بن
خويلد، وحمال بن مالك في كتائبهما، فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها، وخرج إلى طليحة
عظيم منهم، فقتله طليحة.
وقام الأشعث بن قيس في كندةن فأزالوا من بإزائهم من الفرس، ثم حمل الفرس، وفيهم ذو
الحاجب والجالينوس، والمسلمون ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فاجتمعت الفرس على
اسد ومعهم تلك الفيلة فثبتوا لهم، وكبر سعد الرابعة، فزحف المسلمون إليهم، ورحا
الحرب تدور على أسد، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة، فحادث الخيول عنها،
فارسل سعد إلى عاصمبن عمرو، فقال:
يا معشر بني تميم، أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟
قالوا: بلى والله.
ثم نادى عاصم في رجال من قومه رماة وآخرين، لهم ثقافة، فقال: يا معشر الرماة، ذبوا
ركبان الفيلة عنهم بالنبل، ويا معشر أهل الثقافة؛ استدبروا الفيلة، فقطعوا وضنها.
وخرج يحميهم وقد جالت الميمنة والميسرة، وأقبل أصحاب عاصم، فأخذوا بأذناب الفيلة
فقطعوا وضنها، وارتفع عواوهم، فما بقي فيل إلا عوى، وقتل أصحابها، ونفس عن أسد،

ورد الفرس عنهم إلى مواقفهم، ودام القتال حتى غربت الشمس، حتى ذهبت هدأة من
الليل، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء، وقد أصيب من أسد تلك الليلة خمسمائة، وكانوا ردءاً
للناس، وكان عاصم حامية للناس.
وكان سعد تزوج سلمى امرأة المثنى بن حارثة بعده، فلما جال الناس في هذا اليوم، جعل
سعد يتململ جزعاً على الناس وهو لا يطيق الجلوس، فلما رأت ما يصنع الفرس، قالت:
وامثناه، ولا مثنى للخيل اليوم! فلطم وجهها وقال: أين المثنى عن هذه الكتيبة التي تدور
عليها الرحا؟
يعني أسداً وعاصماً؛ فقالت: أغيره وجبنا!
فقال: والله لا يعذرني أح أن لم تعذرني أحد أن لم تعذريني، وأنت لا ترين ما بي...
والله تعالى اعلم بالصواب، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم.
أغواث
قال: لما اصبح سعد وكل بالقتلى من ينقلهم ليدفنوا، وأسلم الجرحى إلى النساء يقمن
عليهم، فبينا الناس على ذلك إذ طلعت نواصي الخيل من الشام، وكان عمر لما فتحت
دمشق قد كتب إلى أبي عبيدة يأمره بإرسال أهل العراق، فأرسلهم وأمر عليهم هاشم بن
عتبة بن أبي وقاص. وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، فتعجل القعقاع، فقدم على الناس
صبيحة هذا اليوم، وقد عهد إلي أصحابه أن يتقطعوا اعشار وهم الف، كلما بلغ عشرة
مد البصر سرحوا عشرة، وتقدم هو في عشرة، فأتى الناس فسلم عليهم، وبشرهم الجنود،
وحرضهم على القتال، وقال: اصنعوا كما اصنع، وطلب البراز، فخرج إليه ذو الحاجب،
فعرفه القعقاع، ونادى:
بالثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب الجسر!واقتتلا، فقتله القعقاع.

وجعلت خيله ترد إلى الليل، ونشط الناس، وكأن لم تكن بالأمس مصيبة، وانكسرت
الأعاجم لقتل ذي الحاجب، فطلب القعقاع البراز، فخرج إليه الفيرزان والبندوان، فانضم
إلى القعقاع الحارث بن ظبيان، ونادى القعقاع:

يامعشر المسلمين، باشروهم بالسيوف، فإنما يحصد الناس بها، فاقتتلوا حتى المساء، فلم
ير أهل فارس في هذا اليوم ماي يعجبهم، وأكثر المسلمون فيهم القتل، ولم يقاتلوا في هذا اليوم
على فيلة؛ كانت توابيتها قد تكسرت بالأمس، فاستأنفوا عملها، وحمل بنو عم القعقاع
عشرة عشرة على إبل قد أليسوها وجللوها وبرقعوها، وطافت بهم خيولهم تحميهم،
وأمرهم القعقاع أن يحملوا على خيل الفرس يتشبهون بالفيلة، ففعلوا في يوم أغواث، كما فعل
الفرس في يوم أرماث، فنفرت خيل الفرس من الإبل، فلقوا منها أعظم مالقي المسلمون من
الفيلة، وحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة، كلما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها، وقيل:
وكان آخرهم بزرجمهر الهمذاني.
وكان أبو محجن الثقفي، واسمه مالك بن حبيب، وقيل:
عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غبرة بن عوف بن قسي،
وهو ثقيف، قد حبس في القصر وقيد.
واختلف في سبب ذلك؛ فقيل:
كان قد خالف على خالد بن عرفطة خليفة سعد، وقيل: بل كان عمر قد جلده في الخمر
مراراً ثمانية وهو لا يتوب ولا يقلع، فنفاه إلى جزيرة في البحر، وبعث معه رجلا، فهرب منه
ولحق بسعد، فكتب إليه عمر بحبسه. وقيل:
بل كان مع سعد، فأتى به وهو سكران، فأمر به إلى القيد، فلما التجم القتال قال:

كفى حزنا أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصارع من دوني تقيم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وأخوه فقد تركوني واحدا لا أخاليا
وقد شف جسمي انني كل شارق أعالج كبلا مصمتا قد برانيا
فلله درى يوم أترك موثقاً وتذهل عني أسرتي ورجاليا
حبيسا عن الحرب العوان وقد بدت وإعما غيري يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس بعهده لئن فرجت ألا أزور الحوانيا

ثم قال لسلمى انبة خصفة امرأة سعد: ويحك!
خليني، ولك عهد الله إن سلمني الله أن اجيء حتى أضع رجلي في القيد، وإن قتلت
استرحتم مني، فحلت عنه، فوثب على فرس لسعد يقال لها: البلقاء، ثم أخذ الرمح وانطلق

حتى كان بحيال الميمنة كبر، ثم حمل على ميسرة الفرس، ثم رجع من خلف المسلمين
وحمل على ميمنتهم، وكان يقصف الناس قصفاً منكراً، فتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه،
فقال بعضهم: هو من أصحاب هاشم، أو هاشم نفسه. وقال بعض الناس: هو الخضر.
وقال بعضهم:
لولا أن الملائكة لا تباشر الحرب لقلنا إنه ملك.
وجعل سعد يقول حين ينظر إليه وإلى الفرس: الصبر صبر البلقاء، والطعن طعن أبي
المحجن. وأبو محجن في القيد، فلما انتصف الليل وتراجع المسلمون والفرس، أقبل أبو محجن
فدخل القصر، وأعاد رجليه في القيد، وقال:
لقد علمت ثقيف غير فخر بأنا نحن أكرمهم سيوفاً
أكثرهم دروعا سابغات أصبرهم إذا كرهوا الحتوفا
وأنا وفدهم في كل يوم فإن عميوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي ولم أشعر بمخرجي الزحرفا
فإن أحبس فذلكم بلائي وإن أترك اذيقهم الحتوفا
فقالت له سلمى:
في أي شيء حبسك؟ فقال:
أما والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته؛ ولكني صاحب شراب في الجاهلية، وأنا امرؤ
شاعر يدب الشعر على لساني، فقلت مرتجلاً في ذلك أبياتاً:
إذا مت فادفني إلى أصل كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفهني بالفلاة فإنني أخاف إذا مامت ألا أذوقها
فلذلك حبسني، فلما اصبحت أتت سعداً فصالحته واخبرته بخبر أبي محجن، فأطلقه،
وقال: اذهب، فما أنا بمؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله، قال: لاجرم والله لا اجيب لساني
إلا قبيح أبداً.
وقد قيل: إن سعداً لما أخبر بأمره دعاه وحل قيوده، وقال: لاتجلدن على الخمر ابداً: فقال
أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبداً، فقد كنت آنف أن أدعها من اجل جلدكم.
وقيل: بل قال: قد كنت أشربها إذ يقام على الحد وأطهر منها، فأما إذا بهرجتني فوالله لا
أشربها أبداً.
يوم عمواس
وهو اليوم الثالث
قال:

وأصبح الناس في هذا اليوم وبين الصفين من صرعي المسلمين ألفان من جريح وقتيل، ومن
المشركين عشرة آلاف، فنقل المسلمون قتلاهم إلى المقابر، وجرحاهم إلى النساء، وكان
النساء والصبيان يحفرون القبور ويداوون الجرحى، وأما قتلى المشركين فبين الصفين لم
ينقلوا، وبات القعقاع تلك الليلة بسرب أصحابه إلى المكان الذي كان فارقهم فيه، وقال: إذا
طلعت الشمس فاقتلوا مائة مائة، فإن جاء هاشم فذاك، وإلا جددتم للناس رجاء جديداً.
ولم يشعر به أحد، وأصبح الناس على مواقفهم.
فلما بزغت الشمس أقبل أصحاب القعقاع، فحين رآهم كبر وكبر المسلمون، وتقدموا
وتكتبت الكتائب، واختلف الطعن والضرب، والمدد متتابع، فما جاء آخر أصحابه حتى
انتهى إليهم هاشم، فأخبر بما صنع القعقاع، فعبى أصحابه سبعين سبعين، وكان فيهم قيس
بن هبيرة المعروف بابن المكشوح المرادي، فكبر وكبر المسلمون، ثم حمل على الفرس
فقاتلهم حتى خرق صفهم إلى العتيق ثم عاد، وكانت الفرس فقاتلهم حتى خرق صفهم إلى
العتيق ثم عاد، وكانت الفرس قد أصلحوا توابيتهم وأعادوها على الفيلة، وأقبلت الرجالة
حول الفيلة يحمونها أن تقطع وضنها، ومع الرجالة فرسان يحمونهم، فلم تنفر الخيل منهم
كما كانت؛ لاختلاط خيل الفرس ورجالها بها.
قال: ولما رأى سعد الفيول، وقد فرقت الكتائب وعادت لفعلها، أرسل إلى القعقاع وعاصم
بني عمرو: أن أكفياني الفيل الأبيض، وكان بإزائهما والفيول كلها آلفة له.
وقال لحمال والربيل: أكفياني الفيل الأجرب وكان بإزائهما، فحمل القعقاع وعاصم برمحيهما
وتقدما في خيل ورجل حتى وضعاهما في عيني الفيل الأبيض، فنفض رأسه، وطرح
ساسته، ودلى مشفرة.
فضربه القعقاع، فرمى به ووقع لجنبه، وقتلوا من كان عليه، وحمل حمال والربيل الأسديان
على الفيل الأجرب، فطعنه حمال في عينه فاقعى، ثم استوى، وضربه الربيل فأبان مشفرة،
فتحير الفيل؛ إذا جاء إلى صف المسلمين زجروه بالرماح ليرجع، وإذا أتى صف الفرس

نخسوه ليتقدم، فولى الفيل وألقى نفسه في العتيق، وتبعته الفيلة فخرقت صفوف الأعاجم.
واقتتل الفريقان حتى المساء وهم على السواء، فلما أمسى الناس اشتد القتال، وصبر
الفريقان فخرجا على السواء، ثم كانت ليلة الهرير. والله سبحانه وتعالى أعلم، وحسبنا
الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد.

ليلة الهرير

قيل: وإنما سميت بذلك لتركهم الكلام، وإنما كانوا يهرون هريراً، وهي الليلة التي تلي يوم
عماس. قال:
وخرج مسعود بن مالك الأسدي، وعاصم بن عمرو، وقيس بن هبيرة وأشباههم،
فطاردوا القوم، فإذا هم لا يشدون ولا يريدون غير الزحف، فقدموا صفوفهم، وزاحفهم
الناس بغير إذن سعد، فكان أول من زاحفهم القعقاع، فقال سعد:
اللهم اغفرها له وانصره، قد أذنت له إذ لم يستأذني، ثم قال: أرى الأمر مافيه هذا، فإذا
كبرت ثلاثاً فاحملوا، فكبر واحدة، فحملت اسد ثم النخع، ثم بجيلة، ثم كندة، وسعد يقول
عند حملة كل منهم: اللهم اغفرها لهم، وانصرهم، ثم زحف الرؤساء، ورحا الحرب تدور
على القعقاع، ولما كبر الثالثة لحق الناس بعضهم بعضاً، وخالطوا القوم، فاستقبلوا الليل بعد
ما صلوا العشاء، واقتتلوا ليلتهم إلى الصباح، فلما كان عند الصبح انتهى الناس، فاستدل
سعد بذلك على أنهم الأعلوان.

يوم القادسية

وهزيمة الفرس

قال: وأصبح الناس من ليلة الهرير - وتسمى ليلة القادسية - وهم حسرى، لم يغمضوا
ليلتهم كلها؛ فسار القعقاع فقال: إن الدائرة بعد ساعة لمن بدأ القوم، فاصبروا ساعة
واحملوا؛ فإن النصر مع الصبر.
فاجتمع إليه جماعة من الرؤساء صمدوا لرستم حتى خالطوا الذين دونه، فلما رأت ذلك
القبائل قام فيهم رؤسائهم، وقالوا: لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم، ولا هؤلاء - يعني
الفرس - أجرأ على الموت منكم، وحملوا وخالطوا من بإزائهم، فاقتتلوا حتى قام قائم

الظهيرة، فكان أول من زال الفيرزان والهرمزان، فتأخرا وثبتا حيث انتهيا، وانفرج القلب
وركد عليهم النقع، وهبت ريح عاصف دبور، فقلعت طيار رستم عن سريره، فهوى في
العتيق، ومال الغبار على الفرس، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به، وقد قام
رستم عنه حين أطارت الريح الطيار، واستظل بظل بغل من بغال كانت قد قدمت عليها
حمول، فضرب هلال بن علفة حمل البغل الذي تحت رستم، فقطع حباله وسقط عليه،
فأزاله رستم عن ظهره، ثم ضربه هلال ضربة، ففر نحو العتيق، وألقى نفسه فيه، فاقتحمه
هلال عليه، وأخذ برجله، ثم خرج به، وضرب جبينه بالسيف حتى قتله، ثم صعد على
السرير وقال: قتلت رستم ورب الكعبة؛ إلى إلى! فنفله سعد سلبه، وكان قد أصابه الماء،
ولم يظفر بقلنسوته، وكانت بمائة ألف.
وقبل: عن هلال بن علفة لما قصد رستم رماه بنشابة أثبتت قدمه بالركاب، فحمل عليه
هلال فضربه فقتله، ثم احتز رأسه فعلقه ونادى: قتلت رستم! فانهزم قلب المشركين، وقام
الجالينوس على الردم، ونادى الفرس إلى العبور، وانهزموا وأخذهم السيف والإسار، وأخذ
ضرار بن الخطاب الدرفس، وهو العلم الأكبر الذي كان للفرس، فعوض عنه بثلاثين ألفاً،
وكانت قيمته ألف ألف ومائتي، وجعل في بيت المال.
وقتل في هذه المعركة من الفرس عشرة آلاف سوى من قتل قبلها، وأما المقترنون فما أفلت
منهم مخبر، وهم ثلاثون ألفاً.
وقتل من المسلمين قبل ليلة الهرير ألفان وخمسمائة، وقتل في ليلة الهرير ويوم القادسية ستة
آلاف، فدفنوا بالخندق، ودفن من كان قبل ليلة الهرير على مشرق.
وكان ممن استشهد في حرب القادسية بنو خنساء الأربعة، وكان من خبرهم أن أمهم
الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد السلمية حضرت القادسية ومعها بنوها الأربعة،
وهم رجال، فقالت لهم من أول الليل: يابني، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله
الذي لا إله إلا هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ماخنت أباكم، ولا

فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم؛ وقد تعلمون ما أعد الله
للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، وأعلموا أن الدار الباقية، خير من الدار
الفاتنة؛ يقول الله عز وجل:
" ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون "
فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على
أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على
سباقها، وجللت نارا على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها؛ عند احتدام
خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة.
فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما اضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم،
وأنشأ أولهم يقول:

ياأخوتي إن العجوز الناصحة قد نصحتنا إذ دعتنا البارحة
مقالة ذات تبيان واضحة فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصائحة من آل ساسان كلابا نابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة وأنتم بين حياة صالحة
" أو موتة تورث غنما رابحة"

وتقدم فقاتل حتى قتل، ثم حمل الثاني وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد نصيحة منها وبرا بالولد
فبادروا الحرب حماة في العدد إما لفوز بارد على الكبد
أو ميتة تورثكم غنم الأبد في جنة الفردوس والعيش الرغد

وقاتل حتى استشهد.

ثم حمل الثالث وهو يقول:

والله لا نعصى العجوز حرفا قد أمرتنا حدبا وعطفا
نصحا وبرا صادقا ولطفا فباكروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفوا آل كسرى لفا أو تكشفوهم عن حماكم كشفا

وقاتل حتى استشهد.

ثم حمل الرابع وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخرم ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم أرد في الجيش جيش الأعجم ماض على الهول خضم خضرم
إما لفوز عاجل ومغنم أو لوفاة في السبيل الأكرم

وقاتل حتى قتل؛ رحمهم الله.

فبلغها الخبر، فقالت: الحمدلله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي ان يجمعني بهم في

مستقر رحمته.
فكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يعطي الخنساء أرزاق أولادها الأربعة؛ لكل
واحد مائتي درهم؛ حتى قبض رضي الله عنه.
حكاه أبو عمر بن عبد البر في ترجمة الخنساء
تعود إلى بقية أخبار القادسية؛ قال:
وجمع من الأسلاب والأموال مالم يجمع قبله مثله، وأمر سعد القعقاع وشرحبيل بأتباعهم،
وخرج زهرة بن الحوية التميمي في آثارهم في ثلثمائة فارس، فلحق الجالينوس، فقتله زهرة
وأخذ سلبه، وقتلوا أكثر الفرس وأسروهم.
قيل:
رثى شاب من النخع وهو يسوق ثمانين أسيراً من الفرس، وكان الرجل يشير إلى الفارسي
فياتيه فيقتله؛ وربما أخذ سلاحه فقتله به؛ وربما أمر الرجل فقتل صاحبه.
ولحق سلمان بن ربيعة الباهلي وعبد الرحمن بن ربيعة بطائفة من الفرس قد نصبوا راية
وقالا: لا نبرح حتى نموت.
فقتلهم سلمان ومن معه، وكان قد ثبت بعد الهزيمة بضعة وثلاثون كتيبة من الفرس،
استحيوا من الفرار، فقصدهم بضعة وثلاثون من رؤساء المسلمين، لكل كتيبة منها رئيس،
فقتلهم المسلمون.
وكتب سعد إلى عمر بالفتح، وبعده من قتلوا، ومن أصيب من المسلمين، وسمي من
يعرف، وبعث ذلك سعد بن عميلة الفزاري، واستأذنه فيما يفعل.
وأقام بالقادسية ينتظر
جوابه، فأمره بالمسير إلى المدائن، وأن يخلف النساء والصبيان بالعتيق، ويجعل معهم جنداً
كثيفاً، ويشركهم في كل مغنم؛ ماداموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم؛ ففعل.
قيل: وكانت وقعة القادسية في سنة ست عشرة. وقيل:
في سنة خمس عشرة، أوردها أبو جعفر الطبري في سنة أربع عشرة، وأوردهاا أبو الحسن
بن الاثير في تاريخه الكامل، في حوادث سنة أربع عشرة؛ وذكر الخلاف فيهمان والله
سبحانه وتعالى أعلم فنذكر ما كان بعد القادسية والله تعالى أعلم.
ماكان بعد القادسية
من الحروب والأيام يوم برس، ويوم بابل، ويوم كوثى.

وهذه الوقائع والأيام التي نذكرها في هذا الموضع تحت هذه الترجمة، قد أوردها أبو الحسن
علي بن الأثير - رحمه الله - في تاريخه الكامل في حوادث سنة خمس عشرة، كأنه رجح
قول أهل الكوفة: إن وقعة القادسية كانت في سنة خمس عشرة.
قال: لما فرغ سعد من القادسية أقام بها بعد الفتح شهرين، وكاتب عمر فيما يفعل، فكتب
إليه بالمسير إلى المدائن كما قدمنا، فسار من القادسية لأيام بقين من شوال، وكل الناس
فارس، قد تقل الله إليهم ما كان في عسكر الفرس، فوصلت مقدمة المسلمين برس عليها
عبد الله بن المعتم، وزهرة بن الحوية وشرحبيل بن السمط، فلقيهم بها بصبهري في جمع من
الفرس، فهزمهم المسلمون إلى بابل، وبها رؤساء القادسية: النخيرجان، ومهران الرازي،
والهرمزان وأشباههم.
وقد استعملوا عليهم الفيرزان، وقدم عليهم بصبهري منهزما من برس، فوقع في النهر، ومات
من طعنة، كان طعنه زهرة، ولما هزم بصبهري أقبل بسطام دهقان برس، فصالح زهرة،
وعقد للمسلمين الجسور، وأخبرهم بمن اجتمع ببابل من الفرس، فأرسل زهرة إلى سعد
يعرفه بذلك، فقدم سعد إلى برس، وسير زهرة في المقدمة، وأتبعه عبد الله وشرحبيل
وهاشماً، فنزلوا على الفيرزان ببابل، واقتتلوا، وانهزم الفرس، وانطلقوا على وجهين:
فسار الهرمزان نحو الأهواز، فأخذها، فأخذها، وأخرج الفيرزان نحو نهاوند، فأخذها
وبها كنوز كسرى.
وسار النخيرجان ومهران إلى المدائن، وقطع الجسر، وأقام سعد ببابل، وقدم زهرة بين يديه
بكير بن عبد الله الليثي، وكثير بن شهاب السعدي حين عبرا الصراة، وجاء زهرة فجاز
سوراً، وتقدم نحو الفرس وقد نزلوا بين كوثى والدير، وقد استخلف النخيرجان ومهران على
جنودهما شهريار، فنازلهم زهرة، فبرزوا لقتاله، وطلب شهريار المبارزة، فخرج إليه أبو نباتة
نايل بن جعتم الأعرجي، وكان من شجعان تميم، فظفر به وقتله، وأخذ فرسه وسواريه
وسلبه، وانهزم أصحابه، وأقام زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد، فقدم إليه نايلاً وألبسه

سلاح وسواريه، وأركبه برذونه، فكان أول عربي سور بالعراق. وأقام سعد بها أياماً.
وقيل: كانت هذه الوقائع في سنة ست عشرة. والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

بهرسير
وهي المدينة الغربية

قال: ثم مضى زهرة إلى بهرسير في المقدمات، فتلقاه شيرزاد دهقان ساباط بالصلح، فارسله إلى سعد فصالحه على الجزية، ولقي سعد كتيبة كسرى التي تدعى بوران، وكانوا يحلفون كل يوم ألا يزول ملك فارس ماعشنا، فهزمهم، فقتل هاشم بن عتبة المقرط، وهو أسد كان كسرى قد ألفه، فقبل سعد راس هاشم وبعثه في المقدمة إلى بهرسير، ووصلها سعد والمسلمون، فلما رأوا غيوان كسرى، كبر ضرار بن الخطاب، وقال: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وكبر الناس معه، فكانوا كلما وصلت طائفة كبروا، ثم نزلوا على المدينة، وكان نزولهم في ذي الحجة سنة خمس عشرة والله أعلم

فتح المدائن
الغربية وهي بهرسير

كان فتحها في صفر سنة ست عشرة. وذلك أن سعد بن أبي وقاص نزل عليها وحاصرها شهرين، ونصب عليها عشرين منجنيقاً، وقاتل أهلها قتالاً شديداً، وأرسل سعد الخيول، فأغازت على من ليس له عهد، فأصابوا مائة الف فلاح، فارسل سعد إلى عمر يستأذنه، فقال: من جاءكم ممن يعين عليكم فهو أمانهم، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به، فخلى سعد عنهم، وأرسل إلى الدهاقين ودعاهم إلى الإسلام أو الجزية ولهم الذمة؛ فتراجعوا.

قال: واشتد الحصار على أهل المدائن الغربية، حتى أكلوا السنانير والكلاب، فبينما هم يحاصرونهم إذا أشرف عليهم رسول، فقال: يقول لكم الملك: هل لكم إلى المصالحة على أن لنا مايلينا من دجلة إلى جبلنا، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم؟ أما شبعتم! لا أشبع الله بطونكم! فقال: له أبو مفزر الأسود بن قطبة، وقد أنطقه الفرس دجلة إلى المدائن الشرقية التي فيها الإيوان، فقال له من معه:

يا أبا مفزر، ماقلت للرسول؟ قال:
والله ما أدري، وأرجو أن أكون قد نطقت بالذي هو خير، فنادى سعد في الناس، فنهدوا
إليهم، فما ظهر على المدينة أحد ولا خرج إلا رجل ينادي بالأمان، فأمنوه؛ فقال لهم:
مابقي في المدينة أحد يمنعكم؛ فدخلوا فما وجدوا فيها غير الاساري وذلك الرجل،
فسألوه: لأي شيء هربوا؟ فقال:
بعث إليكم الملك بالصلح فأجبتموه: ألا صلح بيننا وبينكم أبدا حتى نأكل عسل أفريدون
بأترج كوثى؛ فقال الملك:
ياويلتيه، إن الملائكة تكلم على ألسنتهم ترد علينا، فساروا إلى المدينة القصوى، ودخل
المسلمون المدينة، وأنزلهم سعد المنازل، واله أعلم.
المدائن الشرقية
التي فيها إيوان كسرى
قال: وأقام سعد ببهرسير أياماً من صفر، ثم قصد المدائن، وقطع دجلة، وهي تقذف
بالزبد لكثرة المد؛ وكان سبب عبوره أن علجاً جاءه فقال: ما مقامك ؟ لايأتي عليك ثالث
حتى يذهب يزدجرد بكل شيء في المدائن، فهيجه ذلك على العبور، فقام وخطب الناس،
وقال:
إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، ويخلصون إليكم في
سفنهم إذا شاءوا، وليس ورائكم ما تخافون منه، فقد كفاكم الله أهل الأيام، وقد رأيت من
الرأي أن تجاهدوا العدو؛ إلا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم؛ فقالوا: جميعاً: عزم
الله لنا ولك على الرشد فافعل.
فندب الناس على العبور، وقال:
من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس، لكيلا يمنعوهم من العبور؟ فانتدب له
عاصم بن عمرو ذو البأس في ستمائة من أهل النجدات، فاستعمل عليهم عاصماً، فتقدمهم
عاصم في ستين فارساً، قد اقتحموا دجلة، فلما رآهم الأعاجم، وما صنعوا أخرجوا
للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليهم دجلة، فلقوا عاصماً وقد دنا من الفراض، فقال
عاصم: الرماح الرماح! أشرعوها، وتوخوا العيون، فالتقوا، فطعنهم المسلمون في عيونهم،

فولوا ولحقهم المسلمون، فقتلوا أكثرهم، ومن نجا صار أعور، وتلاحق الستمائة بالستين.
ولما رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها؛ أذن للناس في الاقتحام، وقال:
نستعين بالله، ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي
العظيم. واقتحم الناس دجلة يتحدثون كما يتحدثون في البر، وطبقوا دجلة حتى ما يرى
من الشاطئ شيء.
قال: ولم يكن بالمدائن أعجب من دخول الماء، وكان يدعى يوم الجراثيم، لا يبقى أحد
إلاانتشرت له جرثومة من الأرض يستريح عليها؛ حتى ما يبلغ الماء حزام فرسه، فعبروا
سالمين، لم يعدم منهم أحد، ولا عدم لأحد شيء إلا قدح لمالك بن عامر سقط منه فجرى
في الماء، ثم ألقته الريح إلى الشاطئ، فأخذه صاحبه، فلما رأى الفرس عبورهم خرجوا
هراباً نحو حلوان، وكان يزدجرد قد قدم عياله إليها قبل ذلك.
ولما هرب حمل أصحابه من بيت المال ما قدروا عليه مما خف، ومن النساء والذراري،
وتركوا في الخزائن من المتاع والثياب والألطاف مالا تدرك قيمته، وتركوا ما قد أعدوه
للحصار من الأطعمة والغنم والبقر، وكان في بيت المال ثلاثة آلاف ألف، أخذ منها رستم
عند مسيره إلى القادسية النصف، وبقي النصف.
وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال، وهي كتيبة عاصم بن عمرو، ثم كتيبة الخرساء
وهي كتيبة القعقاع بن عمرو، فأخذوا في سككها وأحاطوا بالقصر الأبيض وبه من بقي
من الفرس، فأجابوا إلى الجزية والذمة، فتراجع إليهم أهل المدائن على مثل عهدهم، ونزل
سعد القصر الأبيض، وسرح زهرة في آثارهم إلى النهروان، وسرح مقدار ذلك في كل جهة.
وكان سلمان الفارسي رائد المسلمين وراعيهم. دعا أهل بهرسير ثلاثاً، وأهل القصر
الأبيض ثلاثاً. واتخذ سعد إيوان كسرى مصلى، ولم يغير ما فيه من التماثيل، ولما دخل
الإيوان، قرأ: " كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين،
كذلك أورثناها قوما آخرين"
وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لايفصل بينهن، وأتم الصلاة لأنه نوى الإقامة، وكانت

أول جمعة أقيمت بالمدائن في صفر سنة ست عشرة.
غنائم أهل المدائن
وقسمتها
قال: وجعل سعد على الأقباض عمرو بن مقرن، وعلى القسمة سلمان بن ربيعة الباهلي،
فجمع ما في القصر والإيوان والدور، وأحصى مايأتيه به أهل الطلب، ووجدوا بالمدائن قباباً
تركية مملؤءة سلالاً مختومة برصاص فيها آنية الذهب والفضة، فكان الرجل يطوف ويبيع
الذهب بالفضة مثلاً بمثل، ورأوا كافورا كثيراً فحسبوه ملحاً فعجنوا به وجدوه مراً.
وأدرك الطلب مع زهرة جماعة من الفرس على جسر النهروان فازدحموا عليهم، فوقع منهم
بغل في الماء فأخذه المسلمون وفيه حلية كسرى وثيابه، وخرزاته ووشاحه، ودرعه
المجوهر. ولحق بعض المسلمين بغلين مع فارسين فقتلهما، وأخذ البغلين فأوصلهما إلى
صاحب الأقباض، وهو يكتب ما يأتيه به الناس، فاستوقفه حتى ينظر ماجاء به؛ فإذا على
أحدهما سفطان فيهما تاج كسرى مفسخاً، وكان حمله على اسطوانتين، وفيه الجوهر،
وعلى البغل الثاني سفطان فيهما ثياب كسرى من الديباج المنسوج بالذهب المنظوم
بالجوهر، وغير الديباج منسوجا منظوماً. وأدرك القعقاع فارسياً فقتله وأخذ منه عيبتين في
إحدهما خمسة اسياف، وفي الأخرى ستة أسياف، وأدرع منها درع كسرى، ومغافره
وسيفه، ودرع هرقل وسيفه، ودرع شوبين وسيفه، ودرع سياوخش وسيفه، ودرع النعمان
وسيفه، وبقية السيوف لهرمز وقباذ وفيروز.
وكان الفرس قد استلبوا أدراع ملوك الهند والترك والروم وسيوفهم لما غزوهم، فأحضر
القعقاع ذلك إلى سعد فخيره في الأسياف فاختار سيف هرقل، وأعطاه درع بهرام، ونفل
سائرها إلا بسيف كسرى وسيف النعمان، فبعث بهما إلى عمر بن الخطاب؛ لتسمع العرب
بذلك بعد أن حسبهما في الأخماس، وبعث بتاج كسرى وحليته وثيابه إلى عمر ليراه
المسلمون.
قال: وأدرك عصمة بن خالد الضبي رجلين معهما حماران، فقتل أحدهما وهرب الآخر،

وأخذ الحمارين وأتى بهما إلى صاحب الأقباض، فإذا على أحدهما سفطان في أحدهما
فرس من ذهب بسرج من فضة على ثفره ولبته الياقوت والزبرجد، ولجام كذلك، وفارس من
فضة مكللة بالجوهر، وفي الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب، كل ذلك منظوم
بالياقوت، وعليها رجل من ذهب مكلل بالجوهر، كان كسرى يصنعها على اسطوانتي
التاج.
وأدى المسلمون الأمانة في المغنم، ولما جمعت الغنائم خمسها سعد، وقسم مابقي من
الخمس والنفل بين الناس، وكانوا ستين ألفاً كلهم فارس، أصاب كلا منهم أثنا عشر ألفاً،
ونفل من الأخماس في أهل البلاء، وقسم المنازل بين الناس، وأحضر العيالات فأنزلهم في
الدور، فاقاموا بالمدائن؛ حتى نزلوا إلى الكوفة بعد فراغهم من جلولاء، وتكريت والموصل.
قال: وأرسل سعد في الخمس كل شيء يتعجب منه العرب، وأراد أن يخرج خمس القطيف
فلم تعتدل قسمته، فقال المسلمين: هل تطيب نفوسكم بأربعة أخماسه، ونبعق به إلى أمير
المؤمنين يضعه حيث يشاء؟ قالوا: نعم، فبعث به إلى عمر.
والقطيف: بساط واحد طوله ستون دراعاً، وعرضه مثل ذلك مقدار جريب. كانت
الأكاسرة إذا دهبت الرياحين بعد الشتاء شربوا عليه، فكأنهم في رياض، فيه طرق
كالقصور، وفصوص كالأنهار، أرضه مذهبة، وخلال ذلك فصوص كالدر، وفي حافاته
كالأرض المزروعة والمبقلة بالنبات والورق من الحرير على قضبان الذهب، وأزهاره الذهب
والفضة، وثماره الجوهر واشباه ذلك.
فلما وصل إلى عمر استشار المسلمين فيه، فأشاروا بقطعه، فقطعه بينهم، فاصاب علي
بن أبي طالب رضي الله عنه قطعة منه، فباعها بعشرين الفاً، ولم تكن أجود من غيرها.
وقعة جلولا
وفتح حلوان
كانت وقعة جلولا في اول ذي القعدة سنة ست عشرة، بينها وبين المدائن تسعة اشهر،
وسببها ان الفرس لما هربوا من المدائن انتهوا إلى جلولاء، فافترقت الطرق بأهل أذربيجان
والباب، وأهل الجبال وفارس، فقالوا:

إن افترقتم لم تجتمعوا أبداً، وهذا مكان يفرق بيننا، فهلموا فلنجتمعوا للعرب به، ولنقاتلهم
فإن كانت لنا فهو الذي نحب، وإن كانت الأخرى كنا قضينا الذي علينا، وابلينا عذراً.
فاجتمعوا واحتفروا خندقاً، واجتمعوا فيه على مهران الرازي، وتقدم يزدجرد إلى حلوان،
فبلغ ذلك سعداً، فارسل إلى عمر، فبعث إليه أن سرح هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى
جلولاء، وأجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو، إن هزم الله الفرس فاجعل القعقاع بين
السواد والجبل، وليكن الجند اثني عشر ألفاً. ففعل سعد ذلك.
وسار هاشم من المدائن في وجوه المهاجرين والأنصار وأعلام العرب، فمر ببابل مهروذ،
فصالحه دهقانها؛ على أن يفرش له جريب الارض دراهم ففعل، ثم قدم جلولاء فحاصرهم
في خنادقهم، وأحاط بهم، وطاولهم الفرس وجعلوا لا يخرجون إلا إذا أرادوا، وراجعهم
المسلمون نحو ثمانين يوماً، كل ذلك ينصر المسلمون عليهم، وجعلت الأمداد ترد من يزدجرد
إلى مهران، ومن سعد إلى المسلمين.
وخرج الفرس يوماً فقاتلوا قتالاً شديداً، وأرسل الله عليهم ريحاً حتى أظلمت عليهم
البلاد، فسقط فرسانهم في الخندق، فجعلوا فيه طرقاً تصعد منها خيلهم، ففسد الخندق،
فنهض المسلمون واقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله، ولا ليلة الهرير، إلا أنه كان أعجل.
وانتهى القعقاع من الوجه الذي زحف منه إلى باب الخندق، وأمر منادياً فنادى: يامعشر
المسلمين، هذا أميركم قد دخل الخندق، فأقبلوا إليه، ولا يمنعكم من بينكم وبينه من
دخوله، فحملوا وهم لا يشكون أن هاشماً في الخندق، فإذا هم بالقعقاع، فانهزم الفرس يمنة
ويسر، وأتبعهم المسلمون، فلم يفلت منهم إلا القليل، وقتل منهم يومئذ مائة ألف، فجللت
القتلى المجال، ومابين يديه وما خلفه فسميت جلولاء بما جللها من قتلاهم، وسار القعقاع في
الطلب حتى بلغ خانقين، فأدرك مهران الرازي فقتله، وأدرك الفيرزان، فنزل وتوفل في الجبل
فنجا، وأصاب القعقاع سبايا فأرسلهن إلى هاشم فقسمهن، فاستولدهن المسلمون، وممن
ينسب إلى ذلك السبي أم الشعبي.

قال: ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو الري، واستخلف على حلوان خسر
شنوم، فلما وصل القعقاع قصر شيرين خرج إليه خسر شنوم، وقدم إليه الزينبي دهقان
حلوان، وكان فتحها في ذي القعدة، وبقي القعقاع بها إلى أن تحول سعد إلى الكوفة، فلحقه،
واستخلف على حلوان قباذ، وكان أصله خراسانياً، وكتبوا إلى عمر بالفتح، واستأذنوه في
العبور فأبى، وقال: لوددت أن بين السواد والجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم،
حسبنا من الريف السواد، وإني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال.
قال: وجمعت الغنائم وقسمت بعد الخمس، فأصاب كل فارس تسعة آلاف، وتسعة من
الدواب، وقسم الفئ على ثلاثين ألفاً.
وقيل: إن الغنيمة كانت ثلاثين ألف الف، وبعث سعد بالخمس إلى عمر، وستة آلاف ألف،
وبعث الحساب مع زياد بن أبيه، فكلمه عمر فيما جاء له، فوصفه له، فقال له عمر: هل
تستطيع أن تقوم في الناس بمثل ما كلمتني؟ فقال: والله ما على الأرض شخص أهيب في
صدري منك، فكيف لا أقوى على هذا مع غيرك! فقام في الناس فتكلم بما أصابوا وبما
صنعوا، وبما يستأنفون من الانسياح في البلاد.
فقال عمر: هذا الخطيب المصقع، فقال: إن جندنا بالفعال أطلقوا ألسنتنا.
قال: ولما قدم الخمس على عمر قال: والله لا يجنه سقف حتى أقسمه، فبات عبد الرحمن
بن عوف وعبد الله بن الأرقم يحرسانه في المسجد، فلما أصبح عمر جاء في الناس
فكشف عنه، فلما جاء ونظر إلى ياقوته وزبر جده وجوهره بكى، فقال عبد الرحمن بن
عوف: ما يبكيك يا أمير المؤمنينظ فوالله أن هذا لموطن شكر.
فقال عمر: والله ماذاك يبكيني، وبالله ما أعطى الله هذا قوماً إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا
تحاسدوا إلا القى الله بأسهم بينهم.
ومنع عمر رضي الله عنه من قسمة السواد لتعذر ذلك بسبب الآجام والغياض، ومفيض
المياه، وما كان لبيوت النار، ولسكك البرد، وما كان لكسرى ومن معه، وخاف الفتنة بين
المسلمين فلم يقسمه، ومنع من بيعهن فلا يحل بيع شيء من أرض السواد ما بين حلوان

والقادسية.
قال: واشترى جرير ارضاً على شاطئ الفرات، فرد عمر ذلك الشراء وكرهه. والله تعالى
أعلم بالصواب، و إليه المرجع والمآب، وحسبنا الله ونعم الوكيل.
ولاية عتبة بن غزوان
البصرة وفتحه الأبلة
قد اختلف المؤرخون في وقت ولايته البصرة، وهل كانت من قبل عمر بن الخطاب أو قبل
سعد بن أبي وقاص بأمر عمر. فأما من يقول: إن ولايته من قبل عمر، فإنه جعلها في سنة
أربع عشرة، وأن نزوله البصرة كان في شهر ربيع الأول أو الآخر، بعثه عمر إليها، وكان
بالبصرة قطبة بن قتادة السدوسي يغير بتلك النواحي، كما يغير المثنى بالحيرة، فكتب إلى
عمر يعلمه مكانه؛ وأنه لو كان معه عدد يسير لظفر بمن قبله من العجم، فنفاهم عن
بلادهم. فكتب إليه عمر يأمره بالمقام والحذر، ووجه إليه شريح بن عامر أحد بنى سعد
بن بكر، فأقبل إلى البصرة ونزل بها قطبة، ومضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها
مسلحة الأعاجم، فقتلوه.
فبعث عمر عتبة بن غزوان، وقال له: إني قد استعملتك على ارض الهند وهي حومة من
حوامات العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن
الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو، فإذا قدم عليك
فاستشاره وأدع إلى الله، فمن أجابك فأقبل منه، ومن أبى بالجزية، وإلا فالسيف،
وأوصاه ثم قال له:
انطلق أنت ومن معك؛ حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب، وأدنى ارض العجم فاقيموا.
فسار عتبة ومن معه حتى إذا كانوا بالمربد تقدموا حتى بلغوا حيال الجسر، فنزلوا، فبلغ
صاحب الفرات خبرهم، فاقبل في اربعة آلاف، فالتقوا فقاتلهم، عتبة بعد الزوال وهو
خمسمائة، فقتلهم أجمعين، ولم يبق إلا صاحب الفرات، فأخذ أسيراً.
وأما من يقول: إن سعد بن أبي وقاص ارسله، فقال: إن البصرة مصرت في سنة ست

عشرة بعد جلولاء وتكريت، فأرسله سعد إليها بأمر عمر، وإن عتبة لما نزل البصرة أقام بها
نحو شهر، فخرج إليه أهل الأبلة، وكان بها خمسمائة أسوار يحمونها، وكانت مرفأ السفن من
الصين، فقاتلهم عتبة فهزمهم؛ حتى دخلوا المدينة ورجع عتبة إلى عسكره، والقى الله
الرعب في قلوب الفرس، فخرجوا عن المدينة وحملوا ماخف، وعبروا الماء، وأخلوا المدينة
ودخلها المسلمون وأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً، فاقتسموه بعد أن خمسة عتبة، وكان
المسلمون ثلثمائة، وكان فتحها في شهر رجب إو شعبان، ثم نزل موضع المدينة الرزق،
وخط موضع المسجد، وبناه بالقصب.
وكان أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبي بكرة، فلما ولد نحر أبوه جزوراً فكفتهم
لقلة الناس ثم جمع الله أهل دستميسان، فلقيهم عتبة فهزمهم وأخذ مرزبانها اسيراً، وأخذ
قتادة منطقته فبعث بها إلى عمر مع أنس بن حجية. فقال له عمر: كيف؟ فقال: انهالت
عليهم الدينا، فهم يهيلون الذهب والفضة، فرغب الناس في البصرة فأتوها، واستعمل عتبة
مجاشع بن مسعود على جماعة وسيرهم إلى الفرات استخلف المغيرة بن شعبة على
الصلاة؛ إلى أن يقدم مجاشع فإذا قدم فهو الأمير.
وسار عتبة إلى عمر، فطفر مجاشع بأهل الفرات. وجمع الفيلكان (عظيم من الفرس)،
فخرج إليه المغيرة بن شعبة، فلقيه بالمرغاب فاقتتلوا.
فقال نساء المسلمين: لو لحقنا بهم، بكنا معهم؛ فاتخذن من خمرهن رايات، وسرن إلى
المسلمين.
وكتب المغيرة إلى عمر بالفتح، فقال عمر لعتبة: من استعملت بالبصرة؟ فقال: مجاشع بن
مسعود
قال: أتستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر! وأخبره ما كان من المغيرة، وأمره أن
يرجع إلى عمله، فمات بالطريق. وقيل في وفاته غير ذلك.
وكان ممن سبي من ميسان يسار أبو الحسن البصري، وأرطبان جد عبد الله بن عون بن
أرطبان. والله سبحانه وتعالى اعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.
تكريت والموصل

وفي سنة ست عشر في جمادى فتحت تكريت؛ وذلك أن الأنطاق سار من الموصل إلى
تكريت، وخندق عليه ليحمي أرضه ومعه الروم وإياد، وتغلب والنمر والشهارجة، فبلغ
ذلك سعداً فكتب إلى عمر، فأمرهك أن سرح عبد الله بن المعتم، واستعمل على مقدمته
ربعي بن الأفكل، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة.
فسار عبد الله إلى تكريت، وحصر الأنطاق ومن معه اربعين يوماً، وتزاحفوا في المدة أربعة
وعشرين زحفاً، ثم ارسل عبد الله إلى العرب الذين مع الأنطاق يدعونهم إلى الإسلام،
فأسلموا، وأعلموا أن الروم قد نقلوا متاعهم إلى السفن، فأرسل إليهم: إذا سمعتم التكبير
فاعلموا أنا على أبواب الخندق، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة، وكبروا، واقتلوا من قدرتم
عليه، ففعلوا ذلك، وأخذت الروم السيوف من كل جانب.
وارسل عبد الله ربعي بن أفكل إلى الحصنين وهما نينوى وهو الحصن الشرقي، والموصل
وهو الحصن الغربي، وقال: اسبق الخبر، وسرح معه تغلب، وإياد، والنمر، فاظهروا الظفر
والغنيمة، وبشروهم، ووقفوا بالأبواب.
وأقبل بن الأفكل فاقتحم الحصن فسألوا الصلح، وصاروا ذمة، وقسمت الغنيمة، فكان
سهم الفارس ثلاثة آلاف، وسهم الراجل ألف درهم، وبعثوا بالأخماس إلى عمر، وولى
الموصل ربعي بن الأفكل، والخراج عرفجة بن هرثمة.
وقيل: إن فتح الموصل كان في سنة عشرين لما استعمل عمر عتبة بن فرقد لقصدها، وأنه
فتح المرج، وبانهذرا، وباعذرا، وحبتون، وداسن وجميع معاقل الأكراد، وقرى وبازبدي،
وجميع أعمال الموصل.
وقيل: إن عياض بن غنم لما فتح بلد أتى الموصل ففتح أحد الحصنين، وبعث عتبة بن
فرقد إلى الحصن الآخر، ففتحه على الجزية والخراج، والله سبحانه وتعالى أعلم.
فتح ماسيذان
لما رجع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من جلولاء إلى المدائن بلغ سعداً أن آذين بن
الهرمزان قد جمع جمعاً وخرج بهم إلى السهل، فأرسل إليهم ضرار بن الخطاب في جيش،
فالتقوا بسهل ما سبذان واقتتلوا، فأسرع المسلمون في المشركين، وأخذ ضرار آذين أسيراً

فقتله، ثم خرج في الطلب حتى انتهى إلى السيروان، فأخذ ماسبذان عنوة، وهرب أهلها في
الجبال، فدعاهم فاستجابوا له، وأقام بها حتى تحول سعد إلى الكوفة، فسار إليه،
واستخلف على ماسبذان بن الهذيل الأسدي، فكانت أحد فروج الكوفة.
وقيل: إن فتحها كان بعد وقعة نهاوند، والله أعلم.
فتح قرقيسيا
وفي سنة ست عشرة أيضاً، أرسل سعد بن أبي وقاص عمر بن مالك بن عتبة في جند،
وجعل على مقدمته الحارث الحارث بن يزيد العامري، فخرج نحو هيت، فنازل من بها، وقد
خندقوا عليهم، وكان أهل الجزيرة لما أمدوا هرقل على أهل حمص كما ذكرنا، بعثوا جنداً
إلي. أهل هيت، فلما رأى عمر اعتصامهم بخندقهم، ترك الأخبية على حالها، وخلف
عليهم الحارث في نصف الناس، وسار بالنصف الثاني إلى قرقيسيا، فجاءها على غرة
فأخذها عنوة، فأجابوا إلى الجزية. وكتب إلى الحارث: إن هم استجابوا فخل عنهم
فليخرجوا وإلا خندق على خندقهم خندقاُ، وأجعل أبوابه مما يليك حتى أرى رأيي.
فراسلهم، فأجابوا إلى العود إلى بلادهم، فتركهم، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وإليه
المرجع والمآب.
فتح الأهواز
ومناذر ونهر تيري
وفي سنة سبع عشرة فتحت الأهواز، ومناذر ونهرتيري، وقيل: كان في سنة ست عشرة،
وكان سبب هذا الفتح: أن الهرمزان، وهو أحد البيوتات السبعة من أهل فارس لما انهزم
يوم القادسية قصد خوزستان فملكها، وكان يغير على أهل بيسان، ودستميسان من
مناذر، ونهر تيري، فاستمد عتبة بن غزوان أمير البصرة سعداً، فأمده بنعيم بن مقرن
ونعيم بن مسعود، وأمرهما أن يأتيا أعلى ميسان ودستميسان حتى يكونا بينهم وبين نهري
تيري، ووجه عتبة بن غزوان سلمى بن القين، وحرملة بن مريطة - وكان من المهاجرين –
فنزلا على حدود ميسان، ودستميسان بينهم وبين مناذر، ودعوا بنى العم، فخرج إليها

غالب الوائلى، وكليب ابن وائل والكليبي، تواعدوا في يوم، أن سلمى وحرملة يخرجان إلي
الهرمزان، وأن غالباً وكليباً يثور أحدهما بمناذر، والآخر بنهرتيري، فلما كان في ليلة الموعد
خرج سلمى وحرملة صبيحتها، وانهضا نعيما ومن معه، والتقوا هم والهم مزان بين دلث
ونهر نيري، واقتتلوا؛ فبنما هم على ذلك أقبل المدد من قبل غالب وكليب، وأتى الهرمزان
الخبر بأخذ مناذر ونهرتيري، فانهزم بمن معه، فقتل المسلمون منهم ماشاءوا، واتبعوهم
حتى وقفوهم على شاطئ دجيل، وأخذوا مادونه، وعسكروا بجبال سوق الاهواز، وصار
دجيل، وأخذوا مادونه، وعسكروا بجبال سوق الأهواز، وصار دجيل بين الهرمزان
والمسلمين، فعندها طلب الهرمزان الصلح، فاستأمروا عتبة، فأجاب إلى ذلك على الأهواز
كلها مهرجان قدق ما خلا نهر تيري مناذر، وما غلبوا عليه من سوق الأهواز؛ فإنه لايرد
عليهم، وجعل عتبة سلمى بن القين على مناذر مسلحة، وأمرها إلى غالب، وجعل حرملة
على نهر تيري، وأمرها إلى كليب، فكان سلمى وحرملة على مسالح البصرة، ثم وقع بين
غالب وكليب وبين الهرمزان اختلاف في حدود الأرضين، فحضر سلمى وحرملة لينظرا
فيما بينهم، فوجدا الحق بيد غالب وكليب فحالا بينه وبينهما، فكفر الهرمزان ومنع ما
قبله، واستعان بالأكراد وكثف جنده.
فكتب سلمى ومن معه إلى عتبه بذلك، فكتب إلى عمر فأمره بقصده، وأمد المسلمين
بحرقوص بن زهير السعدي، وكانت له صحبة، وأمره على القتال، وما غلب عليه.
وسار الهرمزان ومن معه، وسار المسلمون إلى جسر سوق الأهواز وأرسلوا إليه: إما أن
تعبر إلينا أو تعبر إليك. قال: اعبروا إلينا، فعبروا فوق الجسر، واقتتلوا ممايلي سوق
الأهواز، فانهزم الهرمزان وسار إلى رامهرمز، وفتح حرقوص سوق الأهواز ونزل بها،
واتسقت له بلادها إلى تستر، ووضع الجزية، وكتب بالفتح إلى عمر بن الخطاب - رضي
الله عنه - وبعث إليه بالأخماس.
صلح الهرمزان
وأهل تستر مع المسلمين:

ولما انهزم الهرمزان من سوق الأهواز، جهز حرقوص جزء ابن معاوية في أثره، فأتبعه وقتل
من أصحابه حتى انتهى إلى قرية الشغر، فأعجزه الهرمزان، فمال جزء إلى دورق، وهي
مدينة سرق، فأخذها صافية، ودعا من هرب إلى الجزية، فأجابوه.
وكتب إلى عمر وعتبه بذلك، فكتب عمر إليه وإلى حرقوص بالمقام فيما غلبا عليه حتى
يأمرهما بأمره، فعمر جزء البلاد، وشق الأنهار، وأحيا الأموات، وراسلهم الهرمزان في طلب
الصلح، فأجاب عمر إلى ذلك، وأن يكون ما أخذه المسلمون بأيديهم، فاصطلحوا على
ذلك.
ونزل حرقوص جبل الأهواز، فشق على الناس الاختلاف إليه، فبلغ ذلك عمر، فأمره
بنزول السهل، وألا يشق على مسلم ولا معاهد، وبقي حرقوص إلى يوم صفين، ثم صار
حرورياً وشهد النهروان مع الخوارج. والله تعالى أعلم بالصواب، وحسبنا الله ونعم
الوكيل.
فتح رامهرمز
قد اختلف الناس في وقت هذا الفتح، فقيل: كان في سنة سبع عشرة. وقيل: سنة تسع
عشرة. وقيل: في سنة عشرين.
وكان سببه أن يزدجرد وهو بمرو لم يزل يثير أهل فارس، أسفاً على ما خرج من ملكهم،
فتحركوا وتكاتبوا هم وأهل الأهواز وتعاقدوا على النصرة، فنمى الخبر إلى حرقوص بن
زهي، وجزء وسلمى وحرمله، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك.
فكتب عمر إلى سعد: أن أبعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً مع النعمان ابن مقرن وعجل،
فلينزلوا بإزاء الهرمزان ويتحققوا أمره.
وكتب إلى أبو موسى الأشعري، وهو على البصرة: أن أبعث إلى الأهواز جنداً كثيفاً،
وأمر عليهم سهل بن عدي، أخا سهيل، وأبعث معه البراء بن مالك، وعرفجة بن هرثمة
وغيرهم، وعلى أهل الكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم.
فخرج النعمان بن مقرن في أهل الكوفة، وسار إلى الأهواز على البغال، ويجنبون الخيل،

فخلف حرقوصاً وسلمة وحرمله، وسار نحو الهرمزان وهو برامهرمز. فلما سمع الهرمزان
بمسير النعمان إليه، بادر رجاء أن يقتطعه، فالتقيا بأربك(موضع الأهواز)، واقتتلوا قتالاً
شديداً، فهزم الله عز وجل الهرمزان، فترك رامهرمز، ونزل تستر، وسار النعمان إلى رامهرمز
فنزلها وصعد على إيذج فصالحه تيرويه عليها ورجع إلى رامهرمز، وأقام بها،ووصل أهل
البصرة فنزلوا سوق الأهواز، وهم يريدون رامهرمز.
فأتاهم خبر الوقعة ومسير الهرمزان إلى تستر، فسارو نحوه، وسار أيضا النعمان وحرقوص
وسلمى وحرمله وجزء، فاجتمعوا على تستر، وبها الهرمزان وجنوده من أهل فارس
والجبال والأهواز، وهم في الخنادق، وأمدهم عمر رضي الله عنه بأبي موسى الأشعري،
وجعله على أهل البصرة، وعلى جميع الناس أبوسبرة، فحاصروهم أشهراً، وأكثروا فيهم
القتل.
وقتل البراء بن مالك في هذا الحصار مائة مبارز سوى من قتل في غير المبارزة، وقتل مثله
مجزأة بن ثور وكعب بن ثور، وزاحفهم المسلمون أيام تستر ثمانين زحفاً يكون مره لهم ومرة
عليهم، فلما كان آخر زحف فيها، واشتد القتال، قال المسلمون: يا براء، أقسم على ربك
ليهزمنهم، وكان مجاب الدعوة فقال: اللهم أهزمهم لنا، واستشهدني، فهزموهم حتى أدخلوا
خنادقهم، ثم اقتحموها عليهم، فدخلوا مدينتهم، وأحاط بها المسلمون، فضاقت المدينة
بهم. فبينما هم كذلك إذ خرج إلى النعمان رجل يستأمنه على أن يدله على مدخل
يدخلون منه، ورمى في ناحية أبي موسى بسهم مكتوب عليه: إن أمنتموني دللتكم على
مكان تأتون منه المدينة، فأمنوه في سهم، ورمى إليهم بسهم آخر وقال: أسلكوا من قبل
مخرج الماء؛ فإنكم ستفتحونها. فندب أبو موسى الناس فانتدبوا، وندب النعمان أصحابه
مع الرجل الذي جاءهم، فالتقوا هم وأهل البصرة على مخرج الماء، فدخلوا في السرب، ولما
دخلوا المدينة كبروا وكبر المسلمون من خارج، وفتحت الأبواب فاجتلدوا فيها، فأناموا كل
مقاتل.

وقصد الهرمزان القلعة، فتحصن بها، ولحق به جماعة، وطاف به الذين دخلوا البلد، فنزل
إليهم على حكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأوثقوه واقتسموا ما أفاء الله عليهم،
فكان قسم الفارس ثلاثة آلاف، والراجل ألفاً.
وجاء صاحب السهم والرجل الذي خرج بنفسه فأمنوهما ومن أغلق بابه معهما.
وخرج أبوسبرة في أثر المنهزمين إلى السوس، فنزل عليها، ومعه النعمان وأبو موسى، وكتبوا
إلى عمر، فكتب برد أبي موسى إلى البصرة، فانصرف إليها، وأرسل أبو سبرة وفدا إلى
عمر رضي الله عنه، فيهم: أنس بن مالك والأحنف بن قيس، ومعهم الهرمزان فقدموا به
المدينة وألبسوه كسوته من الديباج المذهب، وتاجه كان مكللاً بالياقوت وعليه حليته؛ ليراه
عمر والمسلمون.
فوجدوا عمر في المسجد متوسداً برنسه، وكان قد لبسه لوفد قدم عليه من الكوفة، فلما
انصرفوا توسده ونام، فجلسوا وهو نائم والدرة في يده.
فقال الهرمزان: أين عمر؟ فقالوا: هو ذا، فقال: أين حرسه وحجابه؟ فقالوا: ليس له
حارس ولا حاجب ولا كاتب. فقال: ينبغي أن يكون نبياً، قالوا: بل يعمل الأنبياء وكثر
الناس فاستيقظ عمر واستوى جالساً، ثم نظر إليه، وقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، فقال:
الحمد لله الذي أذل بالإسلام هذا واشباهه، فأمر بنزع ما عليه، فنزعوه وألبسوه ثوباً
صفيقاً. فقال له عمر: كيف رأيت عاقبة الغدر، وعاقبة أمر الله ! فقال: يا عمر، إنا وإياكم
في الجاهلية، كان الله قد خلى بيننا وبينكم فغلبناكم، فلما كان الأمر معكم غلبتمونا. ثم
قال له عمر: ما حجتك وما عذرك في انتفاضك مرة بعد أخرى؟ قال: أخاف أن تقتلني
قبل أن أخبرك. قال: لا تخف ذلك، واستسقى ماءً، فأتى به في قدح غليظ. فقال: لو مت
عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا، فأتى به في إناء يرضاه. فقال: إنى أخاف أن أقتل
وأنا أشرب. فقال له عمر: لا بأس عليك حتى تشربه، فأكفاه؛ فقال عمر: أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش.
فقال: لا حاجة لي في الماء؛
وإنما أردت أن أستأمن به. قال: فإنى قاتلك، قال: قد أمنتني. قال: كذبت، قال أنس:

صدق يا أمير المؤمنين، قد أمنته. فقال: يا أنسك أنا أؤمن قاتل مجزأه أبن ثور والبراء بن
مالك! وكان الهرمزان قتلهما بيده في هذه الوقعة، ثم قال، والله لتأتيني بمخرج أو لأعاقبنك،
قال: قد قلت لا بأس عليك حتى تخبرني وحتى تشرب، فقال عمر رضي الله عنه:
خدعتني، والله لا أنخدع إلا أن تسلم، فأسلم، ففرض له ألفين في كل سنة، وأنزله المدينة
والله أعلم.
فتح السوس
ولما نزل أبو سبرة على السوس في سنة سبع عشرة بعد فتح تستر كان بها شهريار أخو
الهرمزان، فأحاط المسلمون بها وناوشوهم القتال مرات، كل ذلك يصيب أهل السوس في
المسلمين، فأشرف عليهم الرهبان والقسيسون، فقالوا: يا معشر العرب، أم مما عهد إلينا
علماؤنا أن السوس لا يفتحها إلا الدجال، أو قوم فيهم الدجال، فإن كان فيكم فستفتحونها،
وكان صاف بن صياد مع المسلمين في خيل النعمان. ثم ناوش أهلها المسلمين مرة،
وصاحوا بهم وغاظوهم، فأتى صاف باب السوس فدقه برجله، فقال: أتفتح، وهو غضبان
فتقطعت السلاسل، وتكسرت الأغلاق، وتفتحت الأبواب، ودخل المسلمون،وألقى
المشركون بأيديهم، وتنادوا: الصلح الصلح! فأجابهم المسلمون إلى ذلك بعد أن دخلوها
عنوة واقتسموا ما أصابوا، ثم افترقوا.
فسار النعمان حتى أتى أهل نهاوند، وكان كتاب عمر قد ورد بصرفه إليها لما تجمعت
الأعاجم بها، وسار المقترب، فنزل على جند يسابور، والله سبحانه تعالى أعلم، وحسبنا
الله ونعم الوكيل.
مصالحة جند يسابور
قال: وسار المسلمون عن السوس في سنة سبع عشرة، فنزلوا جند يسابور وزر بن عبد
الله يحاصرهم، فأقاموا بها، فلم يفاجأ الناس إلا وقد فتحت الأبواب، وأخرجوا أسواقهم،
وخرج أهلها، فسألهم المسلمون، فقالوا: أرسلتم إلينا بالأمان فقبلناه وأقررنا بالجزية على أن
تمنعونا فقالوا: ما فعلنا، فإذا عبد يدعى مكنفاً كان أصله منها، فعل هذا، فقال المسلمون،

هو عبد؟ قالوا: نعم، قالوا: نحن لا نعرف العبد من الحر، فإن شئتم فأغدروا، فكتبوا
بذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأجاز ذلك، وانصرفوا عنهم، والله تعالى أعلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل.
انسياح الجيوش
الإسلامية في بلاد فارس:
وسنة سبع عشرة أذن عمر رضي الله عنه للمسلمين في الانسياح في بلاد فارس، وكان
سبب ذلك أن عمر لما أتى بالهرمزان قال للوفد: لعل المسلمين يؤذون أهل الذمة، فلهذا
ينتقضون بكم! قالوا: ما نعلم لا وفاءً. قال: فكيف هذا! فلم يشفه أحد، قال له
الأحنف: يا أمير المؤمنين، إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد، وإن ملك فارس بين أظهرهم،
ولا يزالون يقاتلوننا مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما
صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم، وأن ملكهم هو
الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دابهم حتى تأذن لنا فنيسح في بلادهم، وننزيل ملكهم، فهناك
ينقطع رجاء أهل فارس. فقال: صدقتني والله، ورجع إلى قوله، وانتهى إلى رأيه، وأذن
للمسلمين في الانسياح. فأمر أبا موسى الأشعري أن يسير من البصرة إلى منقطع ذمة
البصرة، فيكون هنالك حتى يأتيه أمره، وبعث بألوية من ولاة مع سهيل بن عدي، فدفع لواء
خراسان إلى الأحنف بن قيس، ولواء أزدشير خرة وسابور إلى مجاشع بن مسعود
السلمي، ولواء إصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي ولواء فساودرا بجرد إلى سارية
ابن زنيم الكناني، ولواء كرمان إلى سهيل بن عدي، ولواء سجسنان، إلى عاصم بن عمرو،
ولواء مكران إلى الحكم بن عمير التغلبي، فخرجوا ولم يتهيأ مسيرهم إلى سنة ثماني عشرة،
وأمدهم عمر بنفر من أهل الكوفة، فأمد سهيل بن عدي بعبد الله بن عبد الله بن عتبان،
وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر وبعبد الله بن عقيل وبربعي بن عامر، وأمد عاصم بن
عمرو بعبد الله بن عمير الأشجعي، وأمد الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق.

وقيل: كان ذلك في سنة إحدى وعشرين. وقيل: في سنة اثنتين وعشرين، وسنذكره إن
شاء الله تعالى عند ذكرنا الفتوح هذه الجهات والمسير إليها، والله تعالى أعلم.
غزوة فارس
من البحرين.
كانت هذه الغزوة في سنة سبع عشرة، وكان عمر رضي الله عنه يقول لما أخذت الأهواز
وما يليها: وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا نصل إليهم منه، ولا يصلون إلينا.
وكان العلاء بن الحضرمي على البحرين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فعزله عمر، ثم
أعاده، وكان يناوئ سعد بن أبي وقاص، ففاز العلاء في قتال أهل الردة بالفضل، فلما ظفر
سعد بأهل القادسية، وأزاح الأكاسرة جاء بأعظم مما فعله العلاء. فأراد العلاء أن يصنع في
الفرس شيئاً، فلم ينظر في الطاعة والمعصية بجد، وكان عمر رضي الله عنه نهاه وغيره عن
الغزو في البحر.
فندب العلاء الناس إلى فارسن فأجابوه، وفرقهم جنداً، فجعل على أحدها الجارود بن
المعلى، وعلى الآخر سوار بن همام، وعلى الآخر خليد بن المنذر بن ساوي، وخليد على
جميع الناس، وحملهم في البحر إلى فارس، فخرجوا من البحر إلى اصطخر، وبإزائهم أهل
فارس، وعليهم الهربذ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً بمكان
يدعى طاوس، فقتل ابن السوار والجارود، وكان خليد أمر أصحابه أن يقاتلوا رجالة، فقتلوا
من الفرس مقتلة عظيمة، ثم خرجوا يريدون البصرة، ولم يجدوا في الرجوع إلى البحر سبيلاً،
وأخذت الفرس عليهم طريقهم، فعسكروا وامتنعوا.
فلما بلغ عمر ماصنع العلاء، أرسل إلى عتبة بن غزوان يأمره بإنفاذ جيش كثيف إلى
المسلمين بفارس قبل أن يهلكوا، وقال: إنى قد ألقى في روعى كذا وكذا، نحو الذي وقع،
وأمر العلاء بأثقل الأشياء عليه، وهو تأمير سعد عليه.
فشخص العلاء إلى سعد بمن معه، وأرسل عتبة أثني عشر ألف مقاتل، فيهم: عاصم بن
عمرو، وعرفجة بن هرثمة والأحنف ابن قيس وغيرهم، فخرجوا على البغال يجنبون

الخيل، وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم حتى التقى بخليد، وتوالت الأمداد، ففتح الله على
المسلمين، وأصابوا من المشركين ما شاءوا. والله تعالى أعلم.
وقعة نهاوند
وفتحها
كانت هذه الوقعة في سنة إحدى وعشرين، وقيلك في سنة ثماني عشرة. وقيل: في سنة
تسع عشرة.
وكان الذي هيج أمر نهاوند أن المسلمين لما خلصوا جند العلاء، وفتحوا الأهواز، وكاتب
الفرس ملكهم، وهو بمرو، وحركوه، فكاتب الملوك ما بين الباب والسند وخراسان وحلوان،
فاجتمعوا بنهاوند، ولما وصلها أوائلهم بلغ سعداً الخبر، فكتب به إلى عمر، وثار بسعد
أقوام ووشوا به، والبوا عليه، وسعوا إلى عمر ولم يشغلهم ما نزل بالناس عنه.
فقال عمر: والله لا يمنعني ما نزل بكم من النظر فيما لديكم، وكان من عزل سعد مانذكره
إن شاء الله تعالى في حوادث السنين.
وقدم سعد على عمر، وقد استخلف على الكوفة عبد الله بن عبد الله عتبان، فأقره
عمر.
قال: ونفرت ملوك الأعاجم لكتاب يزدجرد، واجتمعوا بنهاوند على الفيرزان في خمسين
ومائة ألف مقاتل. وكان سعد قد كاتب عمر بالخبر كما ذكرنا، ثم شافهه به لما قدم عليه،
وقال له: إن أهل الكوفة يستأذنونك في الانسياح: وأن يبدءوهم ليكون أهيب لهم على
عدوهم.
فجمع عمر الناس واستشارهم، وقال: هذا يوم له ما بعده، وقد هممت أن أسير فيمن
قبلي ومن قدرت عليه، فأنزل منزلاً وسطاً بين هذين المصرين، ثم استنفرهم فأكون لهم
ردءاً، حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما أحب؛ فإن فتح الله تعالى عليهم صببتهم في
بلدانهم.
فقال له طلحة بن عبيد الله: ياأمير المؤمنين، قد أعلمتك الأمور، وعجمتك البلايا،
وأحتنكتك التجارب، وأنت وشأنك، وأنت ورأيك، لا ننبو في يديك، ولا نكل عليك، إليك
هذا الأمر، فمرنا نطع، ودعنا نجب، وأحملنا نركب، وقدنا ننقذ؛ فإنك ولي هذا الأمر؛ وقد

بلوت وجربت واختبرت، فلم ينكشف شيء من عواقب قضاء الله لك إلا عن خيار. ثم
عاد.
فعاد عمر لمقالته، فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال ارى أمير المؤمنين أن تكتب
إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم، وإلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل
الحرمين إلى الكوفة والبصرة، فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين؛ فإنك إذا سرت قل عندك
ما قد تكاثر من عدد القوم. وقد كنت أعز عزا، وأكثر. ياأمير المؤمنين إنك لا تستبقي
بعد نفسك من العرب باقية ولا تمتنع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز. إن هذا يوم له
مابعده من الأيام، فأشهده برأيك وأعوانك، ولا تغب عنه.
وجلس.
فعاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمقالته، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه،
فقال: أما بعد، ياأمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم، سارت الروم إلى
ذراريهم، وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم، سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإن شخصت
من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من اطرافها، وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك
أهم إليك مما بين يديك من العورات، والعيالات. أقرر هؤلاء في أمصارهم، وأكتب لأهل
البصرة أن يتفرقوا ثلاث فرق، فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل العهد؛ حتى لا
ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى أخوانهم بالكوفة مدداً لهم. إن الأعاجم إ، ينظروا إليك قالوا:
هذا أمير العرب في أصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك. وأما ماذكرت من مسير القوم
فالله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما تكره. وأما عددهم، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة؛ ولكن
بالنصر فقال عمر: هذا هو
الرأي، وكنت أحب أن أتابع عليه.
وقيل: إن طلحة وعثمان أشارا عليه بالمقام، والله تعالى أعلم.
ثم قال عمر: أشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر، وليكن عراقياً.
فقالوا: أنت أعلم
بجندك، وقد وفدوا عليك. فقال:
والله لأولين أمرهم رجلاً ليكون، أول الأسنة إذا لقيها غداً.
فقيل من هو؟ قال: النعمان
بن مقرن المزني. فقالوا: هو لها.

وكان النعمان يومئذ معه جمع من أهل الكوفة قد افتتحوا جند يسابور والسوس كما
قدمنا، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يأمره بالمسير إلى ماه، فيجمع الجيوش عليه، فإذا
اجتمعوا سار بهم إلى الفيرزان ومن معه.
وقيل: بل كان النعمان بكسكر، فسأله أن يعزله ويبعثه إلى جيش من المسلمين، فكتب إليه
عمر يأمره بنهاوند، فسار، وكتب عمر إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان أن يستنفر الناس
مع النعمان.
فندب الناس، فخرجوا وعليهم حذيفة بن اليمان، ومعه نعيم ابن مقرن، فقدموا على
النعمان، وتقدم عمر إلى الجند الذين كانوا بالأهواز أن يشغلوا الفرس عن المسلمين، وعليهم
المقترب، وحرمله، وورقاء، فأقاموا بتخوم أصفهان، وقطعوا أمداد فارس عن أهل نهاوند،
واجمع الناس على النعمان، وفيهم حذيفة بن اليمان، وابن عمر، وجرير بن عبد الله البجلي
والمغيرة بن شعبة، وغيرهم.
فرحل النعمان وعبى أصحابه وهم ثلاثون ألفاً، فجعل على مقدمته نعيم بن مقرن، وعلى
مجنبته حذيفة وسويد بن مقرن، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو، وعلى الساقة مجاشع بن
مسعود.
وقد توافت إليه أمداد المدينة، فيهم المغيرة بن شعبة، فانتهوا إلى الأسبيذهان، والفرس
وقوف على تعبيتهم، وأميرهم الفيرزان، وعلى مجنبته الزردق ويهمن جاذويه، وقد توافى
إليه بنهاوند كل من غاب عن القادسية. فلما رآهم النعمان كبر وكبر معه الناس، فتزلزلت
الأعاجم، وحطت العرب الاثقال، وضرب فسطاط النعمان، فابتدره أصحاب الكوفة، من
كان من أشرافها، فضربوه، منهم: حذيفة ابن اليمان وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة،
وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب، وجرير بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس
الكندي وسعيد بن قيس الهمذاني، ووائل ابن حجر وغيرهم، فلي ير بناة فسطاط بالعراق
كهؤلاء، وأنشب النعمان القتال بعد حط الأثقال فاقتتلوا يومي الأربعاء والخميس، والحرب
بينهم سجال، ثم أنجزوا في خنادقهم يوم الجمعة وحصرهم المسلمون، وأقاموا عليهم ماشاء

الله، والفرس بالخيار إن شاءوا خرجوا، وإن شاءوا أقاموا، فخاف المسلمون أن يطول
أمرهم؛ حتى إذا كان يوم الجمعة تجمع أهل الرأي من المسلمين، وقالوا: نراهم علينا بالخيار،
وأتوا النعمان في ذلك، وهو يروي في الذي رأوا فيه، فأخبروه، فبعث إلى من بقي من أهل
النجدات والرأي، فأحضرهم، وقال: قد ترون المشركين واعتصامهم بخنادقهم ومدنهم،
وأنهم لا يخرجون إلينا إلا إذا شاءوا، ولا يقدر المسلمن على إخراجهم، وقد ترون الذي
فيه المسلمون من التضايق، فما الرأي الذي به نستخرجهم إلى المناجزة، وترك التطويل؟
فتكلم عمرو بن ثبى، وكان اكبر الناس يومئذ سناً وكانوا يتكلمون على الاسنان،فقال:
التحصن عليهم أشد من المطاولة عليكم، فدعهم وقاتل من أتاك منهم، فردوا عليه رأيه
جميعاً.
وتكلم عمر بن معدي كرب فقال: ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم، فردوا جميعاً عليه رأيه،
وقالوا: إنما تناطح بنا الجدران، وهي أعوان علينا.
فقال طليحة بن خويلد الاسدي: أرى أن تبعث خيلاُ مؤدية لينشبوا القتال، فإذا اختلطوا
بهم رجعوا إلينا استطراد، فإنا لم نستطرد لهم في طول ما قاتلناهم، فإذا رأوا ذلك طمعوا
وخرجوا علينا فقاتلناهم حتى يقضي الله فيهم وفينا ماأحب، فأمر النعمان القعقاع بن
عمرو، وكان على المجردة، فأنشب القتال، وأخرجهم من خنادقهم كأنهم جبال من حديد،
وقد تواثقوا ألا يفروا وقرن بعضهم؛ لئلا ينهزموا، فلما خرجوا نكص القعقاع، فاغتنمها
الأعاجم ففعلوا كما ظن طليحة. وقالوا: هي هي.
ولحق القعقاع بالناس، وانقطع الفرس عن حصنهم، وأمر النعمان أصحابه أن يلزموا الأرض
ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، ففعلوا، واستتروا بالحجف من الرمي، وأقبل المشركون يرمونهم
حتى أفشوا فيهم الجراح، والنعمان ينتظر بالقتال أحب الساعات كانت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم؛ ذلك عند الزوال، فلما كان قريباً من تلك الساعة ركب النعمان فرسه،
وسار في الناس يرضهم على القتال، ويذكرهم يمنيهم الظفر، وقال: إنى مكبر ثلاثاً، فإذا

كبرت الثالثة فإنى حامل، فأحملوا، فإن قتلت فالأمير بعدي حذيفة، فإن قتل ففلان، حتى
عد سبعة أخرهم المغيرة، ثم قال: اللهم أعزز دينك بنصر عبادك. وقيل: بل قال: اللهم إني
أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وأقبضني شهيداً.
فبكى الناس ثم رجع إلى موقفه، فكبر ثلاثاً، والناس سامعون مطيعون مستعدون للقتال،
وحمل وحمل الناس، وانقضت رايته نحوهم انقضاض العقاب، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يسمع
بوقعة كانت أشد منها، وصبر المسلمون صبراً عظيماً، وانهزم الأعاجم، وقتل منهم ما بين
الزوال والإعتام ما طبق أرض المعركة حتى زلق الناس والدواب في الدماء، فلما أقر الله عين
النعمان بالفتح استشهد، زلق به فرسه فصرع. وقيل: بل رمي بمسهم في خاصرته فمات،
فسجاه أخوه نعيم بن مقرن بثوب، وأخذ الراية وناولها حذيفة، وتقدم إلى موضع النعمان.
وقال المغيرة: اكتموا مصاب أميركم، لئلا يهن الناس، ودام القتال في الفرس حتى أظلم الليل،
فانهزموا، ولزمهم المسلمون وعمي عليهم قصدهم، فأخذوا نحوا اللهب الذي كان دونه،
فوقعوا فيه، فكان الواحد منهم يقع عليه ستة، بعضهم على بعض في قياد واحد فيقتلون
جميعاً، وعقرهم حسك الحديد، فمان منهم في اللهب مائة ألف أو يزيدون سوى من قتل
منهم في المعركة.
وقيل: قتل في اللهب ثمانون ألفاً، وفي المعركة ثلاثون ألفاً سوي ن قتل في الطلب، ولم يفلت إلا
الشريد، نجا الفيرزان من الصرعى، فهرن نحو همذان، وأتبعه نعيم بن مقرن، وقدم القعقاع
أمامه، فأدركه بثينة همذن، وهي إذ ذاك مشحونة من بغال وحمر موقرة عسلاً.
فحبسه الدواب فلما لم يجد طريقاً نزل عن دابته، وصعد في الجبل، فأدركه القعقاع، فقتله
المسلمون على الثنية، وقالوا:إن لله جنوداً منها العسل، واستاقوا تلك الدواب بأحمالها،
وسميت الثنية ثنية العسل، ودخل المنهزمون همذان، والمسلمون في آثارهم، فنزلوا عليها،
وأخذوا ما حولها، فلما رأى ذلك خسر شنوم استأمتهم.
ولما تم الظفر للمسمين جعلوا يسألون عن أميرهم النعمان، فقال لهم أخوه معقل: قد أقر الله

عينه بالفتح وختم له بالشهادة، فأتبعوا حذيفة، ودخل
المسلمون نهاوند يوم الوقعة بعد
الهزيمة واحتووا على مافيها من الأمتعة وغيرها وما حولها من
الأسلاب والأثاث وجمعوه
إلى صاحب الأقباض، وهو السائب بن الأقرع.
وانتظروا إخوانهم الذي على همذان مع نعيم والقعقاع، فأتاهم
الهربذ صاحب بيت النار،
وقال لحذيفة، أتؤمنني ومن شئت، على أن أخرج لك ذخيرة
لكسرى تركت عندي لنوائب
الزمان؟ قال: نعم، فأحضر جوهراً نفيساً في سفطين،
فأرسلوهما مع الأخماس إلى عمر
رضي الله عنه بعد أن نفل حذيفة منها، وأرسل مابقي مع
السائب بن الأقرع الثقفي.
قال السائب: فلما فرغت القسمة احتملت السفطين، وجئت
بهما إلى عمر، فإذا هو قد
خرج يتوقع الأخبار، وكان قد رأى الواقعة فبات يتململ، فقال
ماوراءك؟ فقلت: فتح الله
على المسلمين، واستشهد النعمان بن مقرن، فأعظم الفتح،
واسترجع على النعمان وبكى
حتى نشج، ثم أخبرته بالسفطين فقال لي: أدخلهما بيت المال
حتى ننظر في شأنهما، وألحق
بجندك.